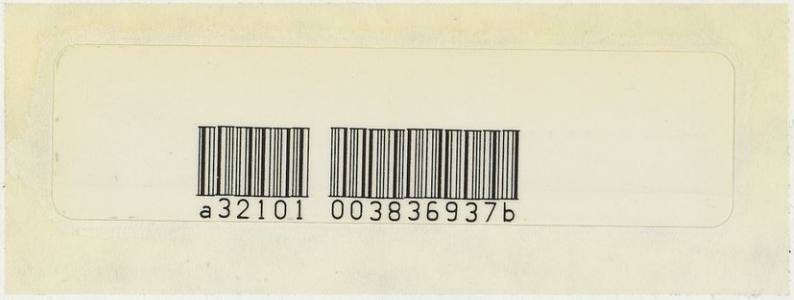
a32101 003836937b

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

الجياد الناشطة

Khayyāṭ, Yūsuf

يوسف خياط

المؤلفات الكاملة

البيادر الناشطة

رواية

٢

دار
لسان العرب
بيروت ـ لبنان

(Arab)
PJ7842
.H366J5

(Arab)
PJ7842
.H366
1979
vol. 2

الشمس ترميه بأشعتها الحمراء مخترقة زجاج السيارة الجارية بجنون فتكاد تطيش لبه .

ـ « مشكلة ! كيف حدثت ؟ كيف ؟! » .

القصب البري السامق على جانبي الطريق الواسع ، لا يمنع عنه ذلك الشواظ .

فتح المذياع .

الطريق ملساء طويلة ، سوداء بلا نهاية .

دعس نلسون بدر عبود على صمام البنزين . السيارة تكاد تطير وما أراد الوصول سريعا . الا ان التأخر أيضا في غير صالحه .

الفريقان الجباران يتباريان .

فلومينينس يربح الجولة الاولى ضد فلامنكو بتسجيل هدفين مقابل لا شيء .

« حتى هذا ايضا قد حدث ! » .

أنزل زجاج السيارة . الحرارة تخنقه ولمعان الضوء الشمسي الباهر يملأ عينيه وتيار الهواء يصفع وجهه .

« لو يربح فريقي . الطريق هذه العاهرة الدائمة ، كأنها لي رصد لا ينتهي ... والمشكلة أصعب من خسارة فريق الكرة ... وكيف زججت فيها بنفسي ؟! يا للمشكلة !! » .

اللوحات المعدنية الى جانب الطريق تعين المسافة في كل ٢ كم .

يخلفها وراءه فكأنها هي التي تجري .

٧٠ ك. م. وبعدها مدينة باريتوس .

صار هذا الاسم يعني أشياء وليس شيئا واحدا ، فالمشكلة مفاجئة ولا بد من حل سريع لها .

« ... وما شأني الآن بـ فلامنكو ربح أم خسر ؟! مشكلتي لي وحدي. أنا وحدي وبأصابعي عليّ نزع أشواكي » .

المذياع يبث أغاني روبرتو كارلوس الجديدة ، العصرية ، المبتكرة بنظام الـ « يي يي يي » .

« بعض أغانيه لا أهضمها فبعد أن نال الشهرة صار إلها عند الجماهير ... وتحول الى ما يشابه قابضة أموال . والانسان يعيش في السخف الدارج . الحياة نفسها كذبة كبيرة واسعة بغير حدود ، وهي بغير ثمن مع ذلك . التفاهة لا تباع بسعر » .

٦٠ ك. م. باريتوس .

« اني أهذي . مشكلتي كبيرة ... »

المسافة تقصر . الدرب يذوب . الاميال تتلاشى والشمس مالت الى المغيب . قريبا تتوارى لكن بعد ان تفقأ عينيه أو تلقيه في حفرة الى جانب الطريق .

« أفضل الرجوع ... لكن المشكلة تظل بلا حل . فلامنكو يستعيد خسارته . يتقدم . يسجل أهدافا . يتفوق . يربح المباراة . وكذلك « شركة برادات عبر البحار » تربح جولتها . وشعاع الشمس بعيني ... يكاد يعميني » .

٢٠ ك. م. باريتوس .

المشكلة تكبر . يزداد حجمها اتساعا . تتعملق .

★ ★ ★

مدينة باريتوس على مرمى النظر . انعطف بسيارته بعنف صوب محطة البنزين الى يسار الطريق وأوقفها . عانق المقود وانكب بوجهه فوقه

متنهدا ينفخ من منخريه أنفاسا متعبة . أرجح رأسه وسلم مفتاح خزان الوقود لعامل المحطة وقد فرغ من مسح الزجاج .

ـ كم يستغرق تنظيفها وتشحيمها من وقت لو أردت ذلك ؟

ـ ساعة أو أقل فاني أراها لم تغسل منذ خرجت من الوكالة .

ـ بالواقع ليس هذا ما أريد . شحمتها وغيرت الزيت مساء امس في غويانيا . أريد شيئا آخر . أين صاحب المحطة ؟

ـ في مكتبه . السيد كارلوس دي كارڤاليو .

ـ اجل السيد كارلوس دي كارڤاليو .

نزل وتوجه الى بناء قريب جانبي . وراء مكتبه كان صاحب المحطة . شاب بدين أبيض الوجه فظ الشكل جاحظ العينين قليلا .

ـ لعلك لم تنسني .. أو انك انتهيت الى ذاكرة تافهة ككل هذه التفاهات القائمة ؟

ـ من ؟ نلسون . أيها الشقي . ماذا جاء بك ؟ من زمن بعيد لم أرك حتى حسبتك مت .

ـ بل تزوجت وصار لي أولاد وزوجة طبعا ...

ـ هذا هو الموت الحقيقي . أفضل التشرد أو جهنم او الموت نفسه ... لكن ما الذي جاء بك الي ؟

رمى مفاتيح السيارة على الطاولة :

ـ هذه الدواليب المهترئة وشركة برادات عبر البحار التي أعمل لحسابها .

نظر كارلوس الى الخارج حيث السيارة القديمة الزرقاء وما لبث ان رجع الى زائره المفاجيء متسائلا :

ـ مظهرها الخارجي جيد . أيكون داخلها كذلك ؟

ـ لست أدري . أبيعها بثمن بخس . نقدا بالطبع فأنا في مأزق فهل تشتريها ؟

ـ هل جننت ؟ من أين لي المال ؟! اشتريت هذه المحطة المشؤومة والافلاس قد حاق بها ، فصرفت عليها ما أملك وما لا أملك حتى أنقذهـا وأنقذ نفسي معها ومع ذلك فلا ...

ـ كارلوس . كفى . انك تهذر مثل عجوز خرف . انا بحاجة لـ ١٣٠٠ كونت . أعيدها اليك بعد غد وتبقى السيارة عندك رهينة . فقد حدث أمر ما كنت مستعدا له . ضابط الحسابات في الشركة سيدقـق في وثائقي . وثمة نقص في المقبوضات لن يخفى عليه .

هز كارلوس برأسه آسفا :

ـ أعتذر . ليس بامكاني .

ـ حسنا . بالواقع لم يكن اعتمادي عليك ولكنني توقفت في أوبرلانديا والتقيت بـ « توكينيا » فأخبرتني انك اشتريت هذه المحطة ...

ـ صحيح . وهذا من شهر تقريبا . كيف هي الآن ؟

ـ اطمئن بالرغم من غيرتك . فهي مخلصة لك بقدر اخلاصها الى كل منا . ساوت بعطائها بين الجميع ، وصارت قطعة نقد متداولة .

ـ تفوه . يا للعاهرة . حسنا ، أرجـو الا تحزن . فأنـت طائش يا نلسون والا ما وقعت في مأزق كهذا ، وفوق ذلك تزوجت ... والزواج باب مفتوح على السجن او الانتحار .

ـ وأنت ما زلت فظا وبوهيميا أحمق . اسمع . أين جهاز الهاتف ؟

أشار الرجل البدين والعرق يكسو وجهه الى زاوية وتابع في اجراء حساباته على ورقة أمامه . وما عتم ان رفع رأسه ليقول شيئا . وامتنع . كان نلسون يقول بما يشابه الصياح وامارات القلق بادية في وجهه :

ـ اصل في غضون دقائق . أجبني . أجبني . ارفـع صوتـك . ثمة هدير شاحنة في المحطة . أفاهم أنت ما أقول ؟ ينقصني مبلـغ الف وثلاثمئة كونت . هل ستدبره لي يا « ڤالتر » ؟

مرة اخرى رفع كارلوس رأسه . ونلسون ترك السماعة وتوجه الى الباب ليخرج ، ورد على استفسار صاحب المحطة :

ـ يظهر ان الامر سيدبر .

ـ عظيم جدا . لكن .. كنت افكر ..

ـ بأن تقرضني المبلغ . أليس كذلك ؟

ـ لا . أنت أحمق يا نلسون .. بل بشيء آخر .

ـ « تشياو » . أنا ذاهب . خذ هذه . لا تنس أن تزورني . وسأمر عليك في آخر كل شهر .

ترك بطاقته وعليها عنوانه في غويانيا .

★ ★ ★

باريتوس هادئة عند المساء . أنوار شحيحة في أول الغياب ، صفراء كئيبة تغسل الشوارع الواسعة المشجرة الجانبين ، فلا تزيح عنها في هذا الوقت غلالة رمادية غبراء كأنها مدينة تغرقها أدخنة المصانع والسيارات . وعلى الارصفة جماعات عليهم طابع العمل . ببزاتهم الزرقاء وراء حاجاتهم المسائية .

أوقف نلسون بدر عبود سيارته امام أوتيل دوس ڤياجانتس وتناول حقيبته اليدوية وصعد درجات السلم المؤدي الى بهو واسع فيه مكتب الاستقبال .

وجد ڤالتر بانتظاره واقفا ووجهه الى المدخل ، فصاح به نلسون بفرح فاتحا ذراعيه :

ـ ڤالتر ... أهذا أنت ؟! انك دفعت لي جميع ديونك هذه المرة .

وتلقاه الشاب النحيل الاشقر الوسيم الانيق اللباس بمثل فرحه وصياحه وهو يعانقه ، وتبادلا التربيت بالراحات على الاكتاف .

ـ بل ان فرحي لاكبر من فرحك يا نلسون . أسرع فسأنتظرك للعشاء بعد ان تبدل ثيابك .

ـ أكاد أموت من الجوع . ڤالتر ... صدق ما أقول . لم أذق طعاما . صدت نفسي عن الطعام .. منذ يومين ..

دفعه برفق وهو يقول :

ـ على كل حال .. أراك مخمورا وأعجب كيف لم يقع لك حادث في الطريق ، لكن اسرع .

ـ لا أكذب عليك .. شربت .. كنت اشرب بغير انقطاع .. لكنني غير مأخوذ . سآكل كحيوان جوعوه في قفص ، لكن بعد حمام بارد .

التفت صوب موظف الاستقبال وصاح :

ـ مريانو .. ايها الشقي العزيز .. غرفتي .. أيها ؟ الاخيرة الى اليمين ؟ تبا لك .. أسوأ غرف هذا الفندق البغيض .

قفز درجات السلم الى الطابق الاول وهو يصفر بلحن تناهى الى مسمع ڤالتر نشازا حاملا مقدارا من البهجة .

★ ★ ★

أكل بنهم وتناول عدة كؤوس من البيرة الشديدة البرودة واستمع اليه ڤالتر يهذر بفيض ، وابتسم الواحد منهما للآخر وقال نلسون :

ـ كدت أصدم عربة مطهمة الخيول وأنا قادم الى باريتوس . عربة ثقيلة بحجم حافلة من القطار البراد. هكذا ظهرت لي فجأةفيطريقي وسرعتي فوق المئة والعشرين . وأعجب كيف تستطيع تلك الخيول ان تسحبها بتلك القوة والنشاط .. لكن الفضل للخيل .. لهؤلاء الاحصنة الاشداء البسلاء .. ولتلك الدواليب الدقيقة الصنع ..

ـ ما زلت تهذي يا نلسون . دع عنك هذه الترهات واسمعني اخبارك.

حمل كأسه . رشف منه وتنهد بارتياح وأجاب على كلام صديقه :

ـ الجديد انني التقيت بكارلوس . هل تتذكره ؟ ازداد بدانة وبلادة . كان معنا في شركة مونتي ڤردي . وهو صاحب محطة بنزين ألفورادا في مدخل باريتوس .. ما يزال متعلقا بتوكينيا ـ وما أراها الا تنتقم من ولعه بها . بت عندها ليلة امس .

نهض ڤالتر ولحق به نلسون . بدا غير متزن الخطا ..

ـ ايه .. أين أنت ذاهب ؟ ڤالتر . ماذا لو خرجنا الآن ؟ لن أنام قبل انبلاج الفجر .

ـ هل جننت ؟ ان عليك ان تحضر عندهم في الثامنة صباحا . لن يغفروا لك أي تأخير .. وعليّ أن اسلمك المبلغ الناقص .. ماذا قلت ؟ حسنا .. حظك هذه المرة كان أكبر من ذنبك . حذار . حذار . هذه شركة وليست جمعية خيرية .. وانت جديد فيها .. اسأل اذن الزملاء القدامى .

توقف لدى مائدة في مدخل قاعة المطعم :

ـ أنطونيو دي سوزا .. هل فرغت من تناول طعامك ؟ ها هو نلسون بدر عبود وانه في هذه الشركة لحديث العهد بهذا البحر الطامي .. كأنه فلاح ينزل الى المدينة لاول مرة .

احتج نلسون :

ـ هراء فأنا قديم بهذه المهنة الملعونة .. مندوب تجاري في ـ شركة برادات عبر البحار ـ لكن .. لعلمك . انا كنت أول بائع مندوب في مونتي ڤردي . نلت المكافأة السنوية مرتين لتحقيقي الرقم القياسي في البيع ومرة ثالثة رفضتها . أتدري معنى رفض تلك المكافأة ؟! مجنون من يرفضها .. بل لم يحدث ان رفضها قبلي احد .. فأكون قد ضربت رقما قياسيا آخر .

ـ ولهذا وصلت الى ـ برادات عبر البحار ـ البحر المضطرب الموج ... وانت فيه ملاح في اول سفرة .

تابع نلسون ووعيه يتركز عبر الذكرى :

ـ جن يومئذ الكونت دي مونتي ڤردي . فكأنني دست جميع أمجاد عائلته الايطالية الكريمة .

ـ « من هو هذا الصعلوك البرازيلي ليرفض مكافأتي » .

رفضت ولم أعبأ .. وعندما قدمت استقالتي كان السبب آخر .

استقرا الى مائدة انطونيو دي سوزا . الذي عبر لـ ـ نلسون ـ عن ترحيبه الحار وهو يتعرف اليه لاول مرة ، وقدم له كأسا من العرق البرازيلي الممزوج بعصير الليمون .

أراح ڤالتر كأسه والتفت الى نلسون ومعالم الجد مرتسمة في وجهه :

ـ اذا تجاوزنا المجاملة فان عليك أن تشكر انطونيو الذي ساهم في عملية انقاذك . فهذا المبلغ العاهر جمعناه من الجميع تقريبا .. فنحن وحدة متآلفة الكل فيها للواحد .

قال انطونيو دي سوزا وهو لا يقل جدية عن ڤالتر :

ـ بالواقع . ليس بوسع الواحد مساعدة الآخر كما يجب في مثل هذه الظروف المتردية فجميعنا غرقى المتطلبات والمسؤوليات .

★ ★ ★

انتقلوا من الفندق الى بار كاجو اميكوس الشهير بموائده الرصيفية وخموره الممزوجة بعصير الفواكه المتنوعة والتي يقدمها باردة مع كثير من الثلج .

الساعة تجاوزت الحادية عشرة ليلا والبار ما يزال مكتظا برواده ، وبدا بموائده المبثوثة فوق الرصيف العريض كأنه قطعة محمولة الى هنا من بوليڤارات باريس الشهيرة .

الاضواء هادئة والمناخ حار وانسام تتخلل اشجار الشارع تمسح العرق عن الجباه وقد مالت رؤوس الاصدقاء بنشوة تتزايد حتى لتستحيل الى أبخرة تثيرها الكؤوس في مراكز الوعي .

صاح ڤالتر بالنادل :

ـ اليّ بالحساب .

وانقض نلسون بيده فاختطف ورقة المصروف من الخادم :

ـ بل انا ... من سيدفع ..

يلهث اعياء وسكرا . قاطعه ڤالتر :

ـ الحساب كبير وقد وصلت الينا اليوم وانت على آخر رمق من المال.

ـ بل سأدفع فأنا .. دعوت انطونيو دي سوزا .. وعلى شرفه .. وهو محقق الارقام القياسية .. في البيع .

تساند كي لا يهوي ، وبدا بجسمه الفارع شجرة ثقيلة منعوجة. تابع وما يزال يأكل حروف الكلمات :

ـ . على . أن . تقر .. ضو . ني مالا . أنا سأدفع . فا . تورة ..

جذب ڤالتر النادل الى جانب ونقضه الحساب :

ـ احتفظ بالباقي .

احتلوا مقاعدهم في سيارة أنطونيو التي انطلقت بهم بغير اتزان وما لبثت أن وقفت امام « اوتيل دوس فياجانتس » وصاح انطونيو برهطه :

ـ ها قد .. وصلتم يا سادة .. فالى الفندق .. ثم الى غرفكم .

... وهتف نلسون بصوت عميق كأنه آت من هوة بعيدة :

ـ أيها الجياد المطهمة . تفضلوا فالعربة المقطورة تعلن عن بدء رحلتها.

وأتاه صوت من بعيد ايضا :

ـ دعك من هذا فالكون بكامله مقطور الى جياد منوعة .

صاح نلسون هذه المرة ولكن بغيظ :

ـ سوزا خذ علما .. نحن جياد العربة ولسنا حميرا . العربة هذه كبيرة مثل هذا البناء . وكلما شددناها أكثر تعاظمت حتى لا نستطيع سحبها .. وستنقلب العربة فوقنا عاجلا او آجلا .

رد عليه محاوره بقناعة مسلما بالامر :

ـ وهذا البناء عربة أيضا لكن بلا عجل ... الكون ذاته عربة لكن بلا خيول . ماذا تريد ؟ المرأة عربة . بل هي « بار » العاهرة مفتوحة للرواد . وما على الرجل الا أن يسحبها وراءه حيثما ذهب .. والا توقف عن غايته .

احتج نلسون باصرار :

ـ لا . لا يهمني . بل نحن جياد . نحن .. انت وهو .. وانا . انا لست مخمورا . ان رأسي خاوية الا من أفكار جديدة . اعلم انني ظللت طوال يومين بلا طعام . كنت أشرب فقط . وليس لهذا كدت اصطدم وانا على طريق « ريبيرون ـ باريتوس » بتلك العربة . ولما وصلت كنت أعلم انني لم أنج منها الى الابد .. فهي ما تزال على الطريق تجري .

لا جواب . وكأنه يخاطب اللحظة نفسه :

ـ في سان باولو نلت مرتين جائزة الرقم القياسي للبيع .. الكونت العجوز بنفسه رفع الكأس وشرب نخبي ..

بصق في الهواء بحنق :

ـ .. وانا بالسموكن .. قبالته . وبيننا .. كما الند .. للند ..

سحبه ڤالتر من ذراعه وهمس :

ـ وهذه قبالتك ايضا لكنها لا تفهم بمثل مكافآت شركة مونتي ڤردي. وانما بأوراق « تيرادنتس » الحمراء ذات الخمسة آلاف كروزيروس .

ـ لن تنالها مني .. أؤكد لك . تعالي يا فاتنة .

ألقى بذراعه فوق كتف شقراء أتت تستقبلهم وعلى ثغرها ابتسامة صديقة . رفعت وجهها اليه وما لبثت ان خاطبت زميله :

ـ من هذا النجم المغري الذي يصحبك يا ڤالتر ؟

وضعت اصبعها الناعم تحت ذقن نلسون تنقره نقرات دافئة والتصقت به وشدته بذراعيها الى بدنها ووجهها استراح فوق صدره وراقصته واقفة، وتأوهت بغنج وهمست بصوت مبحوح من الشبق في سمعه :

ـ أحبك .. انت شهي ..

ـ انا حصان يشد عربة ، عجلاتها ذهبية مثل شعرك .

ـ أحبك يا حصاني .. لا تصهل .

ـ اذهبي الى الشيطان . بقرة حلوب ..

دفعها عنه وما تركته فعاد يقول :

ـ لا . بل ابقي . تعالي فبالحب يصار الى كل شيء ، وتذوب العقبات كثلج في الشمس .

ضمها اليه وتغلغلت يداه في بعض مطاوي جسدها :

ـ أحبك . وأدعوك الى الزواج .. عشقتك من أول نظرة . هكذا الحب الكبير .. يخلق .. ڤالتر هل تكون لنا شاهد زواج ؟ بالحب فقط وباسم الحب وعلى أساس الحب .. بلا مال .. هل تقبلين ؟

تململت بين ذراعيه وراحت تفك حصاره عنها :

ـ حصان مأفون انت . دعني أنصرف . حصان هرم وبخيل ... انا امراة هكذا .. لكنني احترم نفسي .. لست رخيصة .

ـ وانت ايضا عربة . مثل جميع ما في الكون ، لكنك جميلة وشهية . بـل لذيذة .

ـ هه .. هيه !! لذيذة ؟ كيف وانت لم تذقني ايها المفلس ؟!.. بل أنله ومغرور انت .

.. وارتمى بمقعد مخملي وثير . أحس بخور ونعاس ينالان منه . استسلم وأطبق جفونه . كان سيغفو اذ ارتج به المكان . وصوت يصيح به:

ـ أفق ايها المأفون . انهم بانتظارك ولن يغفروا لك تأخرك ثانيـة واحدة . انهض واسرع . الساعة بلغت الثامنة الا ربعا .

فرك عينيه وهو يجلس بسريره . كان ڤالتر ما يزال ممسكا بالغطاء الذي انتزعه من فوقه ونلسون يقول :

ـ ماذا قلت عن الساعة ؟ حسبت نفسي في بيت توكينيا . كنت ممسكا بشقراء جميلة مثيرة .

ـ هيا يا أحمق . انهم ينتظرونك . وانت آخر من بقي حتى الآن من المندوبين . واليك المبلغ ـ ألف وخمسمئة كروزيرو جديد . بزيادة مئتي كروزيرو . اسرع .. فالمدير ومساعد المدير والمفتش والمحاسب .. والكاتب .. جميعهم بالانتظار .. تلك هي عادتهم وذلك هو قانونهم .. ولا أعجب اذا كان المكتب الرئيسي في سان باولو قد سمع بك .. بـل لندن . نعم لندن فلا تعجـب .

★ ★ ★

باريتوس مدينة في منطقة زراعية واسعة من ولاية سان باولو ، عرفت بتربية الابقار منذ طويل زمن . ولعل حكام البرازيل القدامى الذين كشفوا عن بواطن الثرى ، قد صنفوا التربة ، بذكاء ، وبما ركب في أنوفهم النبيلة الشماء من حس ، وبحبهم لامبراطورهم البرتغالي الجالس سعيدا على عرش البرتغال الصغيرة الرقعة الضائعة على خريطة اوروبا .

وقسموا الارض الى مناطق انتاج : زراعية وحيوانية ومعدنية حتى اذا كان ليد الرقيق الناشطة ان تتحرر لثمانين عاما ونيف وتحطم القيد ولا تزيله تماما ، انصرفت الى العمل ، بلا هوادة أو ملل .

ولقد تكاثرت اليد العاملة في بلد متواضع التقدم الصناعي لاكثر من نصف قرن ، فابتذلت وصار لها السعر الرخيص . فماذا تحقق اليد المبتذلة الشأن ، بزهيد أجرها ؟ وماذا يساوي العرق المسفوح بغزارة ، والعصب الناشط بلا هوادة ؟

ان الحياة لتدخل أزمات العيش ، في العصر الحضاري ، والحياة ذاتها تعمل للخروج منها . والقوة التي تغلب الحياة نفسها هي قوة البقاء والاستمرار ، وليس للحياة سوى الارض ركيزة .

فالارض بالمعنى القوي – بغير المفهوم المجازي – هي التربة . والماء .. مجدبة كانت ، أو شحيحا ضحلا كان – فهما ركيزة الحياة وديمومتها . والانسان بغريزته وقبل ابداعه العقلي يكتشف الارض قبل النار ، ويندفع الى أحضانها كما يندفع الوليد بغريزة الى ثدي أمه ، يستمد منها الحياة على مهل .

الفلاح البرازيلي ، ابن الجندي الذي رافق بدرو الفارس كابرال في رحلته التي اكتشف فيها البرازيل . والزنجي والخلاسي والـ « كابولكو » والـ – كايبيرا – هم أبناء الرقيق الافريقي الذي تمازج بالتزاوج مع الهنود الاصليين وفقراء البرتغاليين القادمين الى العمل في البرازيل والذين شكلوا الشعب البرازيلي وكانوا نواته قبل وصول موجات الهجرة من مختلف العروق والجنسيات .

وبعد انتفاضات وثورات ، ومؤامرات ومجازر ، تحرر الرقيق بموجب ورقة الـ « أبوليسون » التي وقعتها الاميرة البرازيلية – البرتغالية الاصل « ايزابيل » ابنة الامبراطور البرازيلي البرتغالي ، دون بيدور الثاني في العام ١٨٨٨ . فاكتسب طيب السمعة وخلود الصيت .

تحولت الارض في باريتوس منذ العهد الـ – كولونيالي – الى اقطاعية كبيرة تقاسمها رجال الامبراطور ، فصارت اقطاعيات كثيرة وفق نظام – لاتيفونديوس – الكولونيلات العسكريين المنزوعي الاشرطة ، بلا جزمات عسكرية ولا أحزمة ، ولكن بنفوذ السيد الجبار المطاع . وصار لهم تقاليد

وتواريخ وكرامات . وصار بعضهم اسطورة ، ونـال بعضهم من الاحتـرام والهيبة ما يداني درجة العبادة والتقديس .

ذلك ان هؤلاء أحسنوا ادارة الارض والسيطرة على العبيـد ونبشوا التربة على كنوزها ، وربوا الابقار والخنازير وروضوا الخيول ، وزرعـوا القصب السكري والارز وسائر الحبوب والقطن .

ولقد تكيفوا وفق القوانين الجديدة ، بعد تحرر الرقيـق والغـاء العبودية ، فاحتفظوا بسيطرتهم على الارض وتشغيـل المحتاجـين ، من محررين وفلاحين .

★ ★ ★

ربما مر بعض هذا في ذهن نلسون بدر عبود ، وهو منطلق بسيارته المتداعية الى مكاتب برادات عبر البحار ، والى جانبه حقيبته التي أودع فيها أوراقه وقيود المقبوضات والمال والكشوف والطلبات .

البرازيلي البسيط يقول ان الله برازيلي . والذكي يقول مثل قوله اذا ما نال قسطا من النجاح أو مسه بعض الحماس . وكلاهما انفعـالي ، متأثر بالنبضات الاولى للحدث ، مأخوذ بردة الفعل فوريا .

ويقول كلاهما ان الله حبا البرازيل بالثروة والخـيرات والجمال ، وارض البرازيل قارة وشعبها عملاق نائم ، لكن لا بد له من يوم يستيقظ فيه فيأخذ بزمام أموره ويدير شؤونه كرجل اعمال ناجح .

من الاكتشاف البرتغالي الى مسح المجاهل والغابـات الى التقسيم الجغرافي ، الى الاستقلال عن الـ ـ متروبول ـ البرتغال ، وعبورا بمرحلة الامبراطورية البرازيلية والغاء الرق والعبودية حتى قيام الجمهورية ... وهذه القارة البرازيلية التي « نامت نواطيرها عن ثعالبها » ـ نهب لكل ثعلب فطن أملس يأتي اليها من وراء البحار ، فيجري فيها قانون الدولة المستعمرة ولكن بمختلف الطرق والاساليب ، فيعرك عملاقها النائم ويمتص ارادتـه ويبتلع حتى النهاية كل ثراء وكل خير وكل دم فيها .

الا انها قارة وليست رقعة جغرافية تغطيها راحة اليد . وانها الارض الواعدة .. مهما نهبت يظل فيها ما يصلح للنهب .

★ ★ ★

يفكر نلسون وهو ماض بسيارته الى مكاتب الشركة :

« .. فباريتوس خصبة الاراضي واسعة المراعي مناخها معتدل ومأؤها غزير عارم . تكاثرت فيها اليد العاملة في الحقل فانخفض الاجر فكثرت زراعتها ووفرت الابقار والبهائم الاخرى .

وأتت ـ شركة برادات عبر البحار ـ فاشترت الاراضي وانشأت المزارع وربت الابقار ، وأقامت مصنعا كبيرا متطورا وبرادات لحفظ اللحوم وصناعتها ، حتى ليقال ان الخنزير يدخل في آلتها حيوانا يصوت ويخرج منها نقانق في العلب المختومة .

انها تروست بريطاني ضخم . مزاحم التروستات الزميلة الاخرى في أميركا اللاتينية ، وله في البرازيل عدد من الفروع . مركزه لندن حيث المكتب الرئيسي أو الدماغ المفكر والقلب الخافق ، ومن ذلك الدماغ تتوزع مختلف أحاسيسه المصلحية بوساطة ـ سان باولو ـ حيث المكاتب الرئيسية التي تدير الفروع في البرازيل .

ولقد كان هذا التروست القوي يكافح بكثير من الذكاء والتحفظ والرؤيوية المستقبلية في سبيل ـ « لقمة عيشه » ، فيحارب مزاحميه ، سويفت وانكلو ونلسن وآرمور وغيرها ، لكن ضمن حدود حرب « الجنتلمانات » والاصول التجارية الحضارية .

أما الشركات الوطنية ، فهي « أعداؤه الطبيعيون » ، لا يعبأ « بهم » وقد طلب من ربه « أن يكفيه فقط شر اصدقائه » ـ التروستات الزميلة » .

تلك هي أفكار نلسون بدر عبود ، تتركز فترى العملاق البرازيلي ، ـ الارض غير المحدودة ـ وكأن لا دور له سوى تزويد التروست القابع في لندن ، بالمواد الخام ، وباليد العاملة وبالمعد المستهلكة تصرف ما ينتجه فيتحول الى قيم زائدة ـ مال في صناديقه .

★ ★ ★

عندما بدأت سيارة نلسون تنهب المسافة التي تفصله عن مكاتب الشركة كانت أفكاره تركض امامه تستبق الاحداث ، وقد أحس بفداحة الجرم الذي كان مقدما على ارتكابه .. الا ان ذهنه المكدود ، مع ذلك ، أنقذه بتلك المكالمة الهاتفية مع ڤالتر .

خفف سرعة السيارة عندما وصل الى محطة قطر الحديد الخاصة بالشركة وكان الآن قد دخل في قطاع ـ برادات عبر البحار ـ وواجهته بناية كبيرة الى جانبها صف من العمارات ، وراءها المداخن الشاهقة تلفظ الدخان الرمادي حتى ليحاكي السواد .

نزل من سيارته وبيده حقيبته الجلدية ، وتوجه الى المدخل الرئيسي من باب حديدي ضخم ، ينتهي جانبه بباب أصغر ، يقوم على حراسته رجل أوقفه ليسأله عما يريد .. وما لبث ان استأنف نلسون سيره ودخل المكاتب التي طالعته منها عشرات المناضد ونقرات الآلات الكاتبة اليها الموظفون والموظفات في ما يشابه المقاصير المفصولة عن بعضها بحواجز واطئة .

أجال بصره في هذا الخضم من المناضد والمقاعد المشغولة والعمل الناشط ، وشاهد المحاسب في قطاع منعزل وراء منضدته ومعه مدير فرع البيع والمراقب ورئيس المدققين والمفتش والمدير العام للفرع .. كأنهم هيئة محكمة التأمت للنظر بقضية هامة .

كانوا متحلقين حول المكتب بنصف دائرة . اتجهوا جميعا بأنظارهم نحوه كما لو كانوا بانتظاره ، فأحس بنظراتهم تقع عليه بثقل ، تعركه عركا .

حاول الابتسام ووفق بابتسامة ما ، ثم ما لبث ان ردها الى تحت عضلات وجهه تقزز مقيت وغمغم لنفسه :

.. « السادة ينتظرون . أو كأنهم السادة حقا . ونحن .. ماذا ؟! »

كاد يصطدم بحجم بريطاني عملاق ، أشقر الشاربين كثيفهما ، أحمر الوجه ـ كأنه من مخلفات الضباط الذين خدموا في الهند ـ يرتدي فوق ثيابه الكاكي ، مئزرا أبيض . وشق دربه بين صفين من المناضد ، ولم يدر كيف أخذت من يده الحقيبة ولا كيف فتحت . كان منشغلا بالقاء التحية وبعبارات المجاملة يوزعها عليهم ، وما وعى الا بعد أن رأى محتويات الحقيبة فوق المنضدة .. الاوراق الثبوتية والمستندات ودفاتر الطلبات والايصالات والشيكات والنقود والجداول وحاجات خاصة وعلبة السجائر .

واعاده كبير المفتشين السيد ماركوس دي بينا البدين الاسمر الوسيم الطلعة الى حضوره . كان يجذبه بلطف من ذراعه يدعوه الى الجلوس . بينا سارع المدير بصوت مهذب لطيف يقول :

ـ التقرير من فضلك . اين التقرير ؟

ـ هوذا ... تفضل .

ـ حسنا . والجدول العام ؟

ـ جاهز .. ها هو ..

ضبطت الحسابات وروجعت الارقام وجمعت الايصالات المقطوعة وحولت النقود الى الصندوق وتنفس نلسون الصعداء .

لم تستغرق العملية أكثر من عشر دقائق ، ثم اتجهت اليه الانظار من جديد ، تحاصره وتقع عليه بوطأة ، واستمع الى المدير العام لفرع الشركة السيد « مارسيو پينتو » يقول له :

ـ كل ما في الامر انك تأخرت عن ميعاد الحضور وهذا خطأ فادح . صحيح ان الحد الاقصى لنهاية تقديم الحسابات هو التاسع والعشرون .. ولكن لم يسبق ان بقي مندوب بغير أن يقدم اوراقه الى اليوم هذا .

وقال كبير المحاسبين السيد اوليڤيرا مونتيرو دي باروس مغتنما فرصة توقف المدير عن الكلام ، وفي لهجته لوم ظاهر :

ـ وكدنا نقفل ميزان الشهر ونرسله الى سان باولو وفيه حسابك ما يزال مفتوحا . وفي هذا ما فيه من خطورة .

أعقب هذا الكلام ، مقال رئيس فرع البيع وهو يرفع نظارتيه عن عينيه ويمسح فوقهما بأطراف أصابعه وكأنه يخاطب المدير والآخرين :

ـ ان الطلبات التي أحضرتها شيء هام ينم عن مجهودك المبذول . وأظنها ستكون لصالحك وتلطيف رأي السادة بك بعد تأخرك الخطير .

أجاب المدير العام السيد مارسيو بينتو بلهجة شبه حادة وقاطعة :

ـ ومع ذلك لا بد من توجيه تحذير اليه . ـ متوجها الى نلسون ـ ولك ان تقدر ان التأخر في تقديم الحسابات وبين يديك ما بينهما من اموال الشركة ومستنداتها ، يشكل حالة غير عادية قد تصل الى لندن .. نفسها .

قال هذا والتفت بصورة عفوية الى حيث أحد أولئك الذين يرتدون المآزر البيضاء . وكان يمر من امامهم من غير أن يلتفت اليهم .

ـ سيد مارسيو .. ارجوك .. حدث تأخر بسبب زبائن كنت انتظر أن يصفوا جميع حساباتهم مع الشركة . وبعد أن قبضت منهم كنت اريد ارسال النقود بوساطة التيلكس من احد المصارف . وفوجئت في صباح اليوم التالي بأن البلدة في عطلة محلية بمناسبة ذكرى تأسيسها .

قال المدير العام وبنفس النبرات القاطعة :

ـ هذا ليس عذرا . الزبون الذي لا يدفع في موعد الاستحقاق دعه واذكره في تقريرك الشهري ونحن نتخذ اللازم .

وهنا قال نلسون بلهجة لا تخلو من حدة :

ـ لكنني حريص على زبائني ، قد يتأخرون مددا قصيرة ، ربما اياما فقط بسبب من أزمات موضعية كالامطار وانقطاع الطرق ـ كما في منطقة « سارس » التي ليس فيها طرقات مزفتة ، فاذا عاملتهم بقسوة فقدتهم .

قاطعه المدير العام برحابة نطق وكأنه يلقمه الكلام :

ـ نحن نعرف كل هذا . ومع ذلك فان الشركة لم ترسل الطلبات الجديدة الى الزبائن المتأخرين عن تسديد حساباتهم . وقد بلغناك الـ ـ سيركولار ـ الذي أصدرته الادارة في سان باولو ومفاده ان أي طلب ـ مهما يكن صاحبه ـ لن ينفذ ما لم تصحبه قيمة المرسلات السابقة مستحقة أو غير مستحقة ولن تتراكم حسابات الشركة بعد اليوم عند زبائنها . وأفيدك ايضا ... ستدرس الطلبات التي جلبتها على هذا الاساس . مفهوم؟

نظر نلسون مؤكدا اصراره على قوله . ونظر هذا اليه ثم التفت الى مدقق الحسابات وكان هذا أراد تلطيف الجو اذ راح يقول للمدير :

ـ القيمة النقدية التي أحضرها السيد نلسون بدر عبود كبيرة ومن زبائن عديدين مما يؤكد ان قلة ضئيلة منهم لم تصف حساباتها . واذن ثمة فرص كبيرة لترسل طلبات زبائنه أو معظمها بالتأكيد .

علق نلسون على هذا الكلام :

ـ قمت بمجهود جبار لكي تنجح التحصيلات وتكثر الطلبات . أفنيت أربعة اطارات بسيارتي .

قاطعه المدير العام وهو ينهض :

ـ سنرى . والآن نعتبر الامر منتهيا .

★ ★ ★

اوليفيرا مونتيرو دي باروس الشيخ كبير محاسبي شركة برادات عبر البحار الطيب القلب الجامد الحس ، بارد دمه كالصرصار . قطع بين الارقام عمرا ، وقدح ذهنه أو فر ما فيه من شرارات ، وصار لا يفهم بغير لغة الارقام والاعداد والاصفار والفواصل ، كما يفهم كل ذي فن فنه . الاديب بمهنة الحرف . والحداد في تطريق الحديد .

الا شيئا لا يفهمه ولشد ما كد فكره ليجد تحليلا معقولا لهذا الشيء ، أو تأويلا . وفي هذا الباب تساءل مرة بعد مرة أمام المدير العام السيد مارسيو :

ـ والغريب ان بعض مندوبينا ما يزال يرتكب هذه الاخطاء وهو يعلم ان حيلته لن تنطلي علينا ـ وان تظاهرنا بجهلها ـ فالارقام رقابة قبل أن تكون « لوغاريتمات » جامدة ومتواليات عددية صماء . بل هي ضابط ومنظم قبل ان تكون حسابات قبض أو دفع ومؤشر عمليات مالية .

رد عليه مديره وفي لهجته نفاذ صبر :

ـ تتساءل دائما وانت تعلم ان الناس ليسوا جميعا أمناء على ما أسند اليهم .

ـ برأيي ليس الامر أمانة او عدمها . بل طيش وقلة ادراك وضعف مسؤولية .

وافق السيد مارسيو فقال مشمئزا :

ـ هكذا يبدو لي الامر ايضا . النزق . الطيش . الانغماس في الملذات . كثيرون من مندوبينا لا يشغلهم هم عدا الانصراف الى الحياة البوهيمية .. الشراب والجنس .

ـ هذا صحيح . ونلسون يبدو لي أبرز هؤلاء الانماط .

في قول أوليفيرا تزلف للمدير الذي كان يبغي مشاكسة كبير المحاسبين كما يبدو من قوله :

ـ نلسون لم يقترف ذنبا في آخر المطاف وقد ادى حساباته غير

منقوصة وانما جل ما في الامر انه أبطأ بالحضور ثم أوضح لنا الاسباب .

ومرة ثانية لهذا اليوم ، اعتبر المدير العام ، المسألة منتهية وفض النقـاش .

★ ★ ★

لم ينته التفكير بالمحاسب العجوز الى القناعة بل جعل يفكر بغـير انقطاع ، بالذي حدث هذا النهار ، وخلص الى ان النزق وانعدام المسؤولية لدى هؤلاء هما السبب وفي البيت خاطب ابنته الشابة :

ـ باميرا . بات الناس لا يعترفون بوجود شيء اسمه المسؤولية . صاروا عبيد غرائزهم وفي سبيلها يتلفون أموال الآخرين .

ـ عن أي الناس تتحدث يا ابي ؟

ـ عن أمثال نلسون بدر عبود .. أحد موظفينا ..

قاطعته :

ـ لم يأت بعمل شائن .

ـ هكذا قال السيد مارسيو بينتو ايضا . لكن الطيش واللهو بـل الفساد ، يلعب بهؤلاء الشباب لعب القط بالفأر ، وهم لا يدركون الى أي منزلق سيؤول امرهم .. فقد ..

ومرة ثانية قاطعته :

ـ أرح أعصابك يا أبي ،فلن تصلح الناس . الحياة ذاتها فساد بفساد. أما انت فعليك أن تأخذ بارشادات الطبيب .

لكنه ، مستاء ومتذمرا ، قال :

ـ وماذا بمقدور الطبيب ان يصنع لي ؟! الاعمار مربوطـة يا ابنتي بالاقدار . ولعلي خلصت الى ان العناية والوقاية أكذوبتان ومثلهما الادوية.

ـ لكن .. عليك ان تهدأ ولا تحمل نفسك متاعب الآخرين . كفـاك جهد يومك وساعات عملك الاضافية .

ـ وهو كذلك . كما انني ارى ان نلسون شاب طيب لكنه غرير .

ـ نلسون ليس شابا . انه في الاربعين أو ما يقاربها .

ـ قد يكون يا ابنتي . السن ليست لتحدد عقلا في الانسان . حدود العقل هي نضج الانسان ، تصوري يا پاليرا انه رب عائلة ، له زوج وأولاد ، لا ادري كم ولدا ، وهو منشغل ببناء بيت في عاصمة ولاية غواياز . فكم يكلف البناء في هذه الايام ؟ قال لي مرة : « لأجعل لهم مأوى على الاقل . فأنا اسافر . والمسافر مقامر لا يعلم ان كان سيربح او يخسر . حوادث الطرقات وغيرها .. » فقلت له : يا ابني ، الخطر يحيق بالانسان انى راح أو كان .. حتى وهو في عقر داره . لكن حقا المستقبل لا يرحم .

التقط أوليڤيرا انفاسه واستطرد بصوت واهن خفيض :

ـ نحن لا ندري ماذا سيقع لنا . اليوم عسل ـ وغدا لعله ابر النحل ـ قلت له ـ انا جاهدت وكافحت وذقت مرارات الحياة وضحيت حتى بعافيتي ، فماذا نلت ؟ مالا ؟! خسىء المال . بل نلت اسرة . كونتها على خير ما أرجو وعلى أقوم ما أتمنى . صحيح ان اسرتي الآن مؤلفة مني ومنهن ، أمهن ماتت . لكن ثلاث فتيات جميلات ومهذبات ومتعلمات هن كل ثروتي وعزائي .. واحدة منهن تزوجت زواجا جيدا ..

خلع سترته ، ولاحظ انصراف پاليرا الى المرآة في غرفتها تسوي هندامها ، فسكت وراح الى غرفته .

جعلت پاليرا تتأمل قسمات وجهها سارحة البال عما يدور حولها وعما كان يسترسل فيه والدها . ولم تفطن لدخول اختها جانديرا التي حيتها وما لبثت أن هزتها من كتفها وقالت وهي تغمز بعينها :

ـ الى اين ؟ من يكون الذي تتهندمين له ؟

دفعتها پاليرا ضاحكة ثم هامسة :

ـ اخفضي من صوتك فانه تحدث طويلا عن العقل والتهذيب والاخلاق في أسرته .

ـ آه ... اعرف .. السيد مارسيو بينتو مديرك الفتان هل ستلتقين به ؟

انتفضت پاليرا :

ـ ما شأن مارسيو بالموضوع ؟ انك مهذارة يا جانديرا . وحذرتك مرارا ان تبعدي هذا الاسم عن البيت كي لا يصل الى مسامع ابينا المرهق الاعصاب .

ـ انه في غرفته لن يسمعني . قولي .. هل ارسل مارسيو الي معك شيئا ؟

ـ أي شيء ؟!..

كانت جانديرا تنط وتغنج حول اختها الكبرى وقالت :

ـ لا تحنقي فعلاقتي به بريئة والهدية على طبيعتها وفي مستواها .

ـ انت مجنونة . لا أدري ماذا تعنين .

أوضحت الصغرى للكبرى السر بصوت مهموس :

ـ في الحفلة الاخيرة لنادي باريتوس الرياضي ، راقصني طوال الوقت .

ـ انت تكذبين . تكذبين ...

ـ لا . ابدا . أقسم بجمالك ـ قبلتها وداعبت خدها بأناملها ـ انا أقول الحقيقة . وانت كنت مع أبي في مزرعة « كورونيل زه داموتا » ، وحدثني عن الجلاتين المحلى الجديد بطعمه الفواكهي المشكل الذي بدأت الشركة تنزله الى الاسواق .

ـ ووعدك بشيء منه اذن ؟..

الحنق المكظوم والكلمات المنطوقة من بين الاسنان المضغوطة الى بعضها كانت بادية فيها ، وأجابت جانديرا متخذة الجدية معلما فوق وجهها :

ـ كيف عرفت ؟ هل حدثك بالامر ؟..

ـ لا . بيد انني أتكهن بهذا أيتها الغريرة . واطمئنك الى ان وعده وعد وليس أكثر .. ما كان لك ان تزجي بنفسك في حياته كما تنحشر الحبة بين شقي الرحى .

سكتت واحتجت جانديرا وما لبثت پالميرا ان عادت تقول :

ـ ان لك يا جانديرا شبابك بل ما تزالين صبية صغيرة ومستقبل الفتاة الزاهر . قدرك في غير درب رجل متزوج هجر زوجته هو السيد

مارسيو بينتو .. أتفهمين ؟

ـ أنا لا افكر ابدا بهذا الذي تقولينه وكل ما في الامر انني كنت أشعر بالملل وكان القرف يستولي علي فراقصته ولهوت واياه قليلا .

أخذت پاميرا اختها من ذراعها اللدن المليء وقبلتها قبلة خاطفة على وجها الزهري ودفعتها الى خارج الغرفة قائلة :

ـ انت كالوردة في برعمها وتقرفين من الحياة ؟! صبا وجمال تحسدين عليهما . اليك عني وامضي الى كتبك ودفاترك فقريبا امتحانات الاشهر الثلاثة . هيا .. هيا ..

★ ★ ★

أحكمت رتاج الباب هذه المرة ، وعادت الى مرآتها الكبيرة . فنضت عنها ثيابها الخارجية وبدت شبه عارية ، ثم خلعت قميصها الحريري القصير وجعلت تتفحص بدنها ، فتتحرك يمينا وشمالا ، اماما ووراء .. والمرآة فم لا يتكلم بل يوحي .

تلمست أجزاء بدنها . وتأملت كلا على حدة ، ثم تحررت من آخر ما ترتدي وارتجف نهداها الطليقان القويان ، وبدا برعماهما متمردين محاطين بهالتين بلون الزهر ينفران وسط بياض نقي . وتحتهما بطنها الهضيم لم تمتد اليه السمنة بمثقال درهم ، متماسك العضل ، ناعم البشرة ، وساقاها مسكوبتان بطول معتدل . مليئتان بغير ما أثر للترهل . كذلك كان ردفاها النافران بغير ما ارتخاء ولا افراط .

رضيت عما تأملته وعادت بنظراتها تستقرىء المرآة جمال وجهها وتقاطيعه . وترامى شعرها فوق كتفيها وصدرها فأخفى كأنه يبدي وأطلت خلل خصلاته السوداء ، عيناها الواسعتان الرماديتان كالسواد الشديدتا البريق وانتقلت الى شفتيها المتناسقتين وبدتا لها في ظمأ وهما ينبوع عذب يروي العطاش .

اطمأنت الى جمالها فرجعت الى ثيابها ترتديها وتشد على ثدييها وتود لتزداد طمأنينتها ان تجري مقارنة بينها وبين جانديرا . لكنها اكتفت باستعادة ليلة قبل أمس البارح .

(.. وضمها اليه وراحت يداه تجولان حول بدنها في كل أبعاده . واحتوى ثدييها براحتيه وانهال عليهما بشفتيه تقبيلا وعضا رقيقا . وهمس في اذنها بكلماته المعتادة وانفاسه تدفىء بشرتها . ثم استلقى بالسرير وارتمت هي الى جانبه ، وسألته وهي مسترخية منهكة بعد عراك الرغبة :

ـ مارسيو . لقد قلت وانت تقبلني منذ لحظات ما أجمل عينيك وما أروعهما . فهل تعرف لونهما ؟

ـ لون عينيك . لونهما ؟.. اجل ..

تطلع في وجهها . الستارة المسدلة لا تسمح بدخول الضوء . والمصباح الكبير مطفأ . ونور احمر شاحب يتسلل من أباجور جانبي لا يفصح بحقيقة الالوان . صمت ...

ـ سألتك ولم تجب . انظر . انهما مفتوحتان . أتعرف لونهما ؟ لا . انك لم تر لون عيني يا مارسيو وانت تعاشرني كما يعاشر الحيوان انثاه او الرجل الشهواني مومسا ، بكثير من الشبق وبلا شيء من العاطفةوالروح.

أضاءت باليرا النور الباهر في الغرفة .. أشاحت عنه بوجهها .. ونهضت لترتدي ثيابها امام المرآة في صدر المكان ، فشاهدت آثار شفتيه وأسنانه فوق أكثر من مكان من جسدها) .

انتهت من جولة الذكرى القريبة . ورغم المرارة التي ولدتها مضافة الى ما أخبرتها جانديرا عن لهوها معه ، تمتمت :

ـ « ومع ذلك فأنا أحبه . أحبه » .

★ ★ ★

نهض كبير المحاسبين في ـ شركة برادات عبر البحار ـ من فراشه باكرا . ومن عادته أن يرفض دعة الفراش الذي يأوي اليه مبكرا ، مؤكدا لنفسه ان النشاط لا يهرم .

فتح النافذة وجلس يمتع النظر ، ويشرب قهوته ، بسماء صافية وأشعة ذهبية مبكرة ، تتسرب من خلال أفنان شجرة « المانغا » قرب الشرفة المشرعة على الحديقة .

وثمة اشجار الـ ـ جوافا ـ بدأت تنقر ثمارها ، طيور فضولية مبكرة مثله بنهوضها، تعلن عن فرحتها بزقزقة صاخبة وهي تطفر من غصن الى آخر .

يمتعه هذا المشهد ويأسف انه لا يدوم طويلا الا في ايام العطل . والآن عليه أن يذهب الى العمل ليباشر نهاره الحافل الذي يسميه ـ بالنهار المثمر ـ أما هو ، الآلة البشرية التي تحولت الى مشرف على الحسابات جميعها ، فلا يكل ولا يمل ، جهاز الكتروني وليس انسانا .

عليه ايضا ان ينظر في الميزان الشهري ويراجع يوما بعد يوم ، الحركة العامة للمعامل ، ما يرد وما يصدر . وقد برز في هذا المضمار هو أوليڤيرا مونتيرو دي باروس موظفا رهيبا في اختصاصه ، محترم الجانب مثابرا وحيويا « ديناميكيا » . رئيسه السيد مارسيو بينتو ينظر اليه باعجاب ولا يجعله مثالا يحتذى بل يعطف عليه عطفا ممزوجا بالرثاء ويقول له :

ـ اني اشرت اليك في تقريري السنوي للرؤساء .

فيسوي اوليڤيرا نظارتيه فوق انفه ويبتسم بخضوع وتواضع ويقول بصوت هادىء :

ـ ما أصنع الا واجبي وما انا بالذي يأكل من صحن ويتفل فيه .

وكان هذا يأتيه بعلاوات ، وساعات عمل اضافية ، لها أجورها الجيدة ، مما يؤكد له ان مديره الشاب يساعده ويسعى لدى الرؤساء لصالحه هو المحاسب البارع .

وبات مع الاطمئنان لرئيسه مسلما اليه زمامه ، يستشيره في كل شاردة وواردة ، فلا يبخل عليه السيد مارسيو بحسن المشورة . وقد وظف پالميرا في مكاتب الشركة ، واخذت ترتقي الى ان صارت سكرتيرته .

ومع كل الدخول الاضافية يشعر العجوز اوليڤيرا بحاجة لمزيد من المال . فالمال برأيه ضمان المستقبل ، والمستقبل غير محدود الابعاد . واذن المال يجب أن يكون غير محدود الرقم . ومن أدرى منه بما يصنعه المال ؟! أليست حسابات هذه الشركة العملاقة بين يديه ؟ ألا يرى ازدهارها وتدفق المال عليها مجروراً بالمال ؟

يشتري في كل اسبوع ورقة عشرية من اوراق اليانصيب الاتحادي واخرى من يانصيب ولاية سان باولو . لم يربح الا مرة واحدة جائزة ترضية

هزيلة . وعندما مر بكشك بائع اليانصيب ، فكر أن يبتاع الورقة كاملة بأجزائها العشرة .

.. « انها اذن مقامرة . ماذا لو قامرت ؟! الجميع يشترون ورقة كاملة وأعرف أكثر من واحد يشتري عدة اوراق كاملة كل اسبوع .. ويكون اليانصيب عندئذ مسألة قمار وليس يانصيبا » .

يقترب عيد القديس يوحنا المعمدان المقطوع الرأس ويعلنون عن جائزة كبرى قدرها « مليار كروزيرو قديم » .

فيحسبها اوليڤيرا ذهنيا . مليون كروزيرو جديد . مبلغ يهز الارض وان لم يصل الى ما تصل اليه في خانات الاعداد ، مبالغ شركة برادات عبر البحار . ويفكر مسلوب الارادة :

.. « قضيت كل عمري أعمل بلا راحة . لم احصل على ثروة . وما تبقى لي من عمر لا يحوجني اليها . باليرا تعمل براتب محترم . وجنديرا قريبا تتخرج معلمة . واليرا تزوجت فأراحتني . بالواقع انا جمعت خصالا حميدة في بيتي وليس مالا جما في خزانتي . وبعد شهر يأتي عيد سان جوان فتطرح ادارة اليانصيب الاتحادي ، أوراقا لجائزة كبرى رهيبة . الحياة مفاجآت وأعاجيب . من يدري ؟! لو اشتري ورقة كاملة فلن يضيرني أمرها بشيء » .

★ ★ ★

.. كما لا يضير السيد مارسيو بينتو المدير العام ، ان يربح ساعات اضافية تزيد دخله ، فهو اذا يلتقي بأوليڤيرا في بعض الخصال ، فانما يحبه للمال وجريه وراءه . وقد عرف بأنه أول من ينهض عن الطاولة في المطاعم والبارات ، تاركا الحساب لمرؤوسيه يدفعونه ناظرين الى بعضهم هامسين . والهمس تحول الى لغط لا يصل صريحا الى مسامعه . ومع الزمن تعودوا أن يكون ضيفهم الدائم .

قال في نفسه وقد شاهد العجوز أوليڤيرا منكبا على دفاتر حساباته:

.. « يا للعجوز الناشط . سيموت في يوم فوق دفاتره فداء للشركة المقدسة » .

ـ ايه .. اوليڤيرا . سترتاح في الشهر القادم .

ـ سأرتاح ولماذا ؟

رمى على الطاولة ورقة تسلمها مع بريد الصباح ، وركز اوليڤيرا نظارتيه . وقرأ وصاح كالملسوع :

ـ مصيبة . مصيبة !!

ـ لماذا مصيبة ؟ هل الراحة مصيبة ؟!

ـ الامر فيها ان يتوقف الانتاج وتنقطع ساعات عملنا الاضافي .

ثم دار بكرسيه حتى واجه رئيسه وارتسمت في صفحات وجهه امارات الانزعاج وسأل كالمستجدي :

ـ لماذا يصنعون بنا كل هذا ؟! اننا بحاجة للساعات الاضافية لتدعم معاشاتنا البائسة . وهل يجديهم نفعا ايقاف الانتاج ؟

ـ انهم لا يقدمون على تدبير كهذا لولا انهم يعرفون جميع أبعاده . وقد اختصموا مع الـ ـ سوناب ـ (الهيئة الحكومية للتسعير) بسبب سعر رب البندورة . الدولة تريد الكيلو بسعر واحد كروزيرو ونصف جديد للمستهلك والشركة تقول ان سعر الكلفة أكثر من هذا . كذلك ثمة خلافات بينهما على جميع الاصناف . صابون « اوريكا » . واللحوم الباردة المصنعة وسائر المعلبات الحلوة .

ـ اذن سينقضون اتفاقهم مع الـ ـ سوناب ـ ؟

ـ اجل . وحجتهم ان المواد الخام ارتفعت أثمانها .. الابقار . الزيوت . الثمار . صفائح الـ « فلاندر » .

ضحك أوليڤيرا . سأل مازحا :

ـ واليد العاملة . الا يحتجون على ارتفاعها ؟

ـ هذه غير واردة ، علما بأن موجة ارتفاع الاسعار قد عمت السوق من جديد مع مطلع الشهر الحالي . وربما يصدر قرار برفع الحد الادنى للاجور .

ضحك اوليڤيرا من جديد وقال بلهجة ناقمة :

ـ منذ الثورة عام ٩٦٤ لم ترتفع الاجور وكأن ذلك الانقلاب الذي رجونا منه الخير كان وبالا على الناس والطبقة الوسطى والدنيا .

سارع مارسيو يقول وانظاره تتجه الى الباب :

ـ اخفض صوتك . عهدي بك حذرا .

ـ صحيح .. ولكن « الرداء الابيض » غير موجود .

ـ من يدري متى يحضر ، فهؤلاء البريطانيون الجواسيس يسمعون حسيس النمل .

★ ★ ★

أما شركة ـ برادات عبر البحار ـ فتخسر ملايين الكروزيرو في عملية تدني الانتاج فكيف بايقافه ؟! والساعات الاضافية للعمل التي تدفع أجورها مضاعفة لهي عملية تنشيط للانتاج ، تعود عليها بالارباح الاضافية الوفيرة .

وتبدو الشركة هكذا في أعين الناس ، تخسر وتخسر واذن ليس عليها تقع مسؤولية ايقاف الانتاج . فعلى من اذن ؟

الصراع بينها وبين السلطة يحتدم من غير ان يخرج من اطار المباحثات الرسمية ومواقف الند للند .

توقف الانتاج معناه ايضا عدم اطلاق البضائع الموجودة في المستودعات وايقاف شحنها الى الزبائن الا ما كان منها سريع العطب .

من اول من يتضرر وبصورة مباشرة من جراء هذا التدبير ؟ انهم المندوبون . الباعة الذين يحققون تصريف الانتاج والذين تجمد عمولاتهم .

ومهما يكن الامر ، فان اوليفيرا مونتيرو دي باروس ، يشعر فورا بالخسارة . فهو شكوك كأي محاسب تعود التعامل مع الارقام . راتبه لم يعد يكفيه ، بعد تدني قيمة الـ كروزيرو ـ وارتفاع الاسعار . وثمة على عاتقه مسؤوليات مالية مترتبة يجب تسديدها . منها أقساط ثمن البيت الشهرية ، واقساط قطعة الارض للبناء اشتراها في قطاع فيلانوفا .

ولا غرو ان رأى ، بعين النقد روح الظن ، في التغيرات السياسية التي طرأت منذ ثلاث سنوات ، ما يخيب أمله فيهمس من جديد في اذن

مارسيو بينتو ، بأن الثورة كانت خدعة . ويقول :

ـ ولا غرابة انها حدثت في أول نيسان . وانت تعرف ما اول نيسان يا مارسيو .. تلك المجيدة .. الحركة المظفرة .. أكذوبة .

ـ ثورة يا اوليڤيرا . انها ثورة كما اسماها العسكريون ووقعت في آخر ليل ٣١ آذار وليس في اول نيسان ، فلا تبخسها حقها بالله عليك وقد أنقذتنا من الشيوعية . وهذا وحده كسب كبير . ولا يخفاك ما الشيوعية ؟!! ما تشليح الممتلكات ؟ السخرة .. الالحاد .. الابن ليس لوالديه . انهيار الاسرة .. الظلم .. الستار الحديدي ..

قال اوليڤيرا وهو غير مقتنع بما يسمع :

ـ وبيتي .. كنت أدفع أقساطه من الساعات الاضافية ومن جانب من راتبي . والآن ؟!

ـ مهما يكن يبقى لك بيت عليه ديون .. اما الشيوعية « فتشلحك » بيتك وتطردك منه . وايضا .. بناتك . يتعرضن للخطر ويستبحن . فالاخلاق تصبح بخطر .. فهل ثمة هول أكبر ؟!

ومرة اخرى هز كبير المحاسبين الشيخ راسه بحيرة وغمغم :

ـ بت لا أدري أين الصواب . فالناس ساروا في ريو دي جانيرو في الخامس عشر من اذار عام ١٩٦٤ في الشوارع بأعداد بلغت المليوني رجل وامرأة ، يطالبون باليسار والتأميم والاشتراكية وضد الاستعمار الاميركي . وبعد « الثورة » العسكرية ، ساروا من جديد بمثل هذا العدد ليشكروا قادة « الثورة » ، لانهم خلصوهم من اليسار والشيوعية والتأميم والالحاد والروس .

التقط أنفاسه . وعينا مارسيو باتجاه الباب وقد لمح پالميرا تصل في هذه اللحظة الى مكتبها ، بقدها الرشيق المليء وخطواتها النشيطة ، وتتخذ مكانها وراء منضدتها وقد وضعت ساقا فوق ساق ، فبان بياضهما وقد ارتفع فستانها الى فوق عصابتي جوربيها . وشعرها الاسود محلول فوق كتفيها .

علقت انظاره بما يرى ، والعجوز آخذ بالهذر ، وبالرغم من ان هذا المشهد عادي جدا يراه في كل مكان سرى بشكل طبيعي مع موجة تقصير

الفساطين ، الا ان ساقي پالميرا تثيرانه انى شاهدهما وتحدثان في دمه اندفاق الزلزال ، كأنه ما رآهما من قبل وما لمسهما .

ـ وأقول لك بمرارة يا مارسيو ، الغلاء استشرى والاسعار والناس يتذمرون ويتهامسون ، والاستياء عام ، ونسوا الاخطار التي أنقذوا منها كأنها أكاذيب .

★ ★ ★

خرج أوليڤيرا ، وخرج مارسيو في اثره .

پالميرا في مكانها . منشغلة بأمور وظيفتها . وجهها الابيض اللألاء بماكياج متقن ، وعيناها السوداوان كأنهما مرسومتان بريشة فنان ابتكرهما وفق ذوقه وليس وفق قانون الخلق ومع ذلك كانتا تمتان بصلة غير بعيدة للعيون الشرقية من خلال التمازج العربي البرتغالي في البرتغال ، فالسيد أوليڤيرا من اب والده مهاجر برتغالي .

توقف عند پالميرا بينما تابع أوليڤيرا سيره الى مكتبه واغلق الباب وراءه . فصار الاثنان في عزلة . انحنى مارسيو فوقها ليطبع قبلة فوق ثغرها ، الا انها تفادتها بنفس السرعة التي جاءت وتلقتها بخدها المخملي وهي تدفعه عنها وقد مالت بجذعها الى الامام :

ـ ستشوه ماكياجي وتلوث شفتيك بالاحمر .

ـ كيف لي أن أعرف انك غيرت احمر شفاهك الثابت وانا لم انفرد بك منذ اسبوع ؟

جلس بكرسي الى جانبها واستدارت اليه قائلة :

ـحقا لم نلتق على انفراد منذ أن أمضيت يومي في مزرعة زەداموتا ... أليس كذلك ؟

فتح الباب وأطل واحد من ذوي الأردية البيضاء ، الذي اكتفى بنظرة دوارة في أرجاء المكتب وغمغم من بين اسنانه أوكي فلم يعبأ به مارسيو ولا پالميرا ولم يردا عليه بسلام . أوكي ، تعني لا شيء عنده ، الا ان نظراته مباحثية حادة توزعها حدقتاه اللتان تدوران في محجريهما دورة كاملة ، ثم انسحب .

استطردت تكمل حديثها ولكن بلهجة غير مبالية :

ـ وبغيابي لهوت انت ايضا فلم تضيع وقتك .

ـ ماذا تقصدين ؟

ـ لا شيء . فقط انك لم تشعر بفراغ .

من جديد دخل ذو الرداء الابيض . عملاق متورد الوجه أزرق العينين أشقر الشاربين واحتل مقعدا أمامهما وهو ينفخ من منخريه متأففا :

الحر شديد هنا ... جو الغرفة خانق .

أجاب مارسيو :

ـ جهاز التبريد لا يكفي فهو قديم وغير فعال . مثله المكيفات جميعا قديمة ويجب استبدالها ولقد رفعت تقريرا في صيف العام الماضي الى سان باولو .

ـ وماذا كان جوابهم ؟

ـ طلبوا ارجاء ذلك الى مناسبة اخرى .

ـ حسنا . يعرفون ماذا يجب .. لكن « أوكي » ومن هذا القبيل توقيفهم الانتاج ..

كان يتكلم بلهجة انكليزية يقطع الكلمات ويجزئها بلا مراعاة لقواعد اللغة البرتغالية . ودخل مع السيد مارسيو في حديث عن ـ ايقاف الانتاج ـ مستفيض :

ـ يجب صرف ٦٠٪ من العمال المياومين في خلال الاسبوع الاول . والـ ٤٠٪ في خلال الاسبوع الثاني . كذلك ، لا توقيت ليلي . لا ساعات عمل اضافي . أووه سنيور مارسيو .. الادارة في سان باولو تعرف اللازم . قرار ايقاف جاء من لندن نفسها .. اوكي ؟!

ـ يس مستر اندرسون أوكي .. ثري غوود .

أجاب مارسيو ونهض البريطاني وخرج كما دخل يغمغم بـ أوكي ، وبعد أن سدد الى ساقي باليرا نظرة طويلة . وقال مارسيو لباليرا بنفس لهجته :

ـ لا توقيت اضافي . لا ساعات زيادة . لا أفواج مناوبة .. أوكي

پالميرا .. لا لقاء ولا قبلات ؟! ..

ـ هكذا تريد أنت .

ـ كأنك تمزحين ...

ـ لا . بل أقول هذا بكثير من الجدية .

★ ★ ★

في مكتبه يفكر ويرخي سحبا من لفافته :

... « لندن قدرت . وسان باولو أمرت . ونحن ننفذ . وذوو الأردية البيضاء يراقبون . لندن تخسر في عملية ايقاف الانتاج .. ملايين .. لا تهمها .. واما نحن .. فخسارتنا على قدنا .. صغيرة بالمقارنة .. لكنها تهمنا » .

ضغط زر الجرس فدخلت پالميرا . اتخذ وضعا رسميا وانتفخ عنقه مثل ذلك البريطاني العملاق الحجم . وزم شفتيه وقال بتأن :

ـ سأملي عليك رسالة الى سان باولو .

وما لبث أن بدأ :

باريتوس ١٩٦٧/٢/٢١

ـ السيدالرئيس العام لشركة برادات عبر البحار. تحية. وجواباعلى بلاغكم رقم ... نعلمكم بأننا اتخذنا اللازم وبدأنا في الموعد بتنفيذ التعليمات .. و ..

ثم انتهى . واستقرت نظراته فوق وجه پالميرا . وعاد الى سابق عهده ، بلا رسمية وبلا موقف جدي :

ـ عزيزتي . أين سنلتقي اليوم ؟

ـ لن نلتقي .

لم يفاجأ . واستطرد بصورة طبيعية :

ـ تبدين بأروع سحر وفتنة .

ـ يحسن ان تراني دائما كما تقول .

ـ بالطبع . واقترح اللقاء في نفس المكان والموعد المعتادين .

ـ بالواقع لست متحمسة للقاء ومع ذلك ..

ـ اعتبر الموضوع منتهيا . أوكي . پالميرا ؟..

وقبيل مغادرتها مكاتب الشركة مساء بدقائق التقت بالسيد ماركوس بينا المفتش الاول في الشركة ، شاب ضخم الحجم مفرط البدانة احمر الوجه كأنه مصبوغ البشرة بالعافية . خاطبها بأدب جم :

ـ آنسة پالميرا . يسعدني ان ادعوك الى حفلة زفافي في السبت المقبل بمدينة سان كارلوس . المسافة بعيدة حقا .. ولكن يسعدني جدا حضورك، فأنا اختصرت الوقت .. و ..

لم تفاجأ بهذه الدعوة :

ـ اشكرك على دعوتك اللطيفة وأقدم تهاني الصادقة .

ـ حضورك آنسة پالميرا سيسعد « جوزينا » كثيرا فقد حدثتها عنك مطولا .

ـ حدثتها عني . أحقا ؟.. بماذا ؟

الاستغراب في عينيها . وصفحات راحت تنفتح أمامهما :

ـ مجرد حديث عن زملائي في العمل .. وعنك بالتخصيص قلت لها..

تردد .. وجهه الاحمر ازداد انتفاخا .. وما لبث ان قال :

ـ لا يهم ماذا قلت وانا اشدت بك ، وأردت ألا أخفي عنها شيئا . وأعلمتها اننا اصدقاء .. و ..

ـ وماذا ايضا ؟

لم ينبس وتولاها الاضطراب بدورها . وقالت كالمعتذرة :

ـ لعلك حاقد علي يا ماركوس . فأنت تريدني ان احضر زفافك لتتشفى بي . انت نفسك قلت انك اختصرت الوقت . لا بأس ، أرجو لك السعادة من كل قلبي .

غصة في صدرها . كلام كأنه بركان خامد . تجاوزت اول منعطف وقد وصلت في أفكارها الى نقطة التأزم . ومر بها ماركوس بسيارته وشاهدته من غير أن يشاهدها ، ولمحت وجهه وهو يقود سيارته ببطء ، فخيل اليها أنه مملوك للحزن . وأتاها صوت أخرجها من انسراحها :

ـ ها أنا لم أتأخر عن الموعد .

اوقف السيارة وفتح بابها فدخلت . ولاحظ مارسيو وجومها وما انطبع فوق وجهها الفاتن من آثار تفكار غير مفرح فخاطبها ممازحا :

ـ ماذا حدث ؟ هل مات احد ؟ أم ان ماركوس هو السبب ؟

ـ وما دخل ماركوس ؟

ـ سيتزوج . فهل انت نادمة ؟

ـ انت تهذر يا مارسيو بغير مسؤولية ، وانا احبك وهذا كل شيء .

ـ لكنك تشعرين بوطأة الحياة معي ولعلك تتساءلين لماذا لست انا التي ستزف الى ماركوس ؟..

ـ انت مخطىء .. فأنا لا احبه والا كنتها ..

أوقف السيارة امام بيت منعزل في حي خارج المدينة . تحيط به حديقة مسورة وأشجار باسقة . وأول ملاءات المساء تراخت فوق الاشياء والسماء بدت في زرقة داكنة ومال الطقس الى برودة مسائية معطرة بشذا أزهار الفتنة الثقيل .

لف ذراعه حول خصرها ومالت على كتفه بكتفها وهي تفتصب ابتسامة شاحبة كضوء اول الليل ، واجتازا البوابة الحديدية الى الداخل بحرية زوجين لا غبار عليهما ولا حرج .

★ ★ ★

استقبلتهما امرأة خلاسية في مقتبل العمر ، مبتسمة وعيناها تبرقان وجلسا في قاعة فرشت بأثاث فخيم وما عتمت الخلاسية ان سألتهما ان كانا يريدان شرابا .

ـ كأسين من المارتيني مع الثلج . مارتيني مز .

عاد مارسيو بنظراته الى صديقته فاستقرت فوق وجهها وشفتيها المليئتين فلاحظ انها غيرت لون احمر الشفاه الى لون الكرز الزهري . واستقرت منه النظرات بعدئذ فوق عنقها وصدرها وركبتيها .

جالسة وهي جامدة النظرات سارحة في دنيا لا يعرف مارسيو ما تكون . عادت الخلاسية الجميلة تحمل ما طلباه وأخرجت الفتاة من أفكارها قائلة وهي تغمز بعينها :

ـ لست على سجيتك آنسة پاميرا . خذي فورا بعض هذا المارتيني ، اني مزجته بشيء من « الجين » وكثير من الثلج وسترين كيف سيفعل فيك فعل السحر . ويخرجك من سوداويتك . هذا بالرغم من ان السيد مارسيو يفضل المارتيني صرفا .

تلقى مارسيو الكأسين وقدم واحدة لصديقته وهو يغمز الخلاسية بعبث وموافقة على كلامها :

ـ ان « مانويلا » على حق فأنت بحاجة لهذا الشراب يا عزيزتي واني أراك كما لو تدخلين هذه الدار للمرة الاولى .

ـ بل اني تمرست بدخولها حتى صارت كأنها بيتي .

مستاءة . نهض . قرع كأسه بكأسها وهي بغير حماس .

مانويلا خرجت . قال :

ـ لا بأس ، لا بأس اذا لم نعقد الامور .

ـ أيكفي هذا ؟..

لم يجب ، وفاجأته :

ـ لماذا لا نفترق ؟

كاد يصيح ، تمالك اعصابه . قال بحدة وخفوت :

ـ بيننا حب وشوق . بل لهفة متبادلة .. لا . لا .. انت مشوشة البال . زواج ماركوس أثر عليك .

ـ لن أجادل في هذا ، فأنا كأي فتاة أحلم بالزواج ، واذن فلماذا لا نتزوج ؟

ـ بالواقع حبي لك يقودني الى مثل فكرتك ، والناس يتزوجون بدافع

حب أقل من حبنا ، لكنهم يملكون زمام أمورهم . انا لا املك .

ـ انت حر منذ حصلت على الحق بالهجر (بالتفريق القانوني) وانفصلت عن زوجتك لسنين مضت . بمستطاعك ان تتزوجني في جمهورية أوروغواي .

(ـ ماذا تريد يا مارسيو ؟

ـ شيئا قليلا أريد.. التفريق القانوني بعد ان تعذر الطلاق في البرازيل.

ـ التفريق القانوني .. اذن تهجرني ؟!

رددت الكلمتين شاردة الذهن وقد طحنتها المأساة :

ـ أتراه يعادل ما تريد ؟

ـ بئس قانون لا يسمح بالطلاق .

ضارعا يستجدي حبها . وقاسيا يفرض الطلاق . التبس الامر عليها. فقد انقلب زوجها الى وحش عنيف ، بعد عشرة السنين وانجاب البنين .

ملء اهابه الصبر والطيبة وربما الثقة بها كالتغاضي . ثم فجأة يقاضيها . شغفت به حبا حتى الجنون وهامت به . شباب ريان ووسامة واناقة ونفس متواضعة ورجولة .. وجاءت الايام وتقلبت الايام ومراتب الحياة تبدلت .

ماذا حدث لعينيه الضارعتين ؟

صوته هادر بالعنف والقسوة :

ـ أحلك من جرمك وتحلينني من الرباط .. الاقدس ، فتفاهة صار الرباط .

جمدت وفقدت النطق ، واستجدت عيناها رحمة فلم تجداها .. قسوته شنجت عضلات وجهه :

ـ وتذهبين اليه حرة من كل قيد ، لا زوجة تتسلل الى مدار العشيق.

حاولت قولا .. لكنه صاح :

ـ بل اخرسي) .

ـ كلا يا پالميرا . وأولادي . والنفقة التي أدفعهـا لها ؟! أحـوالي لا تسمح بهـذا الترف .

صاحت بغيظ واستنكار :

ـ الزواج ترف ؟ ترف ؟!

مدت الخلاسية رأسها من الباب المفتوح وكشفت عن صفين ابيضين من الاسنان وهي تقول بمرح :

ـ بل ضرورة . ضرورة . انا سأتزوج قريبا ..

ـ اسكتي واذهبي الى الجحيم .

قهقهت وهي تتوارى . وما لبثت ان مدت رأسها ثانية :

ـ الغرفة جاهزة .. . هل تريدان كأسين آخرين ؟

أمسك بيد صديقته وقد بارحه حنقه وقادهـا عبر رواق ضعيـف الاضاءة ودخل بها الى غرفة جانبية واسعة . همس وهو يطوقها بذراعيه :

ـ لا تفسدي الحب بالزواج . لقد جربت وما كنت اسعد مني الآن .

حاولت التملص وما استطاعت . شدها اليه ببعض العنـف حتى تلاصقا كجسـد واحد .

ـ لن يدوم الحب طويلا هكذا ، ولا بد ان يعلم ابي بالامر .

ـ لن ندعه يعرف .

ـ انه مريض . واخاف أن تقتله الصدمة اذا علم .

ـ حسنا يا عزيزتي . لننس هذا الامر .

ـ ننسى ؟! وهو مريض . ضغطه مرتفع . أعصابه مرهقة . قلبـه عليل . قد تهلكه الصدمة هو الذي يحسب ان في بيته ابنتين مثاليتين خلقا وسلوكا . ولا يعلم ان واحدة منهما سقطت والثانية تحاول انت يا مارسيو اغراءها بالسقوط .

أفلتها منتفضـا :

ـ ماذا تقولين ؟!..

ـ اقول تماما ما سمعت وأضيف انك تعدها بالحلوى وبالسرير ..

ـ انك مخطئة . ولهذا ظننت انني لهوت بغيابك ؟ بل ان ما حدث غير ما تتصورين . شربت جنديرا وأفرطت فسكرت وانخرطت في رقص محموم وحام حولها بعض الشباب القراصنة فأخذتها بسيارتي الى المنزل وتسلمها والدك مني وأفهمته كل شيء .

ـ واغتنمت الفرصة لتقبلها ؟

ـ لم يحدث هذا .

ـ ووعدتها بحلوى الجلاتين ؟!

ـ صحيح . انها ما تزال صغيرة . الحلوى تغريها . استكانت لنصحي وأحسست بأنها ما تزال طفلة فوعدتها بالحلوى .

★ ★ ★

تسللت باليرا عبر الممشى الى غرفتها بلا ضوضاء واضاءت المصباح فراعها الفراش الوثير بملاءته البيضاء الذي تنام عليه اختها ، لم يمس ، فاستلقت بفراشها .

سنة من النوم أخذتها حتى اذا ما شع النور في الغرفة فتحت عينيها، وفركت أجفانها .

الوجه الفتي الطفولي الملامح . غير ممكن . الواحدة بعد منتصف الليل!

ـ لا اصدق . لا اصدق . اطفئي الضوء كي لا أراك .

الفتاة الصغيرة اهتزت رافضة . وغنجت بغير ما رشاقة :

ـ وماذا يجدي الظلام ؟ هل تغير الاستار الاخبار ؟

وجهها متشرد غريب . باليرا تراه شقيا مبتذلا . يفقد هدوء طفولته ودعته . نهضت وتأملت جانديرا التي عانقتها وانخرطت في بكاء وتساقطت دمعات من مقلتي باليرا فوق شعر الصغرى واختنق صوتها وهي تنشج :

ـ كنت انا في بيت أبي وحدي فصرنا اثنتين فماذا سيكون وقد أسن ؟ وماذا بقي منا على مائدة كرامته ؟ أية نفايات ؟!..

صاحت جانديرا بصوت مخنوق وهي تمسح دموعها :

ـ لن ندعـه يعرف .

ـ نحن أتعس التعيسات .

هزت أختهـا :

ـ من هو ؟ من ؟

ـ لا يغير ان عرفت في الامر شيئا .

ـ آمرك ان تقولي .

ـ هو .. ليس الاسم بمهم . أحبني وأحببته أكثر . لم يعدني بشيء وانا لم اطلب منه شيئا ..

صاحت پالميرا :

ـ من هـو ؟

مسحت جنديرا دموعها وابتعدت خطوات وجعلت تخلع ثيابها وبـدا الجسد الانثوي شبه عار ، متناسقا متماسكا ، متحديا . المرآة تعكس لها فتنتها ، وجسدها شبعان .

تناهى الى پالميرا ، ضحك رتيب ، قهقهة او نحيب ، انفلات لا عقلي ، غير مقيد وغير حر . لا تصدق ما تسمع .

ـ رجل .. هه . اه .. كأي منهم . حدث ذلك على غير ما انتظار ، فماذا في الامر ؟ الحب هو طلبي . ولا اريد شيئا آخر .

ـ انك سقطت وما تزالين في طور المراهقة وامامك ثمة ايام موعودة .

ـ نلت بغيتي . لم أكن مخمورة ولا سكرى . سعيت اليه برغبتي .

... « فتحت له بدني وكل رغباتي بانطلاق التي تريد الشيء . جموح الانثى استقر بين احضاني . أعطاني ما أردت . وما أنا بنادمة » .

لطمتها پالميرا فوق وجهها . وصاحت جنديرا :

ـ وانت سرت قبلي في نفس الطريـق ولسنا نحـن فقط . انهن

جميعا مثلنـــا .

أفاق أوليڤيرا . طرق الباب وصوته متقلقل أجش يسأل عما يحدث فردت الكبرى :

ـ جنديرا تتمرن على دورها المسرحي الذي ستؤديه في المدرسة .

ـ بئس ذلك . أيقظتني من نومي . اه .. التمثيل كذب . ومع ذلك الجميع يمثلون . كلها ادوار .. ادوار ..

ـ اجل يا ابي وهذا اعتقادي ايضا ـ وبصـوت خفيض ـ وبئس ذلك الدور .

ضحكت . وضحكت ـ والعجوز يعود الى فراشه ـ تمثل دورا مـا لبثت ان شعرت بأنه حقيقة . تضحك بصدق . بمرارة . وتدمع عيناهـا فتغرق رأسها في وسادتها تبكي بصمت .

وخيل لجانديرا ان اختها الكبيرة تنادي في وهجة الفقدان الروحي والغياب الوجداني ، عشيقها .

★ ★ ★

مر يومان وبعض النهار ومكاتب ـ برادات عبر البحار ـ منهمكة في تنفيذ امر الادارة العليا . ولم يجد السيد مارسيو بينتو وقتا للراحة ، وكذلك السيد اوليڤيرا وكبير المفتشين السيد ماركوس وسائر الموظفين .

ونشط ذوو الأردية البيضاء وكثرت تنقلاتهم في مختلف الامكنـة ، وتوزعت نظراتهم في كل الجهات. وانتصبت أقواس اسماعهم. وأخذت عيونهم تدور في محاجرها دورات كاملة ، حتى أحس جميـع الموظفـين بالاحراج فالامر خطير ، وهم شكوكون . والموضوع تسريح العمال .

قدمت پاليرا الاضبارات اللازمة الى مارسيو ، وكأن ليس بينهمـا شيء غير علاقات الزمالة والعمل ، وكأنهما نسيا الموضوع الذي اختلفا فيه .

وانفتحت الابواب ليخرج منها المسرحون وفق ما جاء في قرار الادارة .. ستون بالمئة ثم يتبعهم اربعون .

التنفيذ يجري بدقة .

تخزين المنتوج يجري ايضا بدقة .

المداخن معظمها توقف عن اللهاث . وما بقي منها على قيد الحياة ، ينفث دخانا رماديا ينساب بثقل وغلظة ، فيضرب زرقة السماء ويمزجها بلون الرصاص ، ويتحدى عين الشمس بستائر كثيفة ترخي الى الارض ظلا أصفر شاحبا .

وعند المساء يثقل الدخان مع ركود الهواء الصيفي في جو حار كئيب صامت ، وجامد فيه الشجر ، ويتهاوى كأنه يسقط مثل الانفاس الملفوظة من الاجواف ، ويترامى منزلقا كالحبال المتلاحمة .

ودخان آخر . هباب في وجه الريح .. نفايات بشرية منهكة . صفراء ضامرة ، تلفظها الابواب المشرعة . والعيون لحظتئذ وحدها تروي حديثا . للعيون لسان ، بل ألف لسان . مليار لسان — كل لمحة عين لسان — في كل مكان وصقع .. وهنا تقول ما لا تقوله الافكار . تعبر بغير الكلمات عن الذي يقع . البطالة .

وكما تتدفق الانفاس الساخنة البخارية من خياشيم الجياد المتعبة ، هكذا تلهث العيون ضيقها وتململها واندحارها وذلها .

العيون اول ما يحس بالانكسار . بالمذلة ويعبر عن النكسة ، والنكبة. السقوط . قبل الدموع . بحياء . بعار . بلا رفعة او كرامة .

المداخن تعبت فتوقفت ، كأنها جذوع نخل بلا سعف ولا أثمار . اشجار متناهية الارتفاع قطعت رؤوسها .

والابواب أغلقت .. وصارت بلا حياة .

ان قرار الادارة العليا قد نفذ .

ان شيئا مما تخطه الادارة العليا من المحال ألا ينفذ .

هذا هو العقل وهذا هو الانضباط .

★ ★ ★

مضى نلسون بدر عبود في الدرب وئيدا . والتفت صوب محطة بنزين ألفورادا . تجاوزها ولم يتوقف . وما بعدت به المسافة عن باريتوس حتى

شعر بضاغط نفسي يتزحزح عن صدره .

زاد سرعة السيارة .

بكامل وعيه . تبخرت خمرة المساء من رأسه .

القصب البري على جانبي الطريق . الانسام في الصباح باردة . محمول بأجنحة . طيور تقفز من جنبات الطريق ضاربة في الجواء الزرقاء . والشمس جوهرة كبيرة لماعة شبه صفراء .

أوقف السيارة ونزل . المزارع ممتدة . المراعي منبسطة . بدأت مواسم الزرع تعطي نتاجها . الحصاد الخير . الابقار تقضم أواخر الاعشاب الخضراء ، قبل ان تبدأ بزوادة الصيف في المراعي المروية بمياه الانهار المحمولة في أقنية .

استقبل اشعة الشمس بكل جسده القوي السامق . رمى الطريق الممتد بخط مستقيم الى بعيد بنظرة شاردة . تنشق عبير المراعي الناضجة العشب . وتوقفت سيارة بقربه وسأله سائقها ان كان يحتاج لمساعدة ؟

– كل شيء على ما ارجو . شكرا .

« اه .. ايها البرازيل العملاق . تلك تقاليد شعبك . يسأل واحدهم من ظن انه بحاجة لمساعدة ان كان يريدها .. »

عصافير فوق ذؤابات القصب البري ، تتطاير لاهية تزقزق فرحة ، وتفرد أجنحتها الدقيقة تحت نور الشمس فتبدو كخيوط ذائبة من الضوء.

نلسون بدر عبود . ابن لبناني مهاجر . هو ايضا مثل تلك العصافير . حر . مستقل بحجم بلد كبير . مواطن يضرب بزورقه أمواج البحر العاتية. يحارب حتى الفوز ويدفع ما عليه من ضرائب للدولة .

انطلقت السيارة . المذياع ينقل اليه سامبا . من اعماق نفس المغني . خلاصة الفن البرازيلي منذ اكتشاف القارة حتى اليوم . سامبا . هو الذي صار الضحية لزخم المستورد من الالحان ، ولكنه الصامد باستشهاد .

... « اي قطاع في هذا البرازيل لم يطرقه المستجلب من الخارج ؟!»

وكأنه وجد في القول سؤالا اكبر من ان يجاوب عليه بكلمات فراح يتابع

النغم صافرا معه ، يؤكد لنفسه ان السامبا غناء لن يموت . فهو تراث الشعب الحساس الاصيل . العائش في مواطنية متميزة بالطفرة العاطفية والنبضة الصاخبة . وهو رقص ، وفولكلور ودموع وحسرة وحب وعبادة جمال . وجنس . وبسمة و « كاشاسا » مستخرجة من روح القصب السكري .

والذكرى في طيات كل نغم من انغام السامبا . امراة معشوقة ، اسمها الاصيل ماريا . بلون خليط . بطابع مؤسس تاريخيا لنصف الف من الاعوام . مزيج من كل دم وكل لون وكل تقاليد . بلا تزمت ولا عنصرية . برازيلية مفتوحة على الناس. أم لشعب كبير. وزوجة لرجل وعشيقة لمحب.

امراة تلد بنتا من صلب قوم ، ولا تعلم الى اي من أصلاب الاقوام الآخرين ستزفها .

انها ام الجميع . وام الامة .

والده بدر عبود . لبناني .

أمه ماريا غرسيا داسيلڤا . برازيلية من اب برتغالي وام اسبانية . أحبها بدر حبا مجنونا في زمن بادىء من أزمان الهجرة السورية اللبنانية ، وكان آنئذ من غير المستحب والدارج ان يتزوج عربي بأجنبية . ولكن بدر عبود اللبناني القادم الى البرازيل بجواز سفر تركي يرفض الفروق ويبصق على العنصرية . ويمزق الاعراف السخيفة .. يصحب ماريا في يوم الى بيته المؤلف من غرفة واحدة ومطبخ صغير ، مجهزين بما يدل على وضع صاحبهما:

ـ هذا يريك من أنا ؟ البائع المتجول . أعمل لآكل .

ابتسمت ماريا . وامتلأت الغرفة بضحكتها . وعانقته وبعد مولد نلسون بعامين تزوجا مدنيا .

سامبا من البرازيل . من باهيا . من ريو دي جانيرو .

فريڤو من الشمال . من پرنامبوك .

كاريمبو من پارا . من الامازون .

تراث مزيج من أقوام أفريقيا وأوروبا واسيا . انصب مع هدير الانهار

ومثار الرياح ونشيج الامطار . فوق الارض البرازيلية فكان الغناء الشعبي والموسيقى الاصيلين .

★ ★ ★

قطع مسافات طويلة تفصله عن « غويانيا » عاصمة ولاية « غواياز » ، وتوقف في « أوبرلانديا » ليبيت فيها ليلته . وفي المساء التقى بڤالتر وخرجا معا الى احد البارات .

وقال له ڤالتر :

ـ منطقة ـ تريانغلو مينيرو ـ لم تعد تلائمني ، بت اكرهها ولعلي بعد ان عتقت فيها صرت مبتذلا . الزبائن تعودوا علي وتمتنت صلاتي بهم الى حدود الصداقة ، مما يشجعهم على التأخر في تسديد الفواتير والسندات ، وكأن الشركة ملكي ، وينسون ان المندوب التجاري هو خادم مأجور في شركة صارمة حازمة لا تعرف للصداقة معنى .

قال نلسون :

ـ هذه ناحية سلبية . اما الناحية الايجابية فهي ان الصداقة مع زبائننا تجعلهم يؤثروننا بطلباتهم على مندوبي سائر الشركات . فلا تنس هذا .

وافق ڤالتر . وقال نلسون :

ـ والسيء ، هو ايقاف الانتاج . واقفال المستودعات على المنتوجات الى اجل غير مسمى .

وانتقلا الى شكوى الحال . فايقاف المنتوجات هو ايقاف الشحن الى الزبائن . وهذا معناه تجميد المدفوعات وفق النسب المئوية على المبيعات التي يحققها المندوبون .

والمسؤوليات . وأجور السكن . والطعام وسائر مستلزمات الحياة الواسعة المتطلبات ؟

شربا قليلا . وسرى مفعول الخمرة سريعا في دمائهما ، حتى لتتخدر فيهما المدارك . ومع ذلك نسيا كثيرا من هموم الحياة ومن آثار قرار الادارة العليا .

توجها الى اوتيل مونوسيبال . وڤالتر يقول الآن :

ـ الحر شديد . وانا متعب ارجو ان يواتيني النوم .

ـ سهرت ليلة امس مع بعض الزملاء ومعنا المدير العام مارسيو .
ضحك ڤالتر وقال :

ـ لا بد انه دفع ما عليه من نفقات السهرة على طريقة شريكك في جيبك.

ـ كالعادة دائما . ويبدو انه على خلاف مع پاميرا وقد لحظت هـذا وانـا في المكاتـب .

ـ أوه . پاميرا تلك الدمية المثيرة .

ـ المرأة الجنسية مئة بالمئة . ملهبة الدماء . دمائي ودماء كل تيس يعيش لنزواته . ما شاهدتها مرة الا وغلت الدماء في عروقي حتى التبخر . تبدو لي ذات تجارب واسعة .

ـ تذكرني بأختها . هل تعرف اختها جانديرا ؟

ـ بالطبع . أعرفها ...

ـ الاثنتان سمكتان ولا اروع .

في نفس ڤالتر ظن . سأل صديقه :

ـ وماذا عن جانديرا ؟

ـ لا شيء .. أبدا .

انعطفت السيارة القديمة بهما الى شارع واسع . الساعة العاشرة ليلا والحركة ما تزال ناشطة في الشوارع الرئيسة . ان اوبرلانديا لا تعيش أزمة عمال مسرحين ولا توقيف المعامل عن الانتاج .

الاضواء متلألئة كأنها ابتسامات فوق ثغور نسائية جميلة تنير الشوارع الحسنة التخطيط ، حتى ليخال انها مدينة كأنثى شابة . كل ما فيها ابن سنين قليلة ، تحب التبرج واغواء الذكر .

توقفا امام الضوء الاحمر ، وانقطع حوارهما .. ڤالتر شارد ونلسون متفكر . جانديرا ترتسم في ذهنيهما ، سمكة ملساء تغري بالاصطياد .

أنغام مستوردة غطت على ضجيج افكارهما ، تنبعـث من راديـو

السيارة . انفتح النور الاخضر .

★ ★ ★

ارتمى ڤالتر كالثقل الميت بفراشه واستغرق فورا في نوم عميق . وعند العاشرة قرع الخادم باب غرفته :

ـ تجاوزت الساعة العاشرة ايها السيد ڤالتر .

ودنت مدبرة الغرف « أولیندا » السمراء وهي مثل مهرة شبت عن الطوق منذ وقت قصير ، وبين ذراعيها ملاءات بيضاء مطوية ، وبيدها حزمة مفاتيح اضافية وقرعت الباب وأدنت اذنها من ثقب المفتاح فلم تسمع صوتا ، فقالت بصوت ناعم ومهذب :

ـ ثمة من يريدك . سيد ڤالتر .

ابتعد الخادم وهو يهز كتفيه نافضا يديه منه وعاودت اوليندا القرع وعيناها تلمعان ببريق وحشي كأنه يتحدى وزمت شفتيها قليلا . ونادت بصوت أقوى لا يخلو من لطف واتزان :

ـ ايها السيد ڤالتر . افتح .

دست مفتاحا من حزمة المفاتيح في القفل وانفتح الباب ، دخلت واغلقته وراءها واضاءت المصباح في الغرفة المغلقة الستائر ، وألقت نظرة على السرير فوجدت ڤالتر ما يزال بكامل ثيابه وحذائه .

هزته برفق ثم بعنف ، وتحرك الجسد الخامل ورفع ذراعه وأنزلها فاستقرت فوق كتفها وما يزال مترنح الاجفان من النوم .

هزته من جديد . فتح عينيه الكسولتين وشاهدها فطوقها بذراعيه بكسل وثقل . وغمغم :

ـ أوه . اذن انت يا اوليندا ؟!

دفعته عنها بغير رفق او لين :

ـ تصنع ما صنعت مرة ثانية يا ابن الداعرة ؟!

ـ اعتذر . يا عزيزتي . شربت فسكرت فنسيت .

ـ اما انا فلم أنس . وجئت الى غرفتك بعد العاشرة مرات فكنت أجدها مغلقة يا ابن القحباء . هل تظن انك وحدك تتأكلك الشهوة ؟ حقا انك تافه . وانا انتظر عودتك وكل بدني يتلظى كأنه يشوى على نار الشبق ايها المخصي .

أخذها بين ذراعيه فحولت وجهها عن وجهه . وعاثت يداه في بدنها المكتنز المليء ، واحتوى ثدييها الضخمين وانتقل الى فخذيها فأزاح عنهما فسطانها وهي تدفعه عنها عابسة مكشرة :

ـ رائحة المرأة الفاسقة في ثيابك يا ابن المتاجرة بعرضها ، ابتعد عني، لن تنالني ولو قبلت كل اجزاء بدني .

ـ انا مستعد فجريمتي بشعة . وذنبي لا يغفره عند الله الا الاغراق في لثم مفاتنك .

ـ لن يكون لك هذا .

تخلصت منه . ووقفت وما تزال مستاءة غير قابلة ان تعفو . ودماؤها تغلي ، كبقايا نار من ليل أمسها لم تنطفىء ولا تقبل اشتعالاً . وتعالى قرع نلسون على الباب وصياحه :

ـ هيا يا ڤالتر . أودعك فهل تريد شيئا من غويانيا ؟

فتح ڤالتر الباب . ودخل نلسون . وانكمشت أوليندا على نفسها قليلا ببعض الحنق وقليل الخشية . وفوجىء بها ، فهتف :

ـ اين الاخرى زميلتك ايتها السمراء . سمعت انها جميلة مثلك ؟

ـ انها في الماخور حيث سهرتما امس يا اولاد الزواني .

ضحك نلسون وعانق السمراء التي تمنعت ثم استكانت ، ولامست بفعل شبه لا ارادي براحتها صدره وهي تتطلع الى ڤالتر متحدية ، فلم يعبأ وهتف بصديقه :

ـ احضر معك تبغا مجدولا من ـ بيرينوبولس ـ غواياز المعطر مع دفاتر ورق الذرا .

ـ حسنا ، وانت يا حلوة ، بماذا توصينني ؟

ـ بليلة أقضيها معك في المرة القادمة تشفيا بهذا المخصي الاملس .

ـ سيكون لك ذلك . تشياو يا حلوتي .

طبع قبلة على خدها وخرج . وڤالتر يصيح من ورائه :

ـ ولا تجلب لنا معك متاعب اخرى . هل انت سامع ؟

★ ★ ★

.. « الحب . وماذا يفسد الحب اكثر من التعسف الاخلاقي . ليس مع الحب مقاييس تقليدية . القوانين المرعية في المجتمع أفسدت الحب . جعلت بين الحبيب والحبيب وهما اسمه الشرف . حتى قام بين الشرف والحب صراع قتل فيه احدهما .

بلغ بي الهذيان أبعد حدوده ؟ أسرفت في الشراب فأسرفت أفكار قرود في رأسي فصدرت عنها مسوخ مشوهة ؟

الحب قيمة . والشرف قيمة . اذا اجتمعا تولدت التفاهة والبغضاء ، الحب حرية والشرف قيد .

الحياة تجري كالماء في أخاديد الارض . هكذا في الناس . والحرية ماذا ؟ أكذوبة اذا عايشت القوانين والاعراف والتقاليد . مثل الشرف أكذوبة لا تترفع عن خداع الناس . فالناس يكذبون بلذة . ما اعجب أمرهم . الحب عندهم لذة . مثل الكذب والشرف مر أو سم .

ويحك يا نلسون بدر عبود . ويحك . كدت تسقط لصا امامهم وقد سهوت عن حقيقة ثابتة . فالحسابات المدفوعة الى شركة ـ برادات عبر البحار ـ بدقة وبموعدها وغير منقوصة هي في قانون اصحابها وكبار موظفيها مقياس الشرف ومتفرعاته من امانة وصدق واخلاص » .

(عندما كنت أعمل في مؤسسة مونتي ڤردي حزت على المكافأة السنوية مرتين . ورفضتها في السنة الثالثة . فأكون قد حققت الرقم القياسي للبيع ثلاث مرات متوالية .

السيد كونت دي مونتي ڤردي بشخصه بانتظاري في قصره . واقف بكثير من النبل . صبوح الوجه رغم سنه المتقدمة . يخيل الي أن كل غني قادر على ان يكون وسيما . فكما عند النساء . مبتكرات الجمال . تنعيم

البشرة واكسابها الحيوية بتمرير شرائح التفاح فوق الخدود وحمامات الحليب . كذلك امتلاك الذهب يكسب الوجوه نورا أسمر ووسامة .

الكونت بذاته أوقد اول شمعة على المائدة وأضاء الخدم سائر الشموع . عشاء على ضوء الشموع يا نلسون يا ابن الـ ـ توركو ـ السوري اللبناني . يا محقق الارقام القياسية الضخمة فوق اللوح الاسود ؟!

ويقول الكونت بصوته الجهوري الاحتفالي : «انك يا سنيور نلسون بدر عبود رفعت اسم باعتنا ومندوبينا عاليا . قد ينحدر الباعة ويتدنى الانتاج. الا ان الرقم الذي حققته لشركتنا هذا العام .. سيظل طويلا يذكر في مرتبة الشرف بين الاعمال الكبرى عند موظفينا » .

في العام التالي . كان الرقم اضخم . وتشرفت بنيل المكافأة الكبرى: العشاء مع الكونت .

في العام الثالث . أحدث الرقم الذي حققته ضجة ، بل رجة كبرى . ورفضت المكافأة .

وبعدها تركت العمل في مونتي ڤردي) .

★ ★ ★

دقت الساعة في ـ برادات عبر البحار ـ واوقفت الاعمال مع نهاية الاسبوع الثاني على تنفيذ القرار .

وكان آخر أزيز الصافرة في الرابعة مساء ، وانصرف العمال وتوقف قلب المداخن . وما لبثت أن أغلقت الابواب وأضيئت الانوار في مداخل المصانع والردهات ، تحت حراسة دائمة . وانسحب أصحاب المآزر البيضاء الى الحي المخصص لسكنهم .

جر كبير المحاسبين اوليڤيرا مونتيرو دي باروس قدميه متعبا واهيا . يدب النقرس في أطرافه كأنه علاوة أتته فوق علله . واستعرض شرائح نهاره . يوم عادي مليء بالعمل . ليس من شأنه ان يوهن قواه او يكتم أنفاسه أو يسيء مزاجه . وتوقيف الآلات لم يصل بعد الى دفاتره وحساباته، فيخفف من ضغط الارقام فيها وتدقيق حساباتها .

لكنه تعب يقتله الاعياء ، حتى ليحلم بيوم جميل يحال فيه الى التقاعد

بحساب صندوق الضمان الاتحادي فيركن الى القعود في منزله يعنى بحديقته ويروي ورودهـا .

لم تعجبه الفكرة .

ضمان لا يغنيه .

وانقطاعه عن عمله الاضافي انقطاع مورد .

.. « كل هذا قطع أرزاق . فيا حلاوة التعب مع المال » .

اما التعب النفسي فليس الا من قرار ايقاف العمل . ضغطه يرتفع ومع الراحة يرتفع ايضا ، فغدا .. فكر :

.. « ماكنات الشركة ساكنة . وذوو الاردية البيضاء كانوا في حركة دائمة خلال الاسبوعين المنصرمين ـ وبارومتر ـ « مسبار » مراقبتهم جعل عيونهم تدور في أبياتها دورات عجائبية كاملة .

همس مارسيو في اذنه :

ـ يخافون من أعمال تخريبية كردة فعل على التسريحات .

فرد اوليڤيرا العجوز المجرب :

ـ هل نسوا ان المسرحين برازيليون ؟ نحن شعب ميـت . برازيلي لا يتحرك . خلق ميتا فكيف يتحرك ؟!..

ـ بالواقع . الثورة قضت على الاضرابـات والفتن .. وتجمعـات العمال والمطالبة برفع الاجور .

ـ الثورة المجيـدة ...

ـ اخفض صوتـك .

انتفض اوليڤيرا وسدد نظرة حادة الى مارسيو كأنه يتحدى القوى العسكرية بحرابها وأكعاب جزماتها ومع ذلك قال محاذرا خافضا مـن صوتـه كالهمس :

ـ بل المجيدة .. المظفرة . أول نيسان . وماذا صنعت للشعب ؟ لنا

نحن ؟ وأين راحت آمالنا فيها ؟

تدخلت پالميرا :

ـ يا والدي العزيز . وما شأننا نحن بها !!

ـ لا شأن . لا شأن ؟! ألسنا من هذه الارض ؟!

أجاب مارسيو ببعض الحدة :

ـ اجل .من موات الارض . برازيليون تسري في عروقنا دماء الرقيق. كأن هذا القول ضوء أخضر اجتازه أوليڤيرا :

ـ اننا مزيج أقوام وخليط ألوان وعروق ومباصق امم وشعوب ، كالمومس لكل قادم . فماذا يرجى منا ؟!

ـ ان التمازج في الاعراق والشعوب ، هو عملية تلقيح ـ مثل تطعيم الشجر ـ يكدس الخبرات ويكسب التجارب ويحسن الذرية عند البشر .

ـ حسنا . حسنا يا مارسيو .. انا قبل كل شيء لست عرقيا ولا عنصريا .. لكننا ـ وهذا رأيي ـ أشباه المواطنين .

قاطعه مارسيو :

ـ الاحسن ان ننصرف عن هذا الموضوع .. ها هو ..

وسد الباب المستر « أندرسون » بحجمه العملاق . وتطلع ولم يبد انه تطلع وأطراف نظراته استقرت فوق « ديكولت » پالميرا ، الذي يظهر منه نهداها العارمان الفجان .

★ ★ ★

جانديرا في دربها الى المدرسة .

صبية كثمرة لامستها حرارة الصيف فبعثت فيها دفء النماء وأنضجتها وصارت دانية القطوف . تلاحقها العيون بنظرات راغبة شبقة تلامس اجزاءها النافرة قطعة قطعة . من قوسي حاجبيها الى تفاحتي خديها الى شفتيها . فكيف توفر صدرها الناهد الصغير الحجم الواعد بأكثر مما يبدي ارتجاجه . وبخصرها الدقيق المضموم بفسطانها الحريري

وقد ارتعش متمايلا برشاقة فاهتز بوقار ردفاها المتمردان بغير نزق .

تستمرىء نظرات الرجال اليها . وشعرها يتراقص وعيناها الى فوق وجبينها مرتفع كأنها لا تراهم وهم يتلقفون بعيونهم شرائح بدنها المثير كما الكلاب الجائعة لقطع اللحم المرمية .

تستطيب عذابهم بها .

تمعن في اغوائهم الى حد الاستهتار .

منذ تلك الليلة الصارخة الحدث الكاتمة الصوت قطن في عينيها طائف غريب وارتسمت قسمات وجهها بفائر الانثى ـ المرأة . فقدت شفتاها وعيناها ملامح الطفولة . ثقلت بين يديها كتبها المدرسية وصارت تتعجل آخر الشهر موعد وصول مندوبي شركة برادات عبر البحار الى باريتوس .

حدث في نفسها تحول كبير شمل كل تفكيرها واخذها الى عالم خاص له مفاهيمه وقيمه الخاصة . وفي حياتها حل امتلاء بعد فراغ كساعة الوقت تحتاج الى الملء باستمرار لكي تعمل .

أيامها لم تعد رتيبة . تستيقظ في الاصبحة من نومها لتدخل في أحلام لذيذة واقعية ليست من وهم الخيال . فتخلو في حجرتها الى نفسها ووالدها واختها مضيا الى عملهما ، وعندئذ تكون حجرتها مأوى الفتاة العذراء .

لكل انثى حجرة عذراء في دار والديها .. حتى يجيء الرجل فيطرحها فوق الفراش . وكثيرا كما في هذا الصباح ـ أحست بتحررها من ـ الوهم ـ الذي لازمها منذ ولادتها ، فنضت عنها ثوب النوم وانتصبت امام المرآة ، بالثياب القصار ، تقيس ما لا يقاس من سحر وفتنة احتواهما جسدها .

الفنان لا يحسن تقدير فنه بدقة وحذاقة . قد يخطىء في تقديره او يصدق . اما الانثى فتعرف مدى ما هي عليه من جمال . لا تغلط بدرجة واحدة من مئة . أما أمام المرآة .. فلا يمكن بحال ان تسقط في الامتحان.

النهدان بأوصاف هذه ... والبطن والذراعان والفخذان والخصر .. والردفان .. والساقان .. والوجه بمحتوياته .. تخطىء المرآة . اما هي الانثى فلا تغلط في رأيها ببدنها .

وقفت جانديرا مرارا في محكمة المرآة وخرجت من لدنها ظافرة

ومدانة معا . مدانة بجرم تعذيب الرجال واثارتهم ورفع درجة ضغطهم الدموي .. واحداث دبيب زلزال في عروقهم .

لكنها في هذا الصباح ، خرجت مدانة بحكم جديد وآخر الشهر يقترب همست في نفسها لبدنها :

... « ارض عطشى » .

تحسست بأناملها مواطن فتنتها ولامست خصرها وبطنها وصدرها . وأسرت بعدمية ويأس :

.. « جسد ظمآن ومنفلت من الاغلال ومحروم ولا ما يمنعك » .

سرح فكرها .

تيقظت فيها ثورة المرأة على عنكبوت المرأة . خيل اليها ان المرآة تجعدت كعجوز مزمنة العمر ، وتشققت فوق بشرتها وارتسمت عليها خطوط وترابيع وزوايا ... يصبغها لون رمادي كثيف دبق مثل خيوط العنكبوت ، وهي الآن حول جسد المرأة . تأسره . تستعبده . تغله وتبقيه غير آخذ ولا مانح . باردا . متململا . فائرا . منفعلا .

ويظل هكذا حاله باحثا عن شيء لا يدري ما يكون . ويمتد به الزمن الى عام . سنين . الابد .. الا ان يأتي رجل فيفك وثاقه ويمزق ـ الوهم العذري ـ بفحولته فتتفكك خيوط العنكبوت ويختفي اللون الرمادي اللزج وتعود الانثى انثى ، كما ولدتها قوة الخلق ، قبل ان تستعبدها قوانين الرجال .

المرآة ظل . تتحدث عن الظمأ . ولا أثر لعنكبوت . وتقول بصوت الشوق ولا سلطان لقانون . والانثى تستجيب لنداء بدنها فتعطي وتأخذ وتطلب .

ضاعت مرآة الزجاج . جانديرا في مرايا العيون في الشارع العريض تعكس جمالها من كل الزوايا في الجهات الاربع وفي الفوق والتحت .

.. ما خلقت الا للحب . جانديرا . أقنوم في أكثر من ثلاثي الصفات .

الانثى مملكة مكتملة كالطبيعة نفسها » .

★ ★ ★

ڤالتر دخل باريتوس متوجسا مذعورا ، يتوقع مضاعفات خطيرة ، حتى اذا ما انهى عمله غادرها بالسلامة ، فتنفس الصعداء .

جانديرا تنتظره . وحل اليوم الثامن والعشرون ولم تره فتملكها القلق والحزن ، وتحول شعورها نحوه الى نقمة عليه .

الجوع للحب لا يشبعه غير لقاء الجسد بالجسد . تفجرت الرغبة في جسدها المنفتح على الجنس بعد تحرره من القيود ، فأي دافع آخر رماها بين ذراعيه ؟

تلفنت الى مكتب الشركة فرد عليها صوت يقول بأنه جاء وغادر وهرعت تتلفن الى ـ اوتيل دوس فياجانتس :

ـ اريد ڤالتر .

ـ سافر .

في غرفتها العذراء . أحست بالفراغ . لم تحدثها المرآة بشيء . ماتت في ذاتها زهرات تفتحت . حل الصقيع . البعد . اليأس . جسدها المعد للرجل منذ ثلاثين يوما صار هامدا .. جثة .

من اين كل هذه الحرارة ؟

بدنها حار وجاف .

حلقها . صدرها . أطرافها . أنوثتها . أحلامها . رغباتها . جمالها . كل هذا في غير مكانه وزمانه . تهذي . أيقظتها يد هزتها برفق ومحبة . بكت على صدر پالميرا .

★ ★ ★

أطال نلسون بدر عبود النظر في وجهها وعلى فمه ابتسامة وقحة متحدية . پالميرا وراء طاولة عملها وخصلات من شعرها استراحت فوق نهديها النافرين . وعيناها لا تبديان ما يجيش في صدرها الى ان رفعت

رأسها لتواجه نلسون الذي يفكر ضمن المعادلة التالية :

.. « ان الشجرة تظل في الحصانة الى ان تقطف اولى ثمارها فتصبح بعدئذ رزقا حلالا . كذلك الانثى في حصانة الى ان تمس للمرة الاولى فتصبح بعدئذ كال ـ تابو ـ المنثلم ـ » .

شعرت بنظراته ثقيلة تقع عليها بشبق فظ ، فتطلعت اليه متحدية وغرست فيه مخالب نظراتها بمثل ما غرس . ابتسم . لم تبتسم .. قال لها .. لا . لم يقل شيئا . ضاعت ابتسامته الوقحة، وبقيت نظراته الجريئة مسددة اليها .

لاحظ مستر أندرسون ، ما جرى وخرج نلسون قبيل دخول مارسيو الى مكتبها بدقيقة او اقل . اما الرداء الابيض فلبث قليلا ثم انصرف وسألها مارسيو باهتمام :

ـ فيما اضطرابك ؟

ردت بحركة من يدها غير ذات اتجاه وهمس لها :

ـ تبدين كلما حاقت بك عيون الرجال أجمل واروع .

احتفظت بصمتها ورجعت الى ـ الكاتوبة ـ تنقر فوق مفاتيحها بأنامل نشيطة ورجع مارسيو الى مكتبه وسرعان ما أحس بالضجر وتصبب وجهه بالعرق .

بات في شك من امرها . لا يفهم حقيقة ما انتهت اليه مشاعرها وما تغير فيها . وذلك البريطاني مستر اندرسون ، يتردد عليها ويجلس اليها ويتحدث بكثير من الاهتمام والابتسام .

وهو مارسيو ، حبيبها وعشيقها . بلا قيد ولا شرط . تطالبه مؤخرا بأن يتزوجها وانه لسعيد معها بغير زواج . يمد يده اليها متى اراد ، فلماذا اذن يتزوجها ؟

يشغله امرها حتى ليبلغ حد الهم . قد تلح بالزواج ولا تتنازل عن طلبها وتمتنع عليه وتتركه . فيفقدها هي التي لا تكلفه مالا شيئا فيفقد فيها احسن من عرف من النساء .

استدعاها الى المكتب ، فأطلت بصدرها الناهد ووجهها الجامد : .

ـ ماذا يريد السيد المدير ؟

ـ ادخلي واجلسي .

نهض واقترب من مقعدها :

ـ پالميرا . يا حبي . اني تعيس معذب ..

ـ لا ارى في وجهك ما يدل على هذا ، وتزداد سمنة كحصان مرفه .

ـ لم تعتد قسمات وجهي بعد على العذاب فهو طارىء جديد .

مسح العرق عن وجهه وعاد الى مقعده وهي كأنها غير متأثرة او موجودة.

ـ بامكانك الانسحاب .

أغلقت الباب وتوارت تسحب وراءها عطرها المثير . وضع رأسه بين راحتيه وضغط عليه . واحس انه يفقدها شيئا فشيئا . وتملكه الحزن .

عاد ماركوس پينا كبير مفتشي الشركة من شهر العسل يحمل بين ما يحمل من حقائب ، زوجة عروسا ، سمراء بدينة بلا افراط ذات عينين سوداوين جميلتين وردفين ممتلئين لا يخلوان من اثارة ، ووجهها ينطبع بملامح هدوء قروي يدعمه ادب وحشمة في الزي . الى جانب ثقافة متواضعة تملكها عادة معلمات الريف .

الا انها كانت ما تزال مترددة في ايمانها المطلق بزوجها وهي تلاحظ تصرفاته حيالها وردود الفعل التي تصدر عنه بالنسبة لتعاملها معه . فتصغي اليه بذوق وأناة . وتتفرس في حركاته كما لو تقرأ في كتاب . وعندما أتت پالميرا الى ـ اوتيل دوس ڤياجانتس ـ الذي سكن فيه ماركوس مع زوجته السيدة جوزينا ، استقبلتها هذه بترحاب جم وتقبلت تهانيها وهديتها بشعور لا يخلو من ظنون قد أسرها جمال پالميرا ، بل راعها .

وطوال الوقت ، لم تغادر البسمة شفتيها المليئتين وهي تحصي بلا افصاح على زوجها وزميلته تصرفهما وتحلل كلماتهما ، ورغم ما لاحظته من براءة بينهما فقد اتخذت الحيطة وهي من نوع المرأة الغيور ، كاتمة المشاعر، المتحفزة ، كهرة مسالمة الى حين .

الغيرة . شعور من صميم تكوين المرأة البرازيلية ، البرجوازية ، والشعبية والعادية ، لا تسلم رجلها الى سواها مهما تكن البراءة هي العلاقة

بينهما . وتغار عليه حتى وهي تكرهه ، بل وهي تخونه .

غادرتهما باليرا وهي تفكر مرغمة ، بأن هذا الرجل البدين الوسيم الشديد التهذيب حتى الحياء ، كان يمكن ان يكون لها هي رجلها . زوجها . ملكها لو ارادت ، لكنها فتحت يدها لتلك القروية الذكية البدينة السمراء المتواضعة الجمال ، فالتقطته بلا عناء .

وتشعر بنقمة ، ربما من جراء مقارنة يقوم بها عقلها الباطن ، بين مارسيو الذي تحبه ولا يريد ان يتزوجها ، وماركوس الذي يحبها ولم ترد أن تتزوجه .

.. « ـ آنسة باليرا . انا اعرف كل شيء ، لكن حبي لك فوق هذه الاعتبارات البورجوازية السخيفة ، انك تسعدين اليوم معه ، وفي الايام المقبلة ماذا سيكون منه ؟ انت شابة وطيبة القلب من معدن غير معدنه واما هو فليس كما تحسبين » .

ثارت في وجه ماركوس ولاحقها بأدبه الجم وعاطفته الحارة المتزنة وكان يخاطبها بكلام خارج من كتب الفرسان في القرون الوسطى وبمثل اشعار سيرانو دي برجراك ، يستعطفها أن ترضى به زوجا امام الدين والناس بعقد زواج مشترك التملك . وهمس مرة لها بصوته المهذب :

ـ لست بحاجة للوظيفة ولولاك ما بقيت في هذه الشركة وقد ترك لي والدي ثروة كبيرة . أنا فيها لاراك واكون الى جانبك .

رفضت كلامه :

ـ عبثا تحاول يا سيد ماركوس . أنا لست سلعة تشترى بالمال .

بان الالم في وجهه وتحول شعوره باستعطافه لها الى حس بالمهانة وغادرها متأزما ناقما .)

★ ★ ★

تراجع دفاتر ايامها وهي ماضية عند المساء الى بيتها . هذا النهار تفرس نلسون في وجهها وتسللت نظراته بكل جرأة ووقاحة الى فتحة ثوبها فوق صدرها يغرقها في لحمها . ابتسم لها بصفاقة فقابلته بالتحدي

وبابتسامة هزء ، فلم يكف عن غروره . ولم تكف هي عن تحديها الى ان قطع المستر اندرسون بحضوره تراسلهما العدائي الاغرائي المتقلب .

تلاشت صورة ماركوس الان وقد طرأت في مرسم خيالها كلمح البصر صورة نلسون ثم ظهر فجأة الى جانبها وابتسامة كالطيف ساخرة وقحة فوق ثغره وهو يميل بفارع عوده عليها ، حتى لتبدو الى جانبه باعتدال قامتها كأنها متأبطة ذراعه .

ـ پاليرا . أنا مغرم بك حتى الجنون .

تابعت سيرها كأنها ما تزال وحدها . والخبيث العاشق يقول الان وعيناه عابثتان بابتسامة :

ـ انك مغرية اغراء أقوى من قوة احتمالي .

تذكر الشجرة المثمرة رمت واحدة من نتاجها الى فم جائع . فصارت في زعم الارادات المحمومة رزقا مباحا ، فالتهبت دماؤه برغبته فيها .

ـ ادعوك الى عشاء ساهر . أكون سعيدا اذا قبلت .

صوت خشن فيه رجولة ، يحاول ان يفرض ما يريد .. لا تبالي به وبدعوته :

ـ وفرها لغيري .

ـ ليس غيرك في نساء الارض من تستحقها . فهل تقبلين ؟

ـ من يدري ؟! قد يجيء يوم واقبل .

ـ متى . أيكون غدا ؟

ـ اني داخلة منزلي فانس حديثنا .

.. « وغد جميل . رجل يرضي النساء » .

توقف وهي تميل الى باب الحديقة الحديدي ، وتصفقه وراءها . خرج نلسون من شروده السريع على صوت ناعم متناغم يسأله :

ـ ايها السيد . هلا اسديت لي خدمة ؟!

ـ من ارى ؟ جانديرا ؟

ـ وتعرف اسمي ؟!

ـ ومن لا يعرف اسم أجمل فتيات باريتوس !؟

امتلأت بشعور الرضى .. ولكن ..

ـ انت تضحكني .. ارجو ان تؤدي لي خدمة .

ـ بل الف خدمة ، بالامر انا دائما .

مد راحته مصافحا فأودعتها انامله :

ـ أسألك عن ڤالتر ..

ـ زميلي ڤالتر ؟ اجل . أرى انه محظوظ جدا .

ـ متى يأتي الى باريتوس ؟

ما يزال ممسكا يدها . فسحبتها برشاقة :

ـ يأتي بعد شهر في موعد المحاسبة . أو قد لا يأتي .. من يدري .؟! واني لأحسده واغار منه الآن .

عيناه تأكلانها وكأنهما تقومان بتعريتها وكشف جسمها المثير بتقاطيعه التي يؤلف كل منها سحرا يفيض على اكثر من امرأة واحدة .

ـ بلا عبث أو مزاح . فأنا أسألك عنه فقط . أريد ان اراه . فهل ترشدني الى عنوانه ؟

ـ هل جننت ؟ وهو متزوج وله اولاد ؟

ـ اعرف انه متزوج . وانا لا اريد منه شيئا . التقينا مرة في نادي باريتوس الرياضي وتحدثنا .

ـ وماذا جرى بعدئذ ؟

ـ رقصنا .

ـ وبعدئذ ؟

الخبث في نظراته . تهز بكتفيها نافضة يدها من خدماته .

ـ حسنا . وداعا .

مرة ثانية اصطفق باب الحديقة . مضى وابتسامة صفيقة فوق وجهه، يصفر لحنا صاخبا .

★ ★ ★

ضاع نلسون بدر عبود في زحمة الشارع ، كان قد ترك سيارته امام بار كاجو اميغوس ، وجعل يتنقل مشيا على قدميه يتذوق حرية الانطلاق بلا هدف ولا وجهة . الحياة تشوقه بكل ألوانها ـ فالحسابات أداها بدقة وفي ميعادها ـ . وهو الآن لا يعبأ بأمر . وقد ضحك وفي عينيه قهر وحشي عندما تسلم من امين الصندوق عمولته الشهرية ، شيكا بأربعة آلاف كروزيروس قديم .

(ـ ما معنى هذا ؟

لم يجب امين الصندوق . والتقى وهو يخرج بالمدير العام :

ـ اليك سيد مارسيو .

ـ ما هـذا ؟

ـ هدية متواضعة . وقعت على ظهره . ثمن كأس من الويسكي الوطني وقليل من الموالح . قد لا استطيع دعوتك الى كاجو اميغوس . فأنا طفران .

ضحك مارسيو وغيب الشيك في جيبه :

ـ سأشرب على صحتك . لكن هل وقعت حقا على ظهر الشيك ؟

أما اوليفيرا الفاهم بالارقام فعلق على تلك القبوضات التي يتسلمها مندوبو الشركة ، بأن الامر شديد الخطورة وان على هؤلاء الشجعان أن يموتوا من الجوع . فالانتاج متوقف والمخازن المكتظة مغلقة والشحن محظور . طمأنه مارسيو :

ـ الامور ستتحسن . فالدولة سترضخ لارادة ـ برادات عبر البحار ـ فيعود الوضع الى طبيعته الاولى) .

★ ★ ★

بعد توقف المصانع عن العمل ، ظهرت الخلافات واضحة بين الدولة وشركة ـ برادات عبر البحار ـ على الاسعار . فالشركة تريد رفعها بنسبة ٢٥٪ . والدولة تريد تجميدها باعتبار انها لم تدفع اجور العمال ولن تسمح

برفعها . وهددت الحكومة باللجوء الى المحاكم لاعادة المصانع الى عملها ، ثم ما لبثت ان تناست الامر . وبدا ان الازمة الحادة والمحتدمة ستدخل في طور ذوبان الجليد .

ولكن الاشاعات ما تزال اكبر من الحلول . ولا أحد يعلم متى تحل الازمة .. والى ان تحل ... من سيدفع اجور السكن الشهرية والاقساط المختلفة التي ترتبت على مندوبي الشركة ، عن التليفزيونات والبيكابات والبرادات والغسالات الكهربائية والاثاث والسيارات ؟ بالاضافة الى سائر الالتزامات الشهرية واليومية ؟

.. « الحضارة رفعت من مستوى الحياة ، ودفعت الانسان من أجل راحته ، عبر سرداب مخطوط من الرفاهية المعتمدة على أجهزة كهربائية وسلع عصرية » .

وقف فوق الرصيف . ريثما ينفتح الضوء الاخضر لعبور المشاة . وأفكاره تعمل .

.. « الكهرباء . وهذه الاشارات الضوئية الملونة التي تنظم السير . والصابون .. أعظم اختراع عرفته البشرية » .

عشرات الطلبات في دفاتره . كميات هائلة من صابون « اوريكا » واللحوم المحفوظة ورب الطماطم والجلاتين المحلى بالفواكه ، والخشاف والمربيات وسائر منتوجات لحوم البقر والخنزير . حتى الغراء ، والخمور .

وجميعها عندما تسلمه الشركة الى طالبيه سيتحول الى ارقام هامة لحسابه على اساس عمولات ، يقبضها وفق النسب المئوية المتفق عليها .

لكن هذه الطلبات مزقت في قسم المبيعات في مكاتب الشركة . اما توقف الانتاج وتوقف السيولة المالية عن المندوبين فلن يؤثرا على نشاط الحضارة ولن يذبلا رونقها .

.. « الحضارة لا تتردى مع انخفاض وتائر الانتاج بل تعمل بلا توقف كالمعدة تجوع لكنها تعمل . الحضارة تقف مرة واحدة ، كما يقف القلب ، عندما تشرف على نهايتها ، اما هذه الازمات الفردية التي تحدث بغير مواعيد ثابتة ، فهي مصطنعة ترمي الى مآرب ، وانها لا تقتل الحضارة ولا توقف متوجباتها » .

اجتاز نلسون منعطف الحديقة العامة . مر امام سينما آرتي پالاسيو

اشترى علبة سجائر . اشعل لفافة . تابع سيره ، وعادت الحضارة تعرض عضلاتها في ذهنه بترتيب سلسالي :

« اجرة المسكن . اقساط المدرسة . اقساط الاجهزة . وقود السيارة . المواد لانهاء بناء مرحلة من البيت في غويانيا . الطعام . الكساء . الرداء . الشراب . التبغ . النساء . وثمة أشياء أخرى ظهرت في خارج حلقات السلسال » .

جمعها ارقاما في ذهنه ، فخاف ثم ضحك في سريرته من القهر . وتوجه الى بار كاجو أميغوس فجلس الى مائدة رصيفية وطلب « كايپيرا »

(عرق كحولي ممزوج بعصير وقشرة الليمون) .

شرب عدة كؤوس صغيرة شديدة البرودة ودخن عدة لفافات . أحس بدبيب النشوة تتسلل الى رأسه ، وبيد تربت فوق كتفه فقفز عن مقعده هاتفا :

ـ ماركوس . انا سعيد بك . أية رياح طيبة ساقتك الليلة الي ؟!

جلس ماركوس وظهر انطونيو دي سوزا بقامته المربوعة وجسمه المليء الخشن وصاح نلسون بالنادل :

ـ هات زجاجتين من الجعة ـ أورو برانكو ـ باردتين حتى حد التجمد.

غاب قليلا وعاد بهما من بيت الثلج في البراد الكبير ، وقد التفتا بطبقة رقيقة من الثلج . وأمره من جديد :

ـ احضر بعض الزيتون الاخضر واجبان مشكلة وترمس وشطائر ساخنة ومخللات وبعض اللحوم الباردة المشكلة مع بعض الخردل .

أجاب النادل بهز الرأس واضاف :

ـ لدينا احسن ما في السوق من اللحوم الباردة المفتخرة ماركة ـ عبر البحار ـ ...

صرخ نلسون بغضب :

ـ تبا لك . الى الجحيم بكل ما تصنعه « عبر البحار » .

وضرب براحته فوق ساق ماركوس البدين :

ـ أراك زدت سمنة وشبابا ايها العزيز العريس .
ـ بل زدت قرفا واشمئزازا وشغفا بالشراب .

رفع دي سوزا كأسه بحركة تمثيلية مفخمة هازئة :

ـ على صحة الزواج السعيد ، حتى الثمالة . حتى الثمالة .

احتج نلسون :

ـ لا . حتى الثمالة لا ، فأنتما تحتسيان ماء مغشوشا بنقيع الارز .

وأنا اشرب روح القصب السكري وما زلت في اول الكأس السادسة .
ـ بل حتى الثمالة .

جدد انطونيو دي سوزا النخب . وظلوا حتى متأخر من الليل ثم غادروا بعدئذ المكان الى الفندق .

★ ★ ★

جلس ماركوس بينا في البهو والاضواء مطفأة ، مدة نصف ساعة وفي رأسه دوار الافكار التي أثرت فيها عدة زجاجات من الجعة شربها . واخيرا لم تتركز في وعيه الفكرات التي تراوده باستمرار في هذه الايام ، ما عدا انه أصبح متزوجا . وانها لتنتظره في الحجرة لا تنام ما لم يأت ، وهنا شعر بالاسى .

سيراها مستلقية بسريرها ، وهي بثياب حريرية شفافة ، تحت ضوء الاباجور تقرأ في كتاب ، مثل معلمة في مدرسة ريفية ، بدينة تفتقر للنعومة. خشنة المظهر . مبتذلة الثياب . رديئة الزي .

لكنها في السرير غير هذه . يظهر بعض عريها مغريا . صدرها الواسع الرجراج واستدارة بطنها ، ساقاها السمراوان المليئان . شعرها الاسود المرخي فوق الوسادة . ذراعاها المبرومتان الطريتان .

تذوب صورة المعلمة الريفية وتحل في اطارها المرأة من لحم ودم . باغرائها وشهوتها واستعدادها الانثوي وانفعالها الجنسي وطاقتها ورغبتها في المنح والاخذ .

لكنها ستقابله بتجهم كمن تضبط طفلا في شيطنته ، كمعلمة امامها تلميذ مهمل كسول . وستضع اصبعها في جرحه . جرح ماركوس . « من

فوق هذا الضلع ينز الدم » . وسيقسو عليها بجفاء أشد ويغلظ لها القول ويدير بعدئذ لها ظهره تاركها تقضم أظفار الحرمان .

.. « ــ لماذا تزوجتني ؟ لماذا رضيت بي زوجا؟» وعلى هذا ستجيب بمنطق استاذة في علم الاجتماع : ــ « لانني احببتك ولانني أريد ان اتزوج. ولانك طلبت يدي » . وسيرد على زعمها : ــ « كان عليك أن تستوثقي اولا من حبي » . وستعانقه فتلف ذراعا حول عنقه وتمسح بيد على صدره العريض ، وتهمس له : « واعرف انك ما تزال تحبني » . وستتابع معه نشاطها ، فتدغدغ بشرته فوق اضلاعه المخفية في الجلد المملوء شحما . وتقرب ثغرها بشفتيها المليئتين المشتاقتين ، وتنزع بيديها صديرية منامته وهي تلتصق به تبثه ، فما دافئا موشوشا في اذنه ، عبارات الحب والرغبة. وسيدفعها عنه . ويقسو عليها .. وينام بعدئذ في احضانها .

تلك قصة حبهما وزواجهما وما انتهيا اليه .

« يبدو ان الازمات في هذا العصر ، حلت في جميع فروع الحياة . وما الحب الا قطاع من قطاعات الانتاج والضرورة ، يتعرض للازمات المفاجئة والدورية المختلفة العنف .

فالحضارة زجت بأنفها في العلاقات العاطفية والجنس. وعقدت الحياة. وعقد الحياة قديما كانت اقل عددا . والحياة أسهل . والمطامح محدودة . يكفي السرير في الغرفة لتحضر الزوجة » .

من قال هذا ؟ اين سمعه ؟ في أي كتاب قرأه ؟

« كذب . كذب كل هذا . فالحياة معقدة منذ ان وجد الانسان . أما اليوم فكل شيء اسهل . الآلة عوضت عن الخدم ، وزادت التكنولوجيا في رفاه العيش وجملت الالوان وصنعت الزهور التي لا توجد الا في مواسمها وأماكنها وجعلت المرأة اجمل واشد اثارة . ودخل في حياة المواطن العادي ــ العمل الاضافي ــ » .

وجدها في سريرها تنتظره . وكتابها بيمينها تحت ضوء الاباجور . بثيابها الحريرية الداخلية وقد انزاح جانب من ردائها عن فخذيها فبدت ساقاها طريتين ملساوين ، وصدرها مكشوفا عن نهدين مستديرين مضغوطين يهددان بالقفز الى خارج اسرهما . وشعرها الاسود الطويل لماعا تحت النور .

تركت الكتاب وسوت شعرها وبانت ذراعها السمراء اللدنة وابطها الدافىء . عيناها الواسعتان هادئتان بخلاف شفتيها العبلاوين الضاجتين. سوت من جلوسها فانزاح ثوبها الليلي الابيض اكثر عن فخذيها فبانا بامتلائهما الذي أكسبهما بشرة ناعمة لماعة .

جلس الى جانبها . وأراد ان يقول شيئا وتردد . لامست بأناملها وجهه واستقرت هنيهة فوق شفتيه كأنها تمنعه من قول شيء ، وسمعها من وراء خمرته وكأنها تناغيه بصوت دافىء منخفض :

ـ لا تقل شيئا فأنا لم أسألك اين كنت ولماذا تأخرت .

ـ لكنني .. لكنك انت ..

ـ استحلفك بحبنا يا ماركوس .هلا صمت وتركتني احلم وانت بقربي؟

ـ تحلمين ! اي نوع من الاحلام هذا ؟!

ـ احلم بك وبي . بالحب . اجل ونحن في دارنا حيث بلدتنا . نعيش كما يعيش الناس البسطاء العاديون .

ـ انك في حجرة فندق .

ـ في بيتي .

ـ اه .. ـ بتهكم ـ حيث وجد الحب كان البيت !

ـ صحيح . البيت والحب . يا حلاوتهما !

ـ صاح ناعبا :

ـ والزوج العريس .. السكير .. جلاس المخامر . الضائع في الليالي؟

ـ يعود مع ذلك الى بيته .

ـ الى الحجرة الضيقة في « فندق المسافرين » ؟!

التقط انفاسه وهدأ صوته :

ـ اصغي . اصغي جوزينا . انت تعيشين في رومانتية من مخلفات العصور الغابرة ، كأنك تقرئين في كتاب ، منذئذ الى اليوم ، اجتازت البشرية ارتالا من حروب الافناء والثورات ، وتعقدت الحياة .

في مكاتب ـ عبر البحار ـ لا تسمعين سوى الشكوى ، لو كان الرجال يبكون لملأ عويلهم المكاتب كلها وطغى على ضجيج الآلة . الا انهم كالمداخن تلفظ ادخنتها سحبا وهي صامتة وفي أجوافها مراجل تغلي . وتقولين حجرة في فندق وانت وانا . وبيتنا وأحلم . وكما يعيش الناس البسطاء . اعلمي انه لم يعد هناك ناس بسطاء . هناك المسحوقون أو غير المسحوقين . ليس اكثر .

أما سمعت بالناس الجارين في سبيل مصالح ـ برادات عبر البحار ـ مثل كلاب الصيد ، النافذين في المخاطر ، الذين بالجهد يحصلون اليوم على النقود الصغيرة لدفع ثمن ما استهلكوه خلال ساعة او ساعتين في البارات ومخادع العاهرات ؟ ولا يحصلون على النقود الكبيرة ليدفعوا ايجارات المساكن وأقساط المدارس وسائر المستلزمات ؟ أتفهمين ما أقول ؟!

علا صوته وأظلم وجهه . أجابته برباطة جأش وانـاة شابهما بعض الارتبـاك :

ـ احرى بهم ان يغيروا نمط حياتهم الذي يدرجون عليه في خـارج بيوتهم وان ينضبطوا خلقيا .

★ ★ ★

نهض عن حافة السرير وقطع مسافة تفصله عن المرآة فوق منضدة الزينة وصارت جوزينا وراءه في سريرها . وقال :

ـ تعقدت الحياة وصار الانسان ابن حضارة لهـا عيوبها الصغـيرة والكبيرة ، عيوب وفق مختلف المقاسات . ولكل من مندوبي الشركة اكثر من سبب يوغله في تلك العيوب . انا كبير مفتشي الشركة ارثي لهم لانني أعرف ما خفي من حياتهم . عمولة نلسـون لشهر بكاملـه كان ٤ آلاف كروزيروس قديم . ثمن كأس ويسكي رخيص وعلبة سجائر . ألوف العمال ألقوا الى البطالة ، وساعات العمل الاضافي ألغيت وتوقفت المعامـل عـن الانتاج .. لماذا ؟

سمعها تقول :

ـ كم تخسر اذن الشركة من وراء هذا ؟

ـ تخسر مؤقتا .. كثيرا . لكنها لا تجوع ولا تعرى ولا يطالبها أحد

بأقساط . وغدا مع اقرار الحكومة رفع الاسعار تستعيد بما لديها في المستودعات من مخزون ، اكثر مما خسرته في توقفها ، كما تحقق ارباحا جديدة من انتاجها المقبل المسعر جديدا .

ـ ولماذا ترضخ الدولة لرفع الاسعار ؟

ـ الدولة تتقاضى ضريبة على الصناعة مقدارها ١٥٪ غير ضريبة الدخل وضرائب البلدية وسواها . وتوقف الانتاج يحرمها من هذا الدخل الهائل . اه . اه .. انهم يعرفون ماذا يعملون . اولئك القابعون وراء البحار .. يروضون الاسود ويرقصون الافعى بل ويعانقون التمساح .

استلقى الى جانبها بجسده العرم فنهضت بجذعها حتى استوت جالسة وانعطفت فوقه فاستراح ثديها فوق صدره وشعرها لامس وجهه ، وانفاسها وعطرها يلفانه باثارة شاحبة . جعلت تؤرجح نهديها الثقيلين فوق عنقه ووجهه وقد انطلقا ، ولا يدري كيف ، من اسارهما ، تمسح بهما جموده وبروده وآلامه المرسومة في قسماته وتوشوشه بكلمات عاطفية ، ثم تغرق شفتيها في صدره .

رفعت رأسها ، جعلت تقبل شفتيه قبلات قصيرة هادئة صامتة كأنها نقرات عصفور على ثمرة هشة ، فتحرك وقد نسي جدله وأفكاره الاقتصادية، الاجتماعية الثائرة . ولم يعد يرى سوى الانثى التي في فراشه وانمحت صورة المعلمة الريفية الساذجة المشوأة الزي والهندام ، المفرطة العماية ، الخشنة المظهر .

وتبخرت جوزينا زوجته من امام عينيه . ففي السرير جسد آخر . شبق . يغريه . متمرس بالاثارة . وهو المفتش الحانق التعب بحاجة لدفء المرأة ، فارتمى فوقها يمرر راحتيه فوق بشرتها ويزيح حريرا يخفي لحمها الكانز وتنزلق يداه فوق اجزاء بدنها الحساس ومكامنه المتوترة وتوسع هي في ثغره القبل وتباعد له فيغطيها بجسده القوي .

★ ★ ★

التقى نلسون في مدينة اوبرلانديا بولاية ميناس جرايس في الفندق بقالتر ، وهو بطريقه الى عاصمة ولاية غواياز ، فأعطاه ما احضره له من التبغ المجدول الفاخر صنع بيرينوبولس في الولاية .. وتحدثا عن العمل فقال نلسون :

ـ يبدو ان الازمة ستدخل في طور الانفراج قريبا . سمعت هذا من المدير العام السيد مارسيو وقد اعطيته كل كمسيوني عن الشهر وهو اربعة آلاف كروزيروس قديم ليشرب على صحتي . وكنت عندما تقدمت الى الشركة اطلب عملا فيها سهل امري . وبهديتي تلك قصدت اطلاعه على نقمتي واحتجاجي على ادارة الشركة .

ـ وماذا بيده ؟! ألأنه مدير عام ؟ ان ايا من اولئك الـ ـ غرينكوس ـ البريطانيين ذوي الاردية البيضاء ليشده من أذنه ويقوده بالرسن .

ـ لا يهم .. دعنا من هذا . فاني بحثت عنك فور وصولي الى باريتوس فلم أجدك .

ـ وصلت باكرا وغادرت فور تقديم الحسابات لأكسب الوقت وأكدس طلبات للزبائن ، بعد الغائهم الطلبات السابقة ، فقد ينفتح الباب المغلق فجأة ، واني لفي ضائقة خانقة .

قال نلسون متذكرا :

ـ لك معي خبر من جانديرا .. ها . ها . لا تنكر .. لقد كشفتك وما تخفي عني .. كنت وراء پالميرا التي غازلتها في مكتبها بنظرات خاطفة ـ وهي شجرة أطعمت أحدهم بعض ثمارها وستطعم آخرين ـ هكذا فكرت وظننت انها ستتجاوب معي فتربصت بها وسرت معها حتى بيتها .. ولكنها خبطت باب الحديقة بوجهي . وعندئذ ظهرت جانديرا فنسيت پالميرا ، وسألتني عن تلفونك وعنوانك وانها تريد ان تراك ، فأخبرتها ان لك زوجة وأولادا . وقد غازلتها ، الا ان احدهم سبقني الى قلبها وربما الى جسدها ، وهذا ـ الاحدهم ـ ليس غيرك ..

قاطعه ڤالتر بحدة وغيرة :

وبعدئذ ؟.. اه .. بعدئذ ؟

ـ لم أفز منها بطائل . وبدورها خبطت باب الحديقة ودخلت بيتها .. اطمئن فلن اعيد الكرة معها . ولو لم تكن عذراء ربما حاولت من جديد مزاحمتك فانها تثيرني بجنون .

سرح ڤالتر في افكاره الى بعيد :

.. « فترة طيش وزلزال جنسي في دمائه . في ليلة صحبته الى خارج

المدينة وكانا قد شربا وأفرطا فصار ما صار وندم بعدئذ . اما هي فقالت انها غير نادمة . واخبرها انه متزوج وله اولاد ثم التقيا مرات . وسافر وعاد بعد شهر فلم يسع اليها ولم يرها » .

قال ڤالتر وفي عينيه بريق شيطاني :

ـ نلسون . لن اكذب عليك . جانديرا مثل اختها .. شجرة اطعمت اولى ثمارها .

صاح نلسون كأنه يقفز بين فرح ومفاجأ :

ـ ماذا ؟! جانديرا .. شجرة اطعمت ؟ انت ؟!

ـ لكنني لن اعود اليها .

★ ★ ★

وصل نلسون عند المساء الى غويانيا عاصمة غواياز وهي ترفل في حلة من الاضواء وقد ارخت اشجار شوارعها ظلالا شاحبة على الارض كأنها تقاوم هجمات الانوار . وفوق رؤوس ناطحات السحاب سماء زرقاء توشيها غيوم هزيلة مبعثرة .

أدار المفتاح في قفل باب الشقة ودخل فتناهى اليه وقع اقدام . كل شيء هادىء . طري ودافىء ، رائحة البيت جو من الدعة . من المطبخ تتسلل رائحة الطبخ الشهية ، أصوات الاطفال العابثين . المذياع يبث في المطبخ اغنية مستوردة . صوت متميز حار النبرات يقول شيئا .

أتى بصوت ووقع حركة يلفت الانتباه . واندفعت اليه من باب المطبخ امرأة شابة نحيلة طويلة تشد الى وسطها مئزرا . وصاحت اذ رأته وارتمت بين ذراعيه :

ـ حبيبي نلسون . اخيرا أتيت . انتظرناك امس حتى ساعة متأخرة ونام الصغار بعد ان تعبوا .

ـ لوسيا . حبيبتي . انا بشوق اليك .. لا تقدرين كم ..

ابتعد عنها قليلا ويداه مشتبكتان بيديها وتنظرها بكل قوامها الرشيق الجميل . وضمها من جديد اليه :

ـ تزدادين جمالا .. فكأنني أراك لاول مرة ..

قاطعته :

ـ.. أمام مدخل بناية مونتي ڤردي في سان باولو ..

وقاطعها :

ـ وكنت حانقة تبحثين عن تاكسي .

ـ فعرضت علي ان توصلني بسيارتك وقلت انك سائق تاكسي في بعض الحالات السعيدة ...

ـ وكانت لحظة ليس اسعد منها ..

ـ واعترضت انا وقلت انك لا شك تجد كثيرا من هذه الحالات السعيدة ...

ـ بل قليلة جدا . وفقط عندما تكون الفتاة صارخة الجمال مثلك وهذا لا يتحقق في العمر الا مرة واحدة .

ـ هذا مبالغة منك كأي من الاقوال السريعة الالقاء .

ـ وقرأت في عينيك عدم التصديق .. فاعترفت لك بأن ثمة في حياتي جميلات عبرن بلا اثر .

ـ وظهرت الغيرة علي .. فأنا غيورة يومئذ .

ـ وما تزالين حتى الآن .

ـ اجل يا حبيبي . أغار وتحرقني الغيرة في بعض المرات فأخاف كأننا لن نلتقي بعدها .

شدها اليه فاندمجت به في قبلات محمومة . لامس كتفيها وخصرها ودغدغ اطرافها . وهربت منه وهي بين يديه :

ـ انا في شوق اليك والى الاولاد والى البيت . وقد اردت العودة بسرعة الا ان الامور لم تجر كما اشتهي .. ثمة ازمة في الشركة .. وضائقة عند تجار الجملة زبائننا .. والانتاج متوقف . والشحن محظور . المهم انكم هنا بخير .

الحزن في وجهها وليد لحظة . ران على قسماتها قناع بخاري وانغرست

في نفسها كلماته اليائسة . حاولت الابتسام لتخفف من ألمه فلم تطاوعها عيناها ولا شفتاها وسمعته يقول :

ـ ... ولا تذكريني بالالتزامات والمستحقات . فاني كدست طلبات ضخاما للزبائن ولا بد ان يرفع الحظر عن الشحن بعد ان تتوصل الشركة والدولة الى اتفاق حول الاسعار الجديدة . ان المدير نفسه أخبرني بهذا فكافأته بكمسيون الشهر المنصرم اربعة آلاف كروزيروس قديم .

ألقت برأسها الى كتفه وطوقته بذراعيها بحنان . واندفع من الشرفة اليهما صبيان وطفلتان تعلقوا جميعا بأبويهم بلغو وصياح واخذوا يدورون حولهما .

★ ★ ★

نهض في ساعة متأخرة . لوسيا في المطبخ . والاولاد في المدرسة . يبدو عليها الاجهاد وعندما تلقت قبلته المفاجئة ارتعشت مأخوذة وخارجة من أفكارها :

ـ لوسيا . ادعوك اليوم الى عشاء ساهر في نادي « جاوو » .

رنت كلماته في سمعها رنينا مستحبا . ومع ذلك قالت :

ـ لماذا اليوم يا عزيزي ؟ لنرجىء السهرة الى مرة اخرى .

ـ في المرة القادمة سهرة اخرى . فلا تفكري بعمق كثير . ليس الامر متأزما كثيرا .. ان هي الا نقود عشاء لاثنين عاشقين . توفيرهما لا يصلح شيئا . ابتسمي واعدي للمساء اجمل اثوابك .

صفق بحبور كطفل وسألها :

ـ ماذا تعدين .. فاني أتحسس العبير بالانف واللسان ..؟

ـ حلواك التي تحب .

قبلها في عنقها فهربت برأسها منه فأمسك بها وطوق خصرها الدقيق فغنجت غنجا تعوده ، وهي بين ممانعة وراضية وهمس بصوت دافىء كالحفيف :

ـ حلواي المفضلة هي انت ايتها الحبيبة الخالدة .

وقدمت له القهوة ، فجعل يرتشف منها بتلذذ وجعلت هي تروي له عن أحداث البيت والاولاد في تقرير شامل وعام ودقيق . واخيرا قال بعد استماع واع :

ـ حسنا . فهمت كل شيء . انا خارج الان واعود الى الغداء متأخرا فأعدي المائدة للواحدة ظهرا .

★ ★ ★

ما ان غادرها حتى عاودتها الهواجس والافكار وطبعتها بسوداوية يائسة .

(لم تنم ليلتها المنصرمة .. فبعد ان انقلب نلسون الى جانبها تعبا مرتاح الاعصاب يغط في سبات عميق ، تقلبت هي حتى تصرمت الساعات وما تصرمت في مخيلتها المرئيات والتصورات ، الا كما ينزاح الضباب بعضه في اثر بعض .. يزول والاشياء تبقى . همومها تبقى ، ومهما اتت عليها لحظات جهدت لوسيا في جعلها سعيدة فانها لا تزيل المآسي . تبقي الجذور المتأصلة .. والالم المحفور .

وكل ذلك السلسال من المسؤوليات الذي جرجر حلقاته في ليلتها المضطربة ، كان مسألة تتطلب حلا . فالحياة المعيشة نفسها ترتكز الى السلسال . الحياة في سبيل ديمومتها تخلق السلسال ، وتطرح ضرورة الحلول .

تراءت لها حلقاته كقاطرة تجر اشياء .

أولا : الدار التي يبنيانها وكلفتها .

ثانيا : الاسرة وتكاليفها .

ثالثا : الاقساط .

رابعا : ايجار الشقة .

خامسا : ... الاقساط ايضا عن كل شيء .

فالوجود الذي يحيط بها وبزوجها واولادهما مكون من حقيقة اسمها ... الاقساط . والحياة ذاتها دوامة اقساط . المجتمع . المدنية . العصر البورجوازي كله اسمه حضارة الاقساط .

.. « ولكي تحافظي على اسرتك وضمان بيتك .. وعلى البقاء .. »

انتفضت من سنة من النوم مرتاعة . فتلمست زوجها وشدت بأصابعها على ساعده القوي . كان الى جانبها راقدا بهناء ، فطردت افكارها السوداء الحائمة وسعت الى النوم ، ومن اين لها ان تنصرف تلك الافكار ، وهي هنا في واقع حياتها ؟)

خافت .

وظلت هكذا حتى المساء .

وعندما خرجت معه الى السهرة بأبهى زينتها وأجمل أثوابها ، نسيت كل كوابيس ليلتها السابقة واستعادت ثقتها بالآتي .

العشاء دسم والشراب منعش . والالحان مفرحة . ووردة حمراء قدمها اليها . ودار بها في حلبة الرقص ، كحبيب مع حبيبة لم يتزوجها . كعاشقين يسرقان سعادتهما خلسة .

دارت بها دنيا الشوق . وارتاحت لعناقه . وشاركته شرابه ، واهدته نظرات ولهى . واحس انها هي امرأته وحدها . دونها النساء جميعا .. وبهتت ألوان جانديرا وپالميرا وسائر اللواتي يعرفهن من هاويات وعاشقات ومحترفات .. وتضاءلن الان الى حد اليقين بأنه في غير حاجة اليهن .

« لوسيا كل الحب . وكل الرغبة ، وكل الجنس » .

عادا سعيدين ودخلا الى الشقة متخاصرين بلا ضوضاء كي لا يوقظا الصغار النائمين .

ودعها بعد خمسة ايام ليسافر مستأنفا عمله :

ـ اغيب قرابة الاسبوعين واعود لامكث معكم يومين اثنين فقط . علي أن أجوب المنطقتين اللتين اعمل فيهما ، على مرحلتين . وسأدخل السيارة الى ورشة التصليح قبل ان تنهار بكاملها .

سألته بأسى :

ـ ماذا سيحدث بعد الاسبوعين ؟

ـ تفاءلي . طلبت مهلة من الدائنين . وسأدبر الامور .

ـ متى ؟

ـ لا بأس . لا بأس . اعتبري جميع هذه المشاكل منتهية .

هم بالخروج فتشبثت بذراعه :

ـ نلسون . حبي .

ـ اجل .. لوسيا . حبيبتي .

ـ أبرق الينا بين يوم واخر .

تعلقت بعنقه تقبله .

★ ★ ★

منطقتاه . شمال غواياز . من أنابولس الى حوض سان باتريسيو . والمنطقة التي تعرف بالخطوط الحديدية .

بدأ بأنابولس . وقضى فيها خمسة ايام . ومنها الى سارس وسان باتريسيو . ثم عاد الى انابولس ليقضي فيها يوما واحدا . فبات في اوتيل بالاس المشرف على ساحة بون جيزوز وحديقتها الرائعة .

في شرفة الفندق تفرغ لدفاتره . استعرض عمله . حول الطلبات التي حصل عليها من زبائنه الى ارقام وراعه انه بلغ في هذه المبيعات رقما ضخما لا عهد له بمثله وأمل ان تكون بقية سفرته بهذه النسبة .

ابتسم برضى . تذكر اللوح الاسود المتصدر قاعة قسم البيع في شركة ـ برادات عبر البحار ـ في باريتوس . انطونيو دي سوزا . وبعده يأتي « جوراندير » و « ماورو » و « ڤالتر » ، وبعد هؤلاء من الاسماء نلسون بدر عبود بلا حق ان يظهر على اللوح . وفجأة .. رأى اسمه يقفز الى فوق، الى فوق تماما .

وهنا تذكر شموع كونت دي مونتي ڤردي في قصره .

(الخادم الانيق بثيابه المزركشة واكمامه وأزراره وياقته الذهبية ، واقفا في اول القاعة يرحب به منحنيا .

ـ سيدي الكونت بانتظارك . تفضل .

وسار امامه بكل رسمية الى قاعة العشاء التي تفتح لكبار الضيوف .

يحس برهبة ما لبثت أن تحولت الى شعور بالخطورة فألقى الى جانبي المكان نظرات خاطفة .

لا يذكر الآن أشياء كثيرة مع التفاصيل .

تحف وخزف وصيني بألوان وأحجام ، ثريات ونجف ولوحات . الارض من رخام « الاونيكس » الايطالي الشهير . ومقاعد مبثوثة وشمعدانات ذهبية . فضية . نحاسية . برونزية .. لا يدري .. وسجاد فارسي . سمرقندي .. لا يدري . وأبواب محفورة وسقوف مزخرفة مرسومة وستائر وسجف واضواء . واطار فيه صورة امرأة وسيمة نبيلة الطلعة ممتلئة الوجه .. وقفت عيناه عليها لحظة وتجاوزتها الى سواها من موجودات .. فما برحتها وظلت بها عالقة كأنه قد رآها من قبل . لا يدري اين . أفي السينما أم في المجلات أم في التلفزيون ؟ لن ينسى نظراتها الحزينة كأنها أسيرة في برج أمير ظالم .

الكونت واقف بثياب السهرة الرسمية . رحب به بحرارة وصافحه وربت فوق كتفيه :

ـ سيد نلسون بدر عبود . أرحب بك بحرارة وأبوؤك مكانا رفيعا الى مائدتي واعتبر حضورك شرفا لي ولمؤسسة مونتي ڤردي .

رنت الكلمات ضخمة وصداها واسعا واحس نلسون بضآلته .

« الكونت دي مونتي ڤردي وريث الامجاد الايطالية للعائلة النبيلة الثري الصناعي الملياردير بنفسه وبلسانه يقول هذا .. لي انا نلسون المندوب الجوال ، واحد بين ألفي مندوب في مؤسسته الهائلة » .

انعقد لسانه . تلعثم . تعتع . فأفأ .. وما خرج صوته .. واخيرا تمكن من ان يقول :

ـ المعذرة . الف معذرة .. يا سيدي .

واحس ان الارض تهرب من تحت قدميه ، او انهم يسحبون من تحتهما السجادة . ورأى الكونت يشير بيده النبيلة الى مقعد محفور المسند مطعم بلون الذهب وثير ، قبالته ، ليجلس به نلسون ، فتمالك نفسه وتعتع :

ـ ا . نا .. انا . مجرد . از . سان . بسيط . و . مستخدم .

واستدرك الكونت الامر وخاطبه :

ـ انت في مؤسستنا الدعامة الاقوى لتحقيق النجاحات والقيام بالدور الذي تحتاجه صناعتنا الوطنية للصمود في وجه التخلف الاجتماعي والحضاري وفي سبيل تصنيع البلاد لخير الجميع واعلاء شأن برازيلنا الحبيب وعظمته .

تبدل احساسه ، من الضآلة الى الارتياح شعر بأنهم تركوا السجادة تحت قدميه ولم يعد يسحبها احد . وحافظ بلا وعي على ضم ساقيه ، ونظراته لا يدري اين كانت مشكولة جامدة . الكونت .. بيده كأس الشمبانيا سارع نلسون الى رفع كأسه واستمع الى مضيفه يقول :

ـ اشرب نخب نلسون بدر عبود بطل المبيعات ومحطم الرقم القياسي.

احتسيا جرعة . واحس نلسون بطنين في أذنيه وكأنه يسمع صليل سيوف الفرسان وصياحا ملأ المكان .. « هورا . هورا » .

واخرجه من دوامته كلام الكونت الذي نهض فاقتضى به نلسون :

ـ لننتقل الى قاعة الطعام .

★ ★ ★

.. « الكونت قبالتي ورتل من الخدم حولنا جميعهم في ثياب رسمية موحدة الزي . الكونت أوقد اول شمعة في شمعدان ذهبي على المائدة ، فأوقد الخدم سائر الشموع فشع النور الاسمر . وجعلوا يقدمون الطعام على أطباق فضية كأنها بما حوت لوحات مرسومة ، للزينة وليست لتؤكل . وكؤوس كريستال سالت فيها الشامبانيا كأشعة الماسية صفراء .

الوردة الحمراء التي « قلدني » الكونت اياها وأدخلها بأصابعه النبيلة في عروة سترتي ، كأنه يقلدني وشاح الملك عمانوئيل ، توجت هذا الاحتفال ، وقد راحت الوردة تكبر وتكبر حتى صارت بحجم طبق الطعام الواسع وصارت بعدئذ نبتة مستديرة كبيرة بحجم « ڤيتوريا ريجينا » الزهرة العملاقة المتوحشة القاتلة قاطنة ضفاف الامازون ثم باتساع حجرة متوسطة .. حتى توارى وراءها الكونت . ودار رأسي ودخت .

وأحسست بأقدام الكونت تطأ الارض بوقع أخذ يتلاشى وحركة انغلاق

الباب الذي أخذ يشد على منكبي وتنطفىء الشموع .. والنافذة الواسعة لا تسع عيني وكأن الوردة الحمراء بحجم الفيل قد ملأت القاعة كلها وغطت الانوار كالملاءة في المعابد الحزينة .

وتباعد الطريق الضيق أمام حجم كبير ينحدر من مرتفع .. وانا في وسطه .. صغير بقد قزم . وتكشف الحجم الضخم عن عربة جميلة كبيرة تسحبها خيول مطهمة حسنة مشدودة اليها بسيور ذهبية والجمتها من ذهب خالص تعلكها فتدمي أشداقها ، والعرق يملأ أجسامها ويتساقط قطرات على الارض التي تدعس . ثم تبدت لي تلك الجياد كأنها بشر . وجوه انسانية . دي سوزا . ماورو . ڤالتر . جوراندير . نلسون بدر عبود » .

لن ينسى العشاء الاحتفالي . ولن يبهت بريقه في خاطره مهما مرت الاعوام . فالكونت يوقد الشموع . مرة في العام ، عندما يستقبل أنشط باعة شركته مكافئا اياه بشرف تناول العشاء على مائدته ، وهذا منتهى التكريم ويجعل الموظفين في مونتي ڤردي يتحدثون عنه طويلا ، ولعلهم الآن ـ كما يتراءى لنلسون وهو على مائدة الكونت ـ يتهامسون فيما بينهم ويجهرون في بيوتهم وفي المقاهي والبارات والاندية والمباغي والمواخير والسيارات وفي مخادعهم مع زوجاتهم وفي كل مكان : « أسمعت ؟ أسمعتم ؟ أتعلمون ما يجري ؟ »

لن ينسى الرجل الانيق بكل مظاهر نبله وكريم محتده وبلطفه وعظمته، يشعل أول شمعة في شمعدان كالثريا حافل بالكريستال مثل البرلنتي . مثل الالماس ، ويتلوها سائر الشموع حتى تنقلب المائدة الى شعلة لؤلؤية خطافة ، تلون الازهار بألوان الابريز والصفير والكوارتز والتوپاز والزمرد. والخدم يروحون ويغدون وترن الاواني الكريمة المعدن رنينا لذيذا .

وهو هنا . قبالته .

كهل تجاوز الى مشارف عجوز . وسيم ما حفرت في وجهه السن أخاديدها . كليوپاترا كانت تستحم في اللبن فيحفظ لها طراوة بشرتها ونعومتها . ونساء المجتمع الراقي يلصقن شرائح التفاح فوق وجناتهن يغذينها بفيتامينات الشمس والحياة ، فتحفظها من أصابع الزمن .

وكأن الكونت العجوز ، لم تنل من شبابه الايام ولم تجعد بشرته وهو في كل ليلة قبل النوم ، يأخذ دوشا من شذرات الذهب الابرق من الزهر

والنور والماء .

صحيح . ليس الزمن هو الغلاب دائما) .

★ ★ ★

انه ليقسم الآن وقد مرت سنوات على هذه الحادثة .. وهو في هذه الحجرة المتواضعة في اوتيل بالاس المشرف على حديقة « بون جيزوز » في أنابولس والطقس ميال الآن للامطار مع نسائم باردة سباقة .. بأنه نهض عن مائدة الكونت المضاءة بالشموع السمراء . عطشانا جائعا . بالرغم مما حفلت به من مآكل وأشربة شهية كأنها في الاحلام .

وخرج من القصر مكتفيا راضيا .. ويتذكر انه لم ينم ليلته تلك والاضواء في غرفته المظلمة ، تتفجر تبهره حتى ليحس بالحزن وبالمسؤولية . فالمسؤولية لا تسعد الانسان ولا تشقيه . تؤلمه الى حد الحزن فقط .

نفض رماد سيجارته في المنفضة الصارخة بالسواد وبرائحة التبغ نصف المحترق ، وبين يديه أوراق الطلبات يعدها ويحسبها ويحول جداولها الى ارقام ويجمعها ويعود الى تقليبها ، حتى لتأتي لمسة من يده لكوب من الماء فتقلبه فيلملم اوراقه متأففا .

في غويانا ، قضى يومين . وقبل ان يغادرها قال للوسيا :

ـ استعدي للمفاجأة . الان . الان ..

اضطربت وترقبت هنيهة وهو يدفع الى يديها بحزمة من الاوراق قلبتها وصاحت من الفرح وتساءلت فأجابها :

ـ جميع المتأخر . دفعته من مبالغ اقترضتها من اصدقائي الزبائن . أفيها اليهم على دفعات ، بلا فائدة ، ابتداء من تحسن الوضع وجلاء الازمة .

ابتسم لها . وقال :

ـ زبائني مدينون لي بخدمات كثيرة أسديتها اليهم وما زلت اسديها ، كأنها اقساط الآن لي بذمتهم .. ايه .. ايه .. مدنيتنا واعمار مأوانا . كل هذا على اقساط . لكنها الحياة .. واننا لسعداء . أليس كذلك ؟ وهذا النظام الذي نعيش فيه حر وليس ثمة افضل منه .

هزت برأسها دامعة العينين ، فرحا . ترحا . أسفا . خوفا . يتذكر

نلسون مشهدها . ولا يدري ماذا كان عليه شعورها . ويندفع بحماس ليقول ولا يدري من أين أتته الفكرة ولا لماذا :

ـ لوسيا في رأس السنة القادمة سآخذك والاولاد الى بيلاكاب (عاصمة الجمال) ريو دي جانيرو وسترين الشاطىء والرمال والمياه الشفافة الزرقاء .. غواياز جميلة . لكنها بلا بحر .

مرة اخرى هزت برأسها .. كانت آملة . والامل شعور واحد مفهوم لا يتجزأ ولا يلتبس .

★ ★ ★

ترك نلسون سيارته لدى احدى ورشات التصليح ، واستقل التاكسي الى محطة الباصات القائمة في القطاع الآخر وهو مدينة اخرى اسمها « كامبينس » . السيارة تخترق الشوارع . يسرح الانظار في مشاهد العاصمة ، المدينة الفتية ، المخططة بنظام وذوق . انعطفت به التاكسي الى « أفنيدا آنيانغويرا » ذات الشارعين المتوازيين وقد قامت على جانبي الشارع الطويل ناطحات السحاب بطوابقها المتعددة .

عند تقاطع الطرق توقفت التاكسي ريثما يضاء النور الاخضر ، فأتاح هذا له ان يتأمل تمثال « باندیرانتي » البرونزي السامق معتمرا قبعة عريضة وبيده بندقيته القديمة ذات الفوهة الواسعة كفم القمع ، يتطلع من فوق الى بعيد كمكتشف ينطبق اسمه عليه ، الرائد ، الطليعي . وكأنه ينظر الى الغابات والاحراج العذراء ، فيرمز الى سائر الرواد الذين شقوا الدروب وسط المجاهل الخضراء في ولاية غواياز واكتشفوا الانهار وحددوا المساحات وعمروا المدن .

وهذا التمثال الرمز يروي ملحمة جبارة قام بها في أول تاريخ الولاية، تدور فصولها بين الغزاة البرتغاليين والهنود الحمر السكان الاصليين ، من قبائل ايموره وتوبي وكاراجا وغواراني وشاڤانتي وغيرها . وكانت غويانيا في قلب المفازة الخضراء نقطة من تراب وشجر وحجارة مستعصية ضائعة بين السهول المكسوة بالاشجار . وصارت بعدئذ ممرا في تلك الدروب الى پيلار وغوياز ڤاليو ـ العاصمتين القديمتين ـ وكاتالون وأمارو ليتي وبورتو نسيونال وسواها من مدن ، فلا يقف لديها واقف ولا يعطيها أهمية .

وكان مكتوبا في أقدار الارض المشقوقة ان تصير شيئا مرموقا في الربع

الثاني للقرن العشرين ، اذ اندفعت اليها الدماء من الجوار وانصبت فيها روافد الناس النازحين الآتين من ولايات اخرى ومدن مجاورة وبعيدة راحت بعد الاستقلال عن البرتغال تفقد أهميتها حتى انتهت الان الى قرى ضائعة في الغابات فاقدة الشأن .

وصارت غويانيا قرية فبلدة فحاضرة ، متسعة مترامية الاطراف وأعلنت رسميا عاصمة للولاية في العقد الثالث لهذا القرن ، ومنذئذ لم تتوقف عن النمو وستظل الى سنين كثيرة قادمة ، مدينة تكبر بسرعة قياسية ليس بالنسبة الى البرازيل فقط بل الى مدن العالم الناشئة ايضا .

★ ★ ★

انعطفت السيارة بنلسون صوب ـ رودوڤياريا دي غويانيا ـ محطة الباصات التي تتوزع في كل الولاية الشاسعة ، وعواصم البرازيل . فنزل فيها وحمل حقيبة ملابسه وحقيبته اليدوية واتجه الى شباك التذاكر وعندئذ التقى بشاب فتفرس في وجهه واندفع كلاهما معا يتعانقان ويصيحان بفرحة :

ـ أوليمپيو .

ـ نلسون .

ـ ما الذي جاء بك الى هنا ؟

ـ وانت ماذا تصنع في هذا المكان ؟

وقال أوليمپيو :

ـ تركت مونتي ڤردي بعدك بعام وانا الآن في ل. م. سميث المساهمة.

ـ من مواد التموين الى الادوية ، قفزة واسعة ، وانا في برادات عبر البحار . بعد تنقل في شركات كثيرة .

ـ انت محظوظ يا نلسون فهذه فرع انتاجي واسع لا تكسد بضاعته.

ـ والدواء يا اوليمپيو .. من يتوانى عن شرائه عند المرض ؟.. لكن كيف الحال ؟

ـ لندخل قليلا الى بار المحطة . فأنا مسافر بعد قليل الى «كتالون» لزيارة زبائننا في منطقة الخطوط الحديدية وقد جئت لاوصل زميلا سيسافر

الى برازيليا .

ـ وانا وجهتي كتالون وقد تركت سيارتي للتصليح .

ـ اذن تسافر معي بسيارتي .

تناولا القهوة ودخنا وهما يستعيدان من جعبة الذكريات أبرزها وفجأة سأله نلسون :

ـ ما اخبار دينا ؟

أربد وجه اوليمپيو واعتكر هدؤه وقال بعد صمت :

ـ دينا . دينا . ألم تنس دينا ؟!

ـ وكيف انساها ؟!

ـ آه . آسف أن أقول لك ..

ـ ماذا ؟ هل ..

ـ بعد مبارحتك مونتي ڤردي بثلاثة أعوام الا قليلا .

ـ يؤلمني هذا . يؤلمني . لكن كيف ؟ قل لي . كيف ؟

من دوامة البعد استحضر أوليمپيو الوقائع المحزنة في شريط كأنه يحدث اليوم . دينا الجميلة البريئة ذات الروح الرفاقية العطوف . كانت لكل من مندوبي الشركة شيئا .

أصابع الاتهام يوجهها اوليمپيو الآن الى نلسون :

ـ انت كنت وحدك لها كل شيء . أتذكر يوم اعلنوا اسمك على اللوح الاسود في قاعة الشرف وبرقمك القياسي الهائل بالبيع ؟ كانت دينا سعيدة اكثر مما كنت انت ، ووزعت سعادتها علينا جميعا وقالت لي : « انه يستحق يا اوليمپيو شرف تناول العشاء الاحتفالي مع الكونت فهذا الرقم معجزة حقيقية » . فأدركت انها عاشقة لك حتى نخاع عظامها .

قاطعه نلسون :

ـ وانت كنت تحبها . ولعلها بعدئذ ...

وصاح اوليمپيو :

ـ كلا . فانها لم تحبني في يوم .. صحيح كنت احبها . اعبدها .

سرحت افكاره تلاحق فكرا شاردا يستعيد قواه :

ـ زين لي حبها الدنيا . الامل . أحسست بالوجود . كنت أريدها زوجة . أفهمت يا نلسون ؟.. وكانت من الحنان والدماثة والرفاقية بحيث لا تصدم احدا . مكابرة في ذاتها حسنة المعاملة مع الجميع، محتفظة بكرامتها. سألتها في ذلك اليوم عنك ، « ماذا يكون عندك ؟ » فحاولت اخفاء عاطفتها ونظرت الي ولم تتكلم . فعرفت الجواب .

توقف عن الكلام ثم تابع :

ـ يا للحماقة !.. علام اذكر كل هذا وقد مر عليه زمن ، وأروي لك انت بالذات ؟! حسنا . انت تعرف الباقي ..

ـ لا اعرف شيئا ، شيئا البتة . أكمل . ارجوك .

★ ★ ★

في سيارة الفولكس الصغيرة التي تخترق الشوارع الى الطريق الخارجي وكل منهما غارق في أفكاره ، يستعيد أجزاء الصورة حتى تستقيم ضمن اطار واقعها . الوقت الآن ظهر النهار والسيارة خلفت وراءها ضواحي العاصمة .

(دخل مكاتب مونتي ڤردي في اليوم التالي للعشاء الاحتفالي فتسلم عائدات مبيعاته وهو ما يزال في خدر ضبابي من حفلة ليلة امس ، والفتاة دينا الغادة الشقراء ذات العشرين ربيعا جالسة وراء مكتبها . هنأته بحرارة واندفاع وخاطبته :

ـ لن تسافر اليوم .. أليس كذلك ؟

ـ اوه .. بل اسافر بلا ريب) .

اوليمپيو يقود السيارة . وعلامات انسراح البال في وجهه .

دخل اوليمپيو الى مكتب دينا بعد ان غادرها نلسون فرآها تبكي بصمت وسارعت اذ شاهدته تجفف دموعها . وتغتصب ابتسامة عذبة شاحبة تخفي أساها :

ـ دينا . ان ايا منا ـ بل ونحن اجمعين ـ لا نستحق دمعة واحدة من

عينيك الجميلتين .

دعاها الى العشاء معه في مطعم ـ فازانو ـ الشهير ، وأغراها بالقبول قائلا بأنه سيفتح زجاجة شمبانيا على شرف نلسون وان يكن غائبا . وفي المساء التقيا وتأبطت ذراعه ودخلا المطعم الراقي الفخيم واحتلا منضدة لاثنين على مقربة من جوقة الموسيقى الكلاسيكية .

دار الحديث في مواضيع غير ذات بال وفتح الـ ـ ماتر ـ لهما زجاجة الشامبانيا ، فشربا واقتصدا في الشراب ولم يرفع الكأس نخب نلسون ودينا لم تطالبه بذلك وبدا له انها نسيته وتفكر الان بكل شيء الا به . وتكررت لقاءاتهما في أماكن مختلفة وتوالت سهراتهما . ورجع نلسون في آخر الشهر الى سان باولو ليقدم الحسابات وهو ممتلىء عافية ونشاطا) .

أوقف السيارة في احدى المحطات وملأ خزانها بالوقود ثم اتجه ونلسون الى المطعم القريب فتناولا وهما صامتان طعام الغداء مع كؤوس من الجعة الباردة ، ثم ما لبثا ان نهضا وتابعا السير في طريقهما الى كتالون . الذكريات تتوافد في مخيلتيهما مستحضرة نفس الشخص ونفس الزمان والمكان . والمذياع يبث أغنية عاطفية بنعومة سحابة شفافة من ضباب .

(وصل نلسون الى مكاتب مونتي ڤردي تعبا من الراحة ، يحس بفراغ وليس غير العمل كفيلا بملئه . وسارع الى دينا التي استقبلته بابتسامتها الظريفة المشعة بروح رفاقية طيبة :

ـ انا سعيدة بعودتك يا نلسون . هل سعدت باجازتك ؟

ـ اشكرك آنسة دينا وارجو ان تسارعي بتسجيل عودتي وبتزويدي بالاوراق الضرورية . وقتي قصير .

ـ لكنك ما كدت تصل ..

ـ ارجوك . انا هنا .. اذن انا وصلت .

خيمت سحابة اسى فوق وجهها واغتصبت ابتسامة وقالت :

ـ تفضل بالجلوس ، ريثما اعد ما يلزم .

اتجهت الى اوليمپيو :

ـ الرجاء ، ان تزود السيد نلسون بالتوجيهات الاخيرة . ـ والى

نلسون ـ ها هي بطاقتك وقسائم خاصة بالمصاريف المقبلة ودفاتر الطلبات والمستندات والايصالات . والفت نظرك الى الاوراق الصفراء فثمة مواد مشروط بيعها . وها هي الجداول .

ـ اعرف . شكرا . اعرف .

وقع على التسلم ومدت اليه يدها :

ـ ارجو لك حظا سعيدا) .

أخرجه اوليمپيو من افكاره وهو يقدم اليه علبة سجائره . واسترسل اوليمپيو بدوره في افكاره ، وفي داخله نشب صراع :

(.. « كم كنت مخطئا .. بل مجرما . بل لم اكن شيئا مطلقا ، سوى حالة ، والحالات ليست شيئا ثابتا محددا . وكنت احبها حتى الموت وكانت هي لي كل شيء » .

تدافع عن موقفها وهي تبكي :

ـ نحن اصدقاء يا اوليمپيو فلنظل اصدقاء .

أقول لها :

ـ انك تبكين بقربي كيوم ان عاد نلسون الى المكاتب ، وانا احبك يا دينا ولا استطيع العيش في مبعدة عنك .

ـ افهمني يا اوليمپيو . لست ادري ما بي . لعلني لا احب نلسون.

أصيح بها من القهر :

ـ نلسون لم يحترم شعورك ولم يسمعك كلمة طيبة . انه يعشق اوراق الطلبات وزبائنه والارقام الضخمة . تزوج مؤسسة مونتي ڤردي .

تدافع هي عنه :

ـ انت تتجنى عليه ، كونه لا يحبني لا يعني انه اساء الي) .

أخرجه نلسون من افكاره وهو يريه عداد السرعة يشير الى ١٣٠ كم. يطير فليحاذر . رفع قدمه عن ضاغط الوقود وراحت السرعة تتدنى مئة . ثمانين . وعاد اوليمپيو الى افكاره :

(ـ « الانانية . حب الذات . الرغبة بالامتلاك . الاشتهاء والعماية

في الحب . كنت قاسيا بعد هذا . وكانت دينا في أزمتها العاطفية الحادة » :

ـ اوليمپيو .. انت صديقي الحميم .

رفضت قولها :

ـ انا لا افهم كيف تكون الصداقة بين رجل وامرأة ، اذا كان احد الطرفين يعشق الآخر ؟

ولها رأي في الامر . تقول :

ـ اجل يا اوليمپيو . ليس هذا مستحيلا .

رافقته في نزهات . الى مطاعم . مسارح . دور سينما ولم تنس نلسون . في السينما كتفها الى كتفه . لم يحاول تقبيلها . يغرق في التفكير بها حتى يبلغ الهوس والجنون وكأنها لا تدري . غارقة في العذاب والجنون بغيره . دامت الحال هكذا سنتين . هي تستشهد واوليمپيو يستشهد معها ويسألها الى متى ؟ لا تجيب . فيروح يهزها من كتفيها ويضغط بيديه على ذراعها ويصيح : أكاد اجن . تجيب بالدموع) .

★ ★ ★

مرة اخرى اخرجه نلسون من افكاره وهو يقدم له سيجارة :

ـ سيجارة او تحذرني من السرعة ؟

ـ بالواقع تجاوزت مرة اخرى الـ ١٣٠ كم .

ـ كنت شاردا ، لكنني متمالك قياد السيارة .

ـ وبماذا كنت تفكر ؟

ـ بمثل الذي كنت انت تفكر فيه . نلسون اجبني بصراحة . هل فاتحتك دينا بحبها ؟

ـ بعد نيلي الجائزة الثانية ، صممت على امر وفي الصباح التقيت بك في مدخل بناء المكاتب فحييتك فلم تجب على تحيتي . وتذكرت هدية أحملها الى دينا في السيارة وكنت نسيتها فيها فرجعت لاحضرها .

ـ اتذكر الان جيدا .. وقد وقفت اراقبك . وشاهدت فتاة امام البناء فتحرشت بها وكانت حانقة زعلانة وضحكت انت وقلت في نفسي :

ها هو نلسون العربيد .

– عندئذ تغير كل شيء . حملت لوسيا بسيارتي لاوصلها الى بيتها وتلاشت صورة دينا من بالي وتبخرت العبارات التي كنت هيأتها لاقولها لها مع الهدية . وفي اليوم التالي رجعت الى المكاتب فلم أجدها وتسلمت اوراقي من غيرها ومضيت وكان علي أن أقضي عطلتي في غويانيا .. لكن لوسيا .. ثم بقيت ، وكنت مساء في – پراسادالوز – (ساحة الاضواء) انتظر لوسيا وقد حجزت مكانين لاشاهد معها المسرحية المنفردة الشخصية – يدايوريدس – عندما التقيت فجأة بدينا كأن موعدي معها .. وعندئذ .. تبادلنا النظرات . كانت ذابلة وشديدة النحول كئيبة العينين ، كمن قامت من مرض ومع ذلك .. انها جميلة . يا الهي كم هي جميلة وبريئة .

أمسكت بيدي وما قالت شيئا فخاطبتها :

– سعيد برؤيتك يا دينا .

– برؤيتي ؟ انت ؟ أتقول حقا ؟!..

ارتسم فرح طفولي في وجهها وعينيها وسألتها :

– الى اين يا دينا ؟

لم تجب واعدت السؤال وهي ما تزال ممسكة بيدي :

– الى اين ذاهبة في مثل هذه الساعة المسائية الحلوة ؟

غمغمت بصوتها العذب :

– سائرة على غير هدى .

– انت تسيرين هكذا . اوه .. لا اصدق . لعلك على موعد مع حبيب فمن يكون ؟

غرست نظراتها في عيني وتلونت بالسعادة وهي تقول :

– اجل . على موعد طال .. لماذا تتجاهلني يا نلسون ؟

توقف نلسون عن الكلام . واستدار اليه اوليمپيو :

– وبعدئذ . ماذا حدث ؟

– لا . دعني من هذا .. ارجوك .

★ ★ ★

في بلدة غوياندیرا في الفندق المركزي تناولا طعام العشاء وانصرفا عن ذكرياتهما حاملة الاسى ، وهما على رغبة في معرفة بعض التفاصيل ، الا انهما كانا يحسان ضمنا بأنهما مسببان واخيرا قال نلسون وهو ينهض :

ـ اودعك الآن . سأبدأ عملي في غوياندیرا غدا وليس في كتالون .

ـ حسنا وانا سأبدأ في كتالون ، اذن قد نلتقي .

ـ المصادفة قادرة على ذلك . من يدري ؟!

تقلب نلسون في فراشه والنوم يهرب منه . أضاء المصباح وأطفأه وأضاءه وأطفأه .. حتى لم يعد يشعر برغبة في صحوه الفكري . واستمع لصوت . كانت دينا تقول شيئا .

دخلت الى غرفته تحدثه . تتلفظ باسمه « نلسون نلسون » . صوت حار وعاطفة جامحة . قلب تعيس . جسد يتلظى يدعوه في هدأة الظلام . لا يستجيب .

(يصرخ بها وتتعلق به . والمصابيح الكهربائية في ـ ساحة الانوار ـ في سان باولو ترتمي على جانب من وجهها ، فتلتمع لؤلؤات من الدمع ، وما تزال تتمسك به . وهو يدفعها عنه بعنف صائحا : « مجنونة . مجنونة » .

لحق بلوسيا التي شهدت اللحظة ما يجري فابتعدت تسارع الخطو وامسك بذراعها فانتفضت وامرته بتركها) .

اشكل عليه الوجهان . لوسيا بكبريائها ومسحة الحنق والغيرة على قسماتها ودينا ببراءتها وذهب شعرها المستسلم كالدموع الحزينة . ثم ما لبث الوجهان ان تماثلا فتمازجا وصارا وجها واحدا .

ليلة قلقة امضاها في الفندق المركزي .

أبكر بالنهوض والتقى في قاعة الافطار بأوليمپيو الذي ابتدره :

ـ أراك قد نهضت مبكرا .

ـ لم انم جيدا ، افترستني الكوابيس .

ـ اكثر من مرة اردت قرع باب غرفتك فأنا ايضا لم أنم . هل نتابع

السفر معـا ؟

ـ لا بأس . وبشرطين اثنين . لا ذكريات . لا سرعة .

استمعا لنشرة الاخبار من مذياع سيارة الفولكس الصغيرة . وتحدثا عن العمل وعن الشركتين اللتين يمثلانهما . وحل بينهما الوجوم ، وارتفعت السرعة الى مئة وعشرين كم . وقد اندمجا بلا ارادة في حديث الذكريات ، الى ان دخلا في مشارف كتالون ، وفيها حجزا غرفتين في الفندق الكبير الذي يقدم خصما مقداره عشرة بالمئة للمندوبين الجوالين ، وافترقا على موعد اللقاء مساء .

زار نلسون زبائن الشركة وهم باعة الجملة في هـذه البلـدة ، ولم يستثن منهم احدا . حتى الذين كانوا خارج حظيرة دائرته ، واضاف اليهم زبائن جددا من اصحاب المخازن الناجحة والمتخصصة بالبيـع بالمفرق . وفي المساء هرع الى دوش بارد يجدد قواه وعلى مائدة العشاء قال مخاطبا اوليمپيو :

ـ لن اتناول طعاما . انا بحاجة لكأس مفضلا الشراب على الطعام .ـ

ـ وانا اعطيت كبدي اجازة اسبوع لم اذق فيه غير البيرة . وأراه تنشط فهيا بنا الى بار لوكس .

طلبا قدحين من « كونياك درايز » . ثم شربا عدة زجاجات من البيرة مع بعض الموالح . وقال نلسون :

ـ لو سألتني عن حصيلة يومي لاخبرتك بأن السوق ميت كأن النقود اختفت ومع ذلك شددت عزمي فأكثرت من البيع .

ـ انا سحبت بضاعة من صيدلية تأخرت عن الدفع كثيرا . وهذا عمل ما كنت لألجأ اليه لولا تشدد أولئك الـ ـ غرينكوس ـ اصحاب المختبر وأوامرهم . نحن مجبرون على تنفيذها وصنع ما لا يحلو لنا .

في خيال نلسون تراءت « العربة » على الطريق .. في كل طريـق . تشدها « جياد » شتى الجياد ، الاصيلة ، والرديئة ، عربة بعجلات مختلفة الاحجام ولكنها متناسقة ، متضاربة الالوان ومتكاملة .

.. « اننا الجياد المأجورة .. نسحب العربة » ..

يريد ان يعرف ما جرى بعد ان ترك دينا . واوليمپيو يقول :

ـ ان بيع الادوية تدنى في الاشهر الاخيرة .

ـ كيف ؟ هل تغلب الانسان على الامراض في برازيلنا العزيز ؟

ـ بالتأكيد لا . ولكن ظاهرة لحاء شجرة « ايپه روشو » مسؤولة . فقد سحر هـذا اللحاء ألبـاب الناس واستولى على عقولهم بعد ان شاعت قدرته العجائبية على شفاء كافة الامراض والعلل والشلل منها . وولايـة غواياز الواسعة الغابات هي منطقة هذا النوع من الشجر والهنود الحمر في هذه المنطقة يتداوون به .

قال نلسون :

ـ انه مثل ما اشيع عن ماء الاوكسيجين المكثف والمخفف . وأفعاله العجائبيـة .

ـ اجل . والى ان تزول هذه الاوهام نكون قد خسرنا الكثير مـن عمولاتنا لعزوف الكثيرين عن شراء الدواء .

ـ برأيي ان هذه الظاهرة المسماة فعالة انما هي كعجائب القديسين . شعور نفساني ليس أكثر . ومع ذلك ، الازمة في غواياز لا تزول والسوق لا يتحرك ، ما لم توجد اسعار عالية للحبوب . فالولاية زراعية ومحتكرو المواسم لا يفتحون مستودعاتهم الا مع الاسعار المرتفعة .

انتشيا . ومع النشوة يأتي التأثر ، الفرح او الحزين . رفع نلسون كأسـه :

ـ للذكريات .

ـ ماتت الذكريات .

ـ بل انها لا تموت .

قال اوليمپيو :

ـ أما هي فماتت .

★ ★ ★

(وكنت معها على موعد لمشاهدة ـ يدايوريدس ـ وانتظرتها في مكان

من ساحة النور « پراسادا لوز » وانا في حيرة من امري) .

قطع كلامه والتفت الى نلسون وعاد يقول :

ـ فتاة لا تحبك ولا تريدك لها زوجا وانت تلاحقها بمطارحاتك داعيا اياها للزواج وقد تغلظ لها القول مرة بعد مرة ، وهي ما تزال متمسكة بك وتطلب قربك وتنشد وجودك الى جانبها وتلوذ بك وتدعوك صديقها ولا تمنحك شيئا وتحدثك عن حبها لآخر . قل لي بربك : ما هذه الفتاة ؟ وما تكون ؟ أجبني يا نلسون .

ـ لا جواب لدي .. أكمل .

(ـ انتظرتها ولم تحضر في الموعد ومرت دقائق . قلقت عليها . وقد أعددت للامر عدته بعد أن لمست في امس بعض تجاوب منها او هكذا خيل الي . فأنا اعيش على أعصابي . وأملي كبير ، لعلها بدأت تحبني . كنت قد استأجرت شقة في « ڤيلا پارائيزو » . وجهزتها بكل ما يلزم وجعلت أحلم في ليالي بها ، بعد ان اكون قد سكرت وخرجت عن وعيي . اشرب لانسى ويزيدني الشراب بها تفكيرا .

.. وشاهدتها . لم اصدق . طار صوابي . تحولت الى مجنون . كانت تعانق رجلا وهي تبكي . قفزت باتجاههما وجمدت بمكاني . كنت انت تدفعها عنك صارخا بها : « مجنونة . انا هنا انتظر خطيبتي وسنتزوج قريبا » .

المساء مظلم . وظلال الاشجار البواسق تغطي جانبا من اضواء المصابيح . وشاهدت فتاة تصل في تلك اللحظة ثم ترتد وما كدت انت تتخلص من دينا وتلحق بالفتاة حتى اندفعت انا صوب دينا بجنون في ذات اللحظة التي قذفت فيها بنفسها امام حافلة التراموای القادم الآن) .

كان الكلام أنهكه . قال :

ـ سخنت الجعة . أيها النادل . الي بزجاجة باردة حتى التجمد .

وتابع :

(ـ اخذتها بين ذراعي ودرت باندفاعي دورة كاملة ودق جرس الحافلة وصرخ السائق البرتغالي وتمزق ظهر سترتي :

« او .. مينيانوسا سنيورا .. فيليو داپوتا » .)

قال نلسون بأسى :

ـ يبدو ان احدا منا لم يشاهد في تلك الليلة ـ يدايوريدس ـ .

(ـ أخذتها بسيارتي الى ـ ڤيلا بارائيزو ـ أنا كالمخمور وهي بوعي مشلول ، يتنازعني تضارب الاحاسيس . الحب . البغض . العطف . النقمة . اليأس . القوة ، ودينا بين يدي باردة تختنق بدموع وحشرجة . وضعتها بأريكة في شقتي وانعشتها بكأس من الكونياك . وجعلت اتفرس في قسمات وجهها . اعيش الان على اعصابي ، كالمجنون تعبا من نفسي ومنها. لا أمل لي . تساوت لدي التناقضات لا ابالي . وهي مرتخية بكل جمالها واغرائها . بجسدها الحار . بشفتيها . بما بان من صدرها وما انكشف من ساقيها ، عناصر مرئية كثيرة .. تدفعني وانا لم أفكر بها من قبل على هذه الصورة . وثقت بي ثقة خالصة . فكيف يخطر لي ان يحدث شيء بهذه الوحشية البهيمية ؟ دافع من اعماقي يحركني لانهاء هذه المأساة : « الحبل مطنب متوتر .. اضربه بمرة واحدة واقطعه . يجب أن تصنع شيئا . فليكن . ما أظنك الا تكرهها » .

في هذه اللحظة من اختلاط المرئيات في رأسي . وأضواء القاعة شحيحة وتنفسها كحسيس النار . وطنين في اذني . سمعتها تناديني : « أوليمپيو . اوليمپيو » . صوت من الاعماق .. تمد الي ذراعيها .

هل ذكرت اسمي ؟ كنت الرجل الوحيد معها في الشقة وهي تنادي رجلا . شعرها باهت . وشفتاها تطلبان شيئا ، فاندفعت اليها فشدتني الى صدرها وتدحرجنا فوق السجادة وصحونا .

ما تزال تتمسك بي . وجهها في صدري كأنها تحتمي من الحافلة الكهربائية وثيابها شبه ممزقة وهي شبه عارية . في الصباح تركتها نائمة وخرجت الى عملي .

قبيل الظهر تلفنت فلم تجب فهرعت الى الشقة ووجدت الباب مغلقا. وفي الداخل لم يكن هناك احد . ولا قصاصة ورق تقول فيها شيئا . لم أرها بعدئذ ... بل رأيتها ..)

★ ★ ★

كتالون في جنوبي غواياز ـ بلدة الفاكهة والثمار ـ اشجار « الكاكي

والاباكاتي والمانغا والـ ـ جابوتيكابا ـ والـ غوايابا » ـ والبرتقال والموز والدراق ، أهلوها متأثرون في بيوتهم بالمطبخ العربي . عوائدهم من ماضي البرازيل ومما اندمج فيهم من عائلات المهاجرين السوريين اللبنانيين .

ويستقبلون الغريب ويستضيفونه وهم فوق ذلك، أناس شرس الاخلاق يعشش عطش الانتقام في صدورهم ويكبسون الجراح بملح الصبر حتى تنفجر البغضاء في نفوسهم فتمتد أيديهم الى المدي والمسدسات يدمرون بعضهم بعضا .

وتلعب السياسة العائلية دورها في الانتخابات ويفرض ملاكو الارض ارادتهم على الذين يملكون القليل والذين لا يملكون شيئا ، وهم يمتـون بصلات ، الى الرواد البرتغاليين الباحثين عن الذهب والى النخاسين أسياد الرقيق الزنجي والى الضاربين في الادغال مطاردي الوحوش والهنود الحمر في سبيل حيازة الارض .

ان هذا قد انتهى وأحاله الزمن في متحف التاريخ الى اساطير بطولة ما تزال تروى الا ان زمنا اتى على كتالون ، كان داخلها لا يعرف ان كان سيخرج منها ، او تصطاده رصاصة طائشة لا لغرض الا لان أحدهم أراد ان يجرب غدارته .

نلسون بدر عبود يعرف هذا وقد سمع باسمـاء نسـاء كن يحملن المسدسات ويطلقن النار ولهن في السياسة آراء . لكنه ما دخل كتالون في يوم وجلا . فهو ابن غواياز من اب لبناني وام برتغالية الاصل « توركو » مهما طال به العمر في البرازيل ومن يعرف ارضا يعرف كيف يطأها . ومن كان من اصل سوري او لبناني يعرف كيف يسلك في المآزق المهجرية حتى ولو كان في مجاهل الامازون ، بين التماسيح والهنود الحمر العراة والنمور والافاعي وبعوض الملاريا المميت .

ولكنه عندما غادر كتالون بعد ثلاثة ايام على وصوله أحس بالطمأنينة والارتياح ، ولم تعد تربطه باوليمپيو ذكريات غامضة . دينا ماتت . انتحرت قضت بمرض او بشكل طبيعي ؟ سيان ، فبعد الذي حدث لها ، لا يمكن ان تسمى اسباب نهايتها طبيعية .

★ ★ ★

ما يزال مستر اندرسون كبير ذوي الاردية البيضاء يحوم حول باميرا يفترس بعينيه عري ساقيها من تحت ثوبها ـ ميني سايا ـ بزيه القصير الذي لا يجعلها تصد عن لحمها العيون فتتركه يأكل بناظريه ما يشاء . وقالت في نفسها :

« ان هذا الـ ـ كرينكو ـ رجل مثل غيره . مثل مارسيو ونلسون وكأي رجل له الحق بأن يرى . ومارسيو لن يتزوجني ويريدني ان اظل خليلته » .

خرج مستر اندرسون من مكتب المدير ، فابتسم لها على غير عادته ، فاستغربت . « ذاب جليد لندن » . ردت على ابتسامته بمثلها وهي تراه جذابا ووسيما .

« ما الفارق بين الرجلين الا انني أحب مارسيو » .

وخاطبها البريطاني :

ـ الجو حار . جهنم .. « اوكي » ؟!

ـ اوكي وهذه المراوح غير قادرة على تكييف الهواء .

ـ « يس » . « ماتريز » (المكتب الرئيسي) في سان باولو يدرس تكييف هواء .. « اوكي » ؟!

انشق الباب وظهر مارسيو . وشاهد وسمع . « الرداء الابيض » ما يزا لمبتسما ثم تجهم وجهه وحول نظراته الى المدير العام فانصرف هذا وكأنه لم ير ولم يسمع ، فعاد مستر اندرسون الى رطانته وتقطيعه جمل الكلام :

ـ سنيور مارسيو يغار . هو .. برازيلي احمق . انكليزي بارد دم . لماذا غيرة ؟ هه ؟ أوكي ؟

عادت الى فمه ابتسامته . شارباه اشقران كثيفان . ما يزال شابا رغم تجاوزه الخامسة والاربعين . تململت باميرا تحاول تغطية بعض فخذيها البيضاوين وتمتمت :

ـ الجو حار حقا .

ـ اوه . اوكي . يس ..

انشغلت باوراقها واخرجها من تشاغلها صوته الجهوري الغريب المقاطع :

ـ انكليزي مثل برازيلي .. في الحب .. أليس هذا سنيوريتا پالميرا ؟

سارعت هي تقول باضطراب :

ـ طبعا . مثل البرازيلي .

تشجع :

ـ انكليزي رجل . حار مع « لايدي » مفهوم ؟

ـ طبعا مفهوم .

ضحكت قليلا . تراءى لها جبن مارسيو بينتو المدير العام آمر كل هؤلاء الموظفين والمندوبين . توارى . فأين هو لينقذها من صفاقة هذا البريطاني الوسيم وتماديه ؟

ـ سنيوريتا پالميرا . أدعوك خروج مع انا .. هذا المساء ، سهرة عشاء . هه .. أوكي ؟

لاول مرة تسمع بذي رداء ابيض دعا موظفة برازيلية في المكاتب ، الى سهرة او ما يشابهها . طبعا لهؤلاء البريطانيين حياتهم الخاصة . مباذلهم . غرامياتهم .. سألته :

ـ أليس هذا محرما في قوانينكم ؟ اني استغرب ..

ـ اوه . لا . لا . قوانين شركة « ديسيپلاين » . عمل . هدوء . رجال انكليز في « برادات عبر البحار » . حب . غرام . سهر . مثل غيره. هل تقبلين ؟ سنيوريتا پالميرا ؟..

ـ اعتذر . لدي موعد هام .

ابتسم وقال :

ـ غوود .. مرة ثانية . هيه . مفهوم ؟

أجابت بابتسامة كأنها الاغراء :

ـ مفهوم . اوكي .

★ ★ ★

خرج مستر اندرسون وافسح له المدير العام درب المرور لدى الباب وكان قد عاد ودخل كالاعصار الى مكتب پالميرا ، فخار راعدا :

ـ ماذا يريد هذا الـ « غرينكو » وقد أطال المكوث معك ؟

ـ لا يريد شيئا . تحدث عن حرارة الجو وقال ان الـ ـ ماتريز ـ (المقر العام الرئيسي) طلب اذنا من لندن لتجهيز المكاتب باجهزة تكييف الهواء الحديثة ولم يأت الرد بعد .

ـ وماذا ايضا ؟

ـ دعاني للخروج معه .

ـ ماذا ؟ ماذا ؟ وتقولين انه لا يريد شيئا ؟! .. هكذا .. ببساطة؟!

صر بأسنانه وشد قبضتيه واحتقن وجهه :

ـ أتغار من بريطاني بارد كهذا ؟

ـ پالميرا . لا تثيريني . لا تثيريني .

ـ ارجوك . اكظم غيظك .

ابتسمت ضاحكة . وصاح بحنق وثورة قهر :

ـ انك تهزئين بي .

پالميرا بأعصاب متماسكة وكلام هادىء :

ـ اطلب منك الزواج فتقول لا . اخبرك انه دعاني للخروج فتثور . ماذا تريدني ايها العزيز مارسيو ؟ عشيقة للساعة التي تعينها ولشهواتك عندما تثور ؟

ـ پالميرا . سأنتظرك هذا المساء . فليس المكتب مكانا للجدال .

ـ لا تنتظرني .

أطل أوليڤيرا ومارسيو يحاول اخفاء مظاهر حنقه ليلاطفها لكنه ما لبث ان دخل مكتبه ومن ورائه كبير المحاسبين مبتهلا مستغيثا :

ـ اعطني اجازة ارجوك . فاني منهك ومريض ولقد خف ضغط الاعمال ، ولم تعد الحسابات متزاحمة ، وأتممت الميزان الشهري وها هو

التقرير الشامل . وضعت توقيعي ـ رمى اضبارة فوق المنضدة ـ فضع توقيعك وارسله . أريد اجازتي السنوية . قلبي لم يعد يحملني وضغطي مرتفع وها تقرير الطبيب .

لم ينظر مارسيو في تقرير الطبيب الذي وضعه اوليفيرا امامه ، بل خاطبه بعطف :

ـ آسف يا اوليفيرا آسف . اجازتك مرتبطة مباشرة بالـ ـ ماتريز ـ الذي قيد اجازات رؤساء الاقسام به .

ـ حسنا . اكتب اليهم وقل لهم انني قد أموت وانا في عملي فوق اوراقي .

خرج وصفق الباب وراءه . لاول مرة يخرج اوليفيرا هكذا من مكاتب « برادات عبر البحار » . أما مارسيو فخرج مع باليرا وسارا الى موقف الباصات القريب ، واحتلت باليرا مكانا في الباص فجلس الى جانبها وتابع الحديث ، وأكدت له الفتاة انها لن تخرج معه فهي تعبة لا تقل عن أبيها العجوز اعياء .

ـ اعطيك اجازة لعدة ايام لترتاحي .

ـ لا . لا .

نزلا من الباص واتجها صوب بيتها . والتقيا بجانديرا ، فاستأذنت باليرا وتركته مع اختها التي خاطبته معابثة :

ـ سيد مارسيو . ليست الامور بينكما على ما يرام ، أصحيح قولي؟

ـ وكيف ذلك ؟

ـ اسأل نفسك .

سارت الى جانبه مبتعدة عن البيت وحيت والدها الذي مر بهما في هذه اللحظة مجررا قدميه وسألها الى اين هي ذاهبة فقالت :

ـ اوصل السيد مارسيو الى موقف الباص وارجع .

لم ترق له فكرتها فهز برأسه وهو يسير واحساسه بأن ثمة شيئا في بيته قد اخذ مؤخرا يتفاعل على غير نهجه المخطوط لاهله . في البيت تداعى

بأريكة ونادى باليرا اليه فأتت وجلست بساعد الاريكة واحاطته بذراعيها ومسحت فوق رأسه بحنان :

ـ ماذا يريد ابي العزيز ؟

ـ اختك تقلقني يا ابنتي وتصرفاتها غريبة . لم اعد افهم السيد مارسيو ، فماذا يكون هذا الرجل بالنسبة الينا ؟

ـ انه كما تعلم يا والدي مدير عام الشركة وصديق عائلتنا ورئيسي.

ـ هذا صحيح . لكنني اخاف على جاندیرا .

ـ لا تخف يا ابي . لا بأس عليها .

ـ اه .. اه . سآوي الى فراشي . اعطني دوائي .

★ ★ ★

دارت جاندیرا حول مارسيو بغنج سائلة :

ـ تخاصمتما ؟

ـ لا .

ـ بل تخاصمتما . أرى انباء الخصام في وجهك .

ـ في وجهي آثار العمل ومضايقات التعامل مع الموظفين وقد مزقنا الطلبات كلها وقطعنا الساعات الاضافية .

ـ الساعات الاضافية تعب زائد فلماذا تحرصون عليها ؟

ـ لحاجتنا للمال . لسد نفقات كثيرة . لمصاريف زائدة .

ـ لست افهم من هذا شيئا ، انما العمل الاضافي اجهاد اضافي ويسبب عللا اضافية .

ـ من قال لك هذه الفلسفة ؟

ـ ڤالتر وهذه ليست فلسفة .

ـ تعرفين ڤالتر ؟

ـ تعرفت به في نادي الصيد والقنص بباريتوس .

ـ ڤالتر متزوج . فلماذا تهتمين به ؟

ـ انا حرة . أصنع ما اشاء .

ـ فتاة مثلك وبجمالك لا تعدم من هو حزب خير من ڤالتر .

ـ أوه . هوه .. اني منصرفة . انت اضجرتني .
وما همت بالرجوع حتى عادت اليه :

ـ سيد مارسيو .. ألا تدعوني للرقص مرة ثانية في النادي الرياضي؟

ـ لا .

ـ انت فظ ومضجر .

ـ حسنا .

ـ وبخيل لم تف بوعدك .

ـ وانت لم تعودي طفلة يستهويها الجلاتين المحلى .
تفرس بجسمها الفائر بالفتنة وقال ضاحكا :

ـ بل انت الجلاتين المحلى .

ضحكت بدورها وقالت :

ـ بلغت الحادية والعشرين .

ـ تكذبين . انت في السادسة عشرة . پاليرا اخبرتني .

ـ وما دخلها بشؤوني ؟ فلتهتم بأمورها ، فأنا لم اسألها عن عمرها .

ـ جانديرا ، ان اختك صارت مؤخرا متقلبة الطباع متغيرة المزاج . اتعلمين السبب ؟

ـ انا ذاهبة . لا شأن لي بكما .. « تشياو » .

تقهقرت بنزق ورشاقة مبتعدة عنه وخلفته وراءها ينظر الى بدنها الفتي المتثني المتماوج ، وفي قلبه دبيب الاشتهاء والنار . ونسي پاليرا ـ هذه اللحظة ـ جملة وتفصيلا ، واستدار ليمضي ففوجىء بڤالتر قبالته:

ـ اراك لم تغادر باريتوس .. هل حدث ما أعاقك ؟

ـ لا . انا مندوب متجول وبيتي على ظهري .

ـ لكنك متزوج ولك عائلة ..

ـ طبعا . اما في خارج البيت اثناء اسفاري . فلا . ثم . هل نشرب شيئا معا ايها السيد مارسيو ؟

ـ بحسابك لا مانع عندي .

قال ڤالتر بحماس :

ـ لي الشرف بأن استضيف السيد مارسيو الى مائدتي في ـ كاجو اميغوس ـ تفضل .. لكن ماذا تصنع هنا ايها السيد المدير العام ؟

بعد الكأسين الاولين ، تيقظت عواطف مارسيو فأراد ان يعرف أحوال ڤالتر :

ـ سيئة للغاية .

ـ هذا ما ظننته والحل لم يأت بعد . ولا ادري متى يكون . المستودعات مكتظة وابوابها مغلقة . قطعوا العمل الاضافي ، وهذا القطع يعادل عندنا حظر الشحن عندكم .

ـ لكن تبقى لكم رواتبكم الشهرية .

ـ حقا . وهي غير كافية . والثورة منعت رفع الاجور منذ عام ١٩٦٤ .

ـ ومع ذلك فالعسكريون يقبضون العلاوات الدورية والاضافية والقروض وسائر الامتيازات .

انهم (عسكريتاريا) اسياد الثورة المنقذة . الا تصدق انهم أنقذوا البلاد ؟!..

سأل صوت مفاجيء وصاحبه يحتل مقعدا الى مائدتهما :

ـ من هم هؤلاء المنقذون ؟

ـ ماركوس ايها الدخيل .. اخفتني .

ـ لا ضابط للكلام يا مارسيو . فالناس يتذمرون فينكتون وقد يصلون

الى الجدية . أم بقي ان يعتقلوا ثرثاري موائد الشراب ؟!

مارسيو محذرا :

ـ بالنسبة للمائدة لا تتمادى .. انا ضيف ڤالتر وعمولته كانت فوق الصفر بقليل .

ـ بل انكما ضيفاي . وانا لا اعيش من مرتبي كما تعلم .

نادى النادل :

ـ جدد المائدة .

امتلأت بلائحة من المآكل والمقبلات . وجرى الحديث في مصارحة . واحس الثلاثة ، على فارق في المراكز والمهمات والمسؤوليات في الشركة ، انهم لا يختلفون عن كونهم برازيليين في امبراطورية عبر البحار ، مواطنين من الدرجة الثانية .

الكلام لماركوس :

ـ لن تقاوم الحكومة ضغط الشركة لرفع الاسعار وسينهار صمودها قريبـا وترضخ .

ـ حتى لندن تضغط .

ـ أيصل الامر الى هناك ؟

ـ اذن لا يصل يا ڤالتر ؟! تروست ، هو دولة ضمن الدولة . ومـا نحن في الشركة سوى ارقام . واحد من ذوي الاردية البيضاء أهم منا جميعا .

ـ بالواقع ـ قال ڤالتر وقد اصابه بعض السكر ـ كما قال نلسون وهو في ثورة غضبه : « ثمة جياد تقطر عربة ونحن جياد تصريف الانتاج » .

ـ نلسون مأفون . اين الانتاج ؟ لكنه قال حقا .

ـ بالواقع نحن مثل الخيول التي تسحب العربة وتسحب ما دام في جلودها قوة . وفي مرات تقفز العربة فوقنا وتخلفنا وراءها ، فنركض بجنون ونجعل التجار زبائننا يشاركوننا في سحب العربة ، انهم خيـول مثلنا ، وعندما يتأخرون في الدفع تقطع عنهم الطلبات ويهددون بالپروتستو .

تدخل مارسيو :

ـ لكنهم يعملون لحسابهم الخاص. اما نحن فلا. اننا موظفون في المكاتب وقد قطعوا ساعات عملنا الاضافي ، فماذا بقي لنا ؟

رد ماركوس :

ـ العمل الاضافي بساعاته المضاعفة الاجر ، دعامة مالية لذوي الدخل المحدود . يخيل الي انه ضريبة العصر واستنزاف الطاقات . انت تعمل ضمن الساعات العادية ، ثم تعمل ساعات اخرى في اليوم فما معنى هذا ؟ انها القيمة الزائدة عند الموظف الذي يتعرض ليكون مستنزفا .

رفعوا الكؤوس ، واستطرد ماركوس :

ـ حياة العصر متركزة على التجديد . البيت يحتاج لاجهزة تريح الانسان . لها ثمن . الانسان يشتري ويدفع .. بماذا ؟ بالمال طبعا . والمال ؟ يأتي من المجهود . ثم الحفاظ على دقة عمل تلك الاجهزة ، يكلف مالا آخر ثم استبدالها عند التلف . مالا ايضا . لم يعد الانسان مجبرا على اقتناء الخدم . ففي البيوت الخدم الآن اجهزة ومكائن آلية . وبهذا صار الانسان ضحية العصر الصناعي .

ارتفع صوت عابث :

ـ نخب الآلة . ونخب الجياد .

ضحكوا ونسوا وعاد الهزل يخفف من وطأة الواقع .

★ ★ ★

اللوح الاسود في قسم المبيعات يحتل مكانه البارز . في اعلاه اسم انطونيو دي سوزا وتحته آخرون ، وذلك بحكم أولياته السابقة وليس بحكم الخطوط البيانية للبيع اليوم . فبعد توقف الانتاج وحظر الشحن ، استحال تحقيق رقم ولو متواضع في البيع . ولقد فكر رئيس قسم البيع بازاحة اللوح وانزاله ، الا انه اهمله وهو لا يضر ولا ينفع . حتى ان نلسون خاطبه قائلا :

ـ تفتح ابواب الشحن وسترى في اعلى هذا اللوح اسم نلسون بدرعبود

ـ يسعدني ان ارى هذا فالمباراة روح النجاح .

ـ وبشأن طلباتي التي أحضرتها في الشهر الفائت ؟

ـ بعضها القليل شحن . ترى قيدا بها لدى كبير المحاسبين . لكن احذرك .. لا تثقل على العجوز فقد بات مرهقا ثائر الاعصاب .

أطلعه اوليڤيرا على ما ارسل من الطلبات . كمية ضئيلة عمولتها لا قيمة لها وعلل نفسه بالامل القادم . وخاطب اوليڤيرا :

ـ ليس من العبث اخترع البرازيلي بعض الحكم ومنها : « الامـل آخر ما يموت » .

ـ البرازيلي لم يخترع حكما . وما من انسان في الدنيا قادر على ذلك . الحكم لا تخترع . الايام والاحداث هي التي تأتي بها . والصبر والاناة من شيم شعبنا ، وهذا سر تأخرنا .

وافق نلسون :

ـ بالواقع البرازيلي صبور الى حد مخجل . هكذا عودوه .

ـ تقول عودوه ؟ من هم يا بني ؟

ـ من يدري . من ؟! انا ذاهب . مرني بشيء من غواياز توصية . خدمة .. ما ..

ـ صحبتك السلامة .

★ ★ ★

وصل نلسون الى غويانيا ليلا . وفي الصباح التالي ابرق الى التاجر عيد عباس في مدينة سارس : « نلسون يصل بعد غد ليعرض خدماته . مع التحية » .

اعترضت لوسيا على رحيله :

ـ الاولاد يحتجون على رحلاتك الطويلة . صاروا يتفهمون الامور وان والدهم ينسى ان له اولادا .

ـ هذا الكلام منهم ام منك ؟

ـ بالحقيقة يا عزيزي الكلام مني وروحه منهم . امكث معنا يومين

آخرين .

ـ لا استطيع ، علي أن أركز الامور المقلوبة ، واعد طلبات جديدة استعيض بها عن الالغاءات السابقة واملي ان نستأنف تعمير البيت في الشهر القادم أو الذي بعده . عمولتي ستكون كبيرة .

★ ★ ★

سارس بلدة مستحدثة . والاسم كلمة اغريقية تعني « الهة الحبوب » . وقد انشئت هذه البلدة وسط الغابات العذراء على ضفة نهر ـ ريوداس المس ـ زهرة فتية . نكبتها الاقدار منذ تأسيسها لعشرين سنة مضت ، بجهاز حكم بلدي ، يختلف عليها اثر كل انتخابات وكأنه يرث العبث ويورثه، خلفا عن سلف .

رجال ولا أسوأ منهم . لصوص . نفعيون . وصوليون . فاسدون . يسخرون المنطقة لمصالحهم الخاصة ، فتزداد ثرواتهم بغير حساب .

وحال بلدة سارس مثل حال كثير من مدن العالم ومدن البرازيل بخاصة .. الوعود في الانتخابات وادارة الظهور بعدها . وقد تختلف بواقعها عن سواها من المدن ، فهي مع كل هذا ، تنمو وتكبر ويزداد عدد سكانها حتى صارت قصبة في الولاية ، يساعدها على نموها موقعها الجغرافي بالنسبة لشمال الولاية ، فهي باب للدخول اليه في أراض خصبة ومراع خضراء صالحة لتربية الابقار .

ولقد صارت سارس مجمعا للمزارعين والبقارين وتجار الحبوب والاغذية ، تغدق عليهم الثروات العريضة ، فلا يعبأون بتعميرها وبنائها ، بقدر ما يهمهم ان يرتكزوا اليها مؤقتا حتى تتحسن اسعار مزارعهم ، ويكدسوا الاموال ، ثم يبيعوها ويرحلوا الى غويانيا وبرازيليا وانابولس .

وانها لتعلق على سفح منبسط ترتفع معه الى قمة سميت ـ كروزيرو ـ اي ـ الثريا ـ رفع فوقها صليب حديدي كبير مضاء ، ثم تنخفض الهضبة حتى الشاطىء الايسر ـ لريو داس المس ـ (نهر الارواح) العريض المجرى الذي يفصلها عن بلدة ـ ريالما ـ الواقعة على الضفة اليمنى ويربط بينهما جسر خشبي معلق يرتكز على قواعد وجنبات من الاسمنت المسلح ، وتشد اطرافه اسلاك فولاذية ضخمة تتعلق في صواريه العالية من كلا الجانبين .

وكان المتطلع اليه عند الغروب من عل ، والشمس ترميه بآخر أشعتها الحمراء الشاحبة قبل ان تتوارى وراء الغابات والسهول ، وأبخرة الماء تلفه بملاءاتها الشفافة الدخانية ، وما يثار من غبار الطرقات غير المعبدة ، يخيل اليه انه يرى جسرا محترما فوق نهر التاميز من بناء القرن السابع عشر .

الا ان الجسر القوي ، المتماوج المرتج الصارخ ، تحت اثقال السيارات والشاحنات ، صمد وقام بواجبه زمنا .. ثم استسلم وانهار في بعض مستوياته ، ولم يعد صالحا فأجهزت على ما تبقى من سلامته حادثة كان مرصودا لها بلاء عظيم ، الا انها جاءت سليمة على نقيض ما توقع للجسر ، معارضو البلدية .

★ ★ ★

التقى نلسون على طرف الجسر المتهدم من جهة ـ ريالما ـ برئيس البلدية الجديد ، الشاب « سيلفيو بدروزا » المنتخب بأكثرية ساحقة ، والواعد المرجو لمستقبل سارس ، وقد ايدته الجالية السورية في البلدة ، الى جانب الشعب البرازيلي فيها ، فصاح به :

ـ انها باكورة الصعوبات يا سيلفيو .

وقال رئيس البلدية ضاحكا :

ـ اترى ؟ أترى ؟ هذه فاتحة عهدي .

ـ وغيرها وغيرها فاستعد لها فانها بلدة مهملة .

وافق سيلفيو :

ـ بلدة منسية . كل ما فيها مرمم وليس مؤسسا . مخربة . تحتاج لعمل كثير يشابه اعادة البناء . لكن زرها بعد عام واحد وسيكون لك فيها رأي آخر .

ـ ومتى ستعود سياراتنا تحملنا عبر الجسر كما من قبل ؟

ـ اننا نبني الجسر الجديد . ولي مهلة تسعون يوما . اعطني هذا الوقت وارجع الي بسيارتك واعبره آمنا . والان اقنع بالعبور من ريالما بال ـ بالسا ـ ان كنت تحسن السباحة .

ـ اسبح مثل حصاة .

ـ لا تخف . اني امازحك . الـ ـ بالسا ـ (العوامة) قوية ومشدودة بالاسلاك الفولاذية ومدروسة جيدا وحمولتها اربعون راكبا ، انها في الشارع الثاني من « كوريا » . اتعرف اين ؟

ـ كوريا ؟ طبعا . هل يجهل طريقها احد ؟ ام يختلف الطريق اليها في النهار عنه في الليل ؟

واسم كوريا البطلة محطمة فقرات من ظهر الاستعمار العالمي ، يطلق على حي في بلدة « ريالما » . يقع على الضفة اليمنى لـ (ريو داس ألمس ـ وهو الحي الذي يشتهر في كل مدينة اكثر من سواه . الحي البوهيمي والنخاسة البيضاء ، حيث تقع حوادث القتل وصرع السكارى بعضهم بعضا ، وتصفية رجال البوليس العسكري للولاية ، لبعض المشبوهين والمومسات ، تصفية بدنية والقاء جثثهم في النهر الجارف . كما تحدث وقائع السلب والشجار وسحب المدي والمسدسات . ومن هنا كان الاسم البطولي ـ كوريا ـ يطلق على مكان لا تعتز به الفضيلة ، وانما للعنف والقسوة الشبيهين بالحرب الكورية .

اوقف نلسون سيارته ونزل منها واقفلها واستقل ـ العوامة ـ الى ضفة سارس ومنها الى « محلات التموين الاهلي » بالجملة . فوصل تحت شمس حامية ، والعرق يتصبب من بدنه . والجو رطب وكأن الشمس تنحدر الى قرب سطح الارض تستقطر من الماء والشجر ما تبخره بعدئذ رطوبة ثقيلة .

★ ★ ★

عاتبه عيد عباس . فكيف يأتي هكذا ولا يتلفن ليرسل اليه سيارة تنتظره على ضفة النهر ؟! وعاد يرحب به وقدم له الماء البارد والقهوة ، وتبغ غواياز المجدول ليقتطع منه ويلفه بورقة الذرا الرقيقة . وقال له :

ـ كنت انتظر وصولك غدا فبرقيتك تشير الى غد . ومع ذلك فأهلا بك .

ـ ابرقت اليك فانت الزبون الاول لشركتنا في سارس وجوارها . ولكنني أنهيت أعمالي قبل موعدها فسارعت بالحضور اليوم .

شرب من فنجانه رشفات وقال :

ـ تلك هي القهوة التي كانت تصنعها امي . القهوة العربية الرائعة .

وقال عيد عباس :

ـ وهذه ما نسميها نحن بالقهوة التركية . انها الوحيـدة التي هي تركية الاصل ، بين كل ما ننسب اليه من الجنسية التركية .

اشار نلسون الى ساعده وهو يضغط عليه :

ـ هنا تجري دماء عربية وابي كان يقول دائما : « الدم لا يصير ماء ». وانا أحس بأن قوله لم يفقد جدته .

ثم دعاه عيد عباس لتناول طعام العشاء الى مائدته . واضاف :

ـ ايها الصديق نلسون.. اعدك بانني سأقدم اليك اصنافا من الاطباق العربية الاصيلة . ولك ان تصدق ان طباختنا البرازيلية هي التي ستصنعها باشراف زوجتي .

وهنا قال نلسون ، والفرح يزدهيه :

ـ وانا لي الشرف بقبول دعوتك الكريمة .. وعلى ذكر المطبخ العربي فهو سيد مطابخ العالم بلا منازع . وهذا الجسم الذي يحمل نلسون كما يحمل الحمار الاثقال تغذى في زمن الاهل ـ رحمهما الله ـ بكيبي (كبة) وكفته وميشي مفوف (محشي ملفوف) وميجادرا وبوركول (برغل) ..

انتقلا الى حديث آخر ، فكانت لهما جلسة عمل فورية . وسأله عيد عباس :

ـ ماذا عندكم من جديد في « عبر البحار » ؟

ـ اقترب موعد رفع الحظر عن التصدير واريـد ان اسجل لـك طلبا كبيرا .

ـ لكن ثمة طلبات عديدة سابقة !!

ـ اعرف . وفي حال الغاء بعضها او جميعها ، يكون الطلب اليـوم مضمونا . وبالنسبة للمستحقات فانهم لا ينفذون طلبا ما لم تسدد اثمان المشحون ، مستحقا او غير مستحق .

قال عيد عباس :

ـ لا بأس .

ـ والمهم ، بالنسبة للتسديد اليوم . سأدرس معك طريقة يكون فيها الخير للطرفين .

ـ احسنت . انا معك ارتاح . وانت تتفهم وضع هذه المنطقة الزراعية وانعكاسات الموسم واسعار الحبوب وتسويقها ، على مجمل السوق التجاري وامام حظر الشحن الي من عبر البحار، اضطررت لشراء كميات من الاصناف المماثلة من مصانع اخرى .. ولا بد من تسديدها في اوقاتها . علما بأنني فقدت مبيعات كثيرة وتخلفت عن تلبية طلبات عديدة لزبائننا .

★ ★ ★

العشاء دسم وأشربة باردة منعشة . وبعدئذ جلس عيد عباس وضيفه في شرفة دارته الفخمة في الشارع السابع ، يستمعان لموسيقى عربية واغاني أم كلثوم ووديع الصافي . ومن حولهما أحواض رخامية ، جعلت من الشرفة، حديقة معلقة ، ملونة بالزهور والورود .

دار الحديث بينهما حول امور مختلفة ، وفي كل مرة كانا يعودان الى حظيرة الكلام في التجارة ، فكأن لهذه جاذبا مغناطيسيا يستولي على العقول والالباب ، شكا عيد عباس من ان الحياة تحولت الى مفاهيم لا تتجاوز أطر المادة ، والربح والخسارة وبلغت الارقام مراتب القيم .

وطالت سهرتهما الى ما بعد منتصف الليل . وفي اليوم التالي ، أكملا جلسة العمل مع اول ساعات الصباح . وتسلم نلسون بموجب ايصال موقت مبلغ اربعة ملايين كروزيرو قديم من اصل سند قيمته سبعة ملايين.

وسجل لعيد عباس طلبا كبيرا وقال :

ـ لم اثبت الاسعار . وبهذا لا يحتاجون منك الى موافقة جديدة عندما تعلن الاسعار المنتظرة فالاسعار ستعلن لا محالة .

قال عيد عباس وهو يحرك يده بلا مبالاة :

ـ ليس المهم الاسعار . شيطانا اشتريت شيطانا تبيع . المهم وصول البضاعة بسرعة .

بعد ثلاثة ايام غادر نلسون سارس وقد قبض مبالغ لا بأس بهـا . وسجل طلبات كبيرة نالت رضاه .

★ ★ ★

حكاية مندوبي عبر البحار المتجولين ، مع زبائنهم طريفة . فهم مكرمون عند هؤلاء التجار من الصنف الثاني بين تجار الجملة .

أما حكايتهم مع نسائهم واولادهم ، فمثل حكاية الملاحين العاملين في السفن ، ما يكاد واحدهم يصل الى بيته حتى يبرحه وما سخن به فراشه . لهذا كان الشوق دائما قائما بينهم وبين زوجاتهم بحرارة ونزوع . كما بين عروسين او حبيبين عاشقين .

لكن .. تشذ القاعدة .

انطونيو دي سوزا . بطل ارقام البيع القياسيـــة في « برادات عبر البحار » وزعيم الخط ـ البياني على اللوح الاسود ، بلا منـازع ، يؤكد ان تسعين بالمئة من هذه الصلات بين الزوج وزوجته زائفة . وان القرون التي تركبها نساء المندوبين المتجولين لرجـالهن ، اكبر عـددا من قرون ابقار « نايلور » التي تذبحها بالالوف مسالخ عبر البحار، في مصانعها بالبرازيل .

يرتاب وصارت الريبة يقينا ، ففي بيته قامت التجربة وقام الدليل على نظريته . ومنذ ايام لم يعد يرى في الموضوع طعم النكتة ، بـل مهانة المأساة وتعاستها . ومع من كانت تخونه « تلك العاهرة المتدثرة في غشـاء شوقها الابدي اليه ؟؟ » .

★ ★ ★

الرجل ينأى والمرأة تشتاق فتنتظر بصبر عودتـه . بينهـن من لا ينتظرن . اما لوسيا فتدافع عن كرامة المرأة امام زوجها : ليس جميع النساء بل اقل من القليلات هن مريضات خلقيا وجنسيا ، فيقول هو ان بعضهن ساقطات منذ مولدهن . وبعضهن هاويات محترفات يغريهن المال . فالمال هو الاغراء الاكبر . وهنا تقول لوسيا :

ـ الرجل هو المسؤول لانه باذل المال . يدفع فيغري فيملك .

ـ مهما يكن الامر . انا لي ثقة بك يازوجتي العزيزة .

لم ينتظر لتقول شيئا ومضى يخبرها عن موت دينا كما روى له اوليمپيو ولكن بلا تفاصيل مأساوية وما صحبها من عنف وقساوة . ولاحظ انها حزنت فابتسم متصنعا المرح وقال :

ـ كنت اظنك تكرهينها .

ـ ابدا لم اكرهها .. انما ـ عانقته وأراحت راسها فوق صدره ـ كنت اخاف يومئذ عليك ..

ـالغيرة عند المرأة .. دائما .

ـ ومعنى هذا انني احبك . وقد ارتحت يوم أنبأتني انك ستترك مونتي ثردي .

ـ بالواقع لم اترك مونتي ثردي لهذا السبب الذي تظنين . انما لقرفي من العمل فيها وكنت قد شارفت على السنة العاشرة فيها .. ثم تلك الشموع والكونت وخطابه القصير وذلك العشاء . اجل .. قرفت ، وكانوا قبل ان انهي في خدمتهم مدة عشر سنوات سيطردونني كي لا يطبق عليهم قانون العمل الذي يجبرهم بعد السنين العشر على ان يشركوني في مؤسستهم ، وكثيرا ما قذفوا الى الشارع بأمثالي من محققي الارقام القياسية وسواهم . وهم لا يعدمون ارتالا من المندوبين غيري يشدون عربة تصريف الانتاج في سبيل لقاء فخري وعشاء احمق طنان الى مائدة كهل بورجوازي انيق وذكي ومضجر حتى القرف .

توقف قليلا وعاد يقول بعياء :

ـ اني تعب ومأفون . مأفون . مندوب جوال لتروست كبير .. ملك عند زبائني التجار الطامعين بوصول المنتوجات اليهم . يستقبلونني انا احد الارقام في الشركة ، كما يستقبل الرجل الخطير . هل تريدين حماقة ابلغ وزيفا اكبر ؟!

ـ هون عليك وانهض الى فراشك ، يخيل الي ان سفرتك الاخيرة قد انهكتك .

ـ يبدو انني غير مستطيع التعبير لك عن فكري فانا منهك القوى .. صحيح . ومؤخرا صارت تأتيني أفكار غريبة . حتى لاقف من نفسي محققا

في ما بلغته من نجاح . أنا موفق وناجح .. لي اسرتي . اعاني من أزمات طارئة فأتغلب عليها . بيتنا يكاد ينتهي . ڤيلا صغيرة وجميلة . يكبر فيها الاولاد وننضب فيها في آخر العمر . وقريبا أفي ديوني عندما يرفع الحظر عن الشحن ، وانا تقريبا الان اي بعد ان يشحنوا المبيعات غير مدين لاحد.. وتلك سعادة .

المشاكل تحل نفسها بنفسها .. نعيش ونلهو ، وننعم بهذه الحضارة العصرية في حمى النظام القائم .. ونتمتع بالرفاهية التي أوجدتها الصناعة المتطورة .. وأقول اني سعيد .. ومع ذلك اشعر بأنني ضحية . ضحية من ؟ مونتي ڤردي ؟ عبر البحار ؟ زبائني ؟ أسفاري ؟ لا ادري . لا ادري . الشركة تشتري المزارع الواسعة وتتملك المساحات الكيلومترية . توقف الانتاج . تسرح العمال . تعيدهم . تصدر الارباح الى الخارج . الا انها تمون البلاد بالمنتوجات المختلفة .

ومونتى ڤردي مؤسسة وطنية . تطور الاقتصاد في البلاد . تصنع القطاع الخاص . تعاني من ضغوط المزاحمين الاجانب وقد حاولوا ابتياعها وبلعها فصمدت ببسالة . وهي بدورها تمون البلاد بالمنتوجات . وتفتح فروعا . وتدفع ضرائب . وتدعم ديموقراطيتنا . ومع هذا فانها لا تختلف عن الشركات الاجنبية .. فالجميع (مصاصو) دماء .. (يتضخمون) مثل علق الماء ولا ينفجرون ، والناس يزدادون تضورا ..

لوسيا . أثقلت عليك . أفسدت ليلتنا بالثرثرة .. احتاج لحنانك يا حبيبتي .

تلمست وجهه براحتيها الناعمتين . الضوء مطفأ . والسرير وثير . ونلسون كأنه طفل . ضمته الى صدرها فاستكان لدفئها . وتغلغلت اناملها في شعره فاستجاب اليها فلامس بيديه صدرها وخصرها واضلاعها فانشدت اليه . ولعلها تذكرت اللحظة انه لم يعد شابا .. وثمة خصلات في شعره الاسود تمازجها فضة العمر . همست بصوت حان :

ـ نلسون . حبيبي . حبيبي .

لفها بساعديه ومسح بدنها بيديه . وقبلها في عنقها وصدرها ، واستكان نهداها القلقان لانفاسه . كانت مثل تفاحة ملساء ساخنة وبدنها الاسمر البشرة متحفزا فوجد فيه عالما كليا لا يحتاج لاكثر منه . وصارت

عارية بين يديه ، فوجد فيها الغطاء والبيت والمستقبل . وتحول همسه الى هذيان .

وعندما استيقظ ولامس وجهه نور النهار ، والتف أولاده حوله ، طرد من نفسه ذلك الوهن الشكوك .

« فليس في النهار مكان لهواجس الليل . ولا في الحياة الناشطة مكان للتشاؤم » .

★ ★ ★

رفض الـ ـ ماتريز ـ في سان باولو منح كبير المحاسبين اجازته . فالشركة لا تستغني في هذه الظروف من صراعها من اجل اعادة الانتاج عن اي من عناصرها . وكان في المكاتب المندوبون المتجولون : ڤالتر وسوزا ونلسون وجوراندير وماورو وجوزياس وآخرون كثيرون في لغط وفوضى من التعليقات والانتقادات والتطلع الى ذوي الاردية البيضاء .

.. « ماذا ؟ هل من جديد ؟ لا شيء . لا شيء البتة » .

نقم كبير المحاسبين في البدء ثم استكان .

ومر رئيس قسم المبيعات باسفنجة مبللة فوق اللوح الاسود .

ونشطت حركة المكاتب ولم يعد لدى پالميرا متسع لتخفي عري فخذيها.

فعلى الاثر أتى امر باستئناف الانتاج .

وفي الليل غص الحي البوهيمي بالحركة ، وأسدت المحترفات للمندوبين الخدمات الاباحية ، فتبذلن في المخادع وتهتكن وأدين كل ادوار العهر والانحراف الجنسي والسقوط . وبات اكثر المندوبين خارج الفندق .

في اليوم التالي ، بدأت أرتال من العمال تدخل الباب الواسع ، فقد أشارت أصابع « برادات عبر البحار » اليهم : « ان عودوا أيها الكدحة من منفاكم » . وراحت المداخن كغابة كثيفة ، تقذف بحمم النشاط الآلي بخارا ودخانا في الفضاء . وعادت نعمة العمل الاضافي ، فتناسى العجوز اوليڤيرا نقمته واحس بالعافية تنفخ في جلده . وابتسم السيد مارسيو على مضض للمستر اندرسون الذي يحوم حول پالميرا ..

ودعي المندوبون المتجولون الى قاعة الاجتماعات . ووقف المدير العام وقفة استاذ جامعي وفوق عينيه نظاراته وقرأ عليهم التعليمات الجديدة . وتحدث عن أسباب زيادة الاسعار . وان على المندوبين ايصال هذه الشروح الى زبائنهم في كل مكان ..

ـ .. « حرصا على تأمين مواد الاستهلاك والمثابرة على رفع وتائر الانتاج ورفع مستوى المنتوجات ، وتعاونا مع الحكومة الثورية الديمقراطية من اجل تطوير الصناعة القومية والنهوض باقتصاد البلاد ، وتحت ضغط ارتفاع أسعار المواد الخام وصفائح الـ فلاندر ـ التي تستعمل لاحتواء المعلبات ، فقد تم رفع الاسعار بنسبة ١٢٪ فقط » .

واضاف مارسيو :

ـ .. بخصوص الشحن . مكتب المبيعات لا يصرح مطلقا بارسال طلب الى زبون ما لم يكن الزبون قد سدد ما عليه من سندات مستحقة او ستستحق . الرجاء التوجه الى الاقسام الخاصة لتسلم المعلومات الخطية وسائر أوراقكم ودفاتركم . هل من اسئلة ؟ حسنا .. اتمنى لكم مبيعات وقبوضات كبيرة .

ارتفعت الغمغمات وعلت سحائب الاستياء ، لهذا الشرط الاخير الذي يحد من تحرير الطلبات . وطوى مارسيو اوراقه وغادر القاعة وسط الاحتجاج والنقمة .

وفي قسم المبيعات تزعم نلسون بدر عبود اعلى اللوح الاسود . واتى اسم انطونيو دي سوزا في المرتبة الرابعة مما اثار موجة من التعليقات .

★ ★ ★

رن جرس الهاتف في مكتب پالميرا وأتاها صوت امرأة يسأل عن المدير العام السيد مارسيو بينتو . فأجابت بانه سافر الى سان باولو .. يعود بعد غد .

ـ آسفة لازعاجك ، أمتأكدة من انه لن يعود قبل غد ؟

ـ عفوا يا سيدتي . قلت بعد غد وليس في غد . هل من خدمة ؟

ـ اذا تكرمت . ارجو ان يتصل بي ، فندق المسافرين غرفة ٢٧ .

السيدة سانتينيا أمورين داسيلفا .

دخل مستر اندرسون . فكرت پالميرا :

« تمثال جامد . تتحرك عيناه في قناع وجهه البارد . هل ثمة وجوه بلا قسمات . بلا سمات ؟ »

اما العملاق البريطاني ذو الشارب الكث الاشقر والعينين الزرقاوين الدائرتين بنظراتهما في كل ما حوله فانه ليكذب حدسها ، بابتسامته الظريفة وبدفء نظراته . قال :

ـ الجو لطيف .

ـ حقا الجو لطيف .

ـ اليوم .. حرارة افضل . آنسة پالميرا . اليوم ألطف . مارسيو مسافر .. هم ؟..

ـ اجل . مسافر .

ـ مارسيو مسافر . برازيلي غيور .. ادعوك خروج معي اليوم .. أوكي ؟!..

لهجة واثقة كأنها آمرة ، وعملاق يتكلم .. شكل تحلم بالخروج معه كثيرات من موظفات الشركة . وبغير تفكير كثير كانت تهز برأسها موافقة .

ـ أين انا احضر . آخذك ؟ امام بيت ؟ غوود . أوكي ؟

ـ لا . غير معقول .

ـ لماذا آنسة پالميرا ؟ أمام منزل غير معقول ؟ أوه أوو « انجلند » حضارة . حرية .. كل شيء معقول في « انجلند » .

ـ ارجوك .

شفعت ارجوك بنظرة اغراء تحرك لها الصنم العملاق ، وبدت عيناه أكثر دفأ وقسمات وجهه اشد تعبيرا عن قبوله .

ـ نلتقي امام الحديقة . منعطف شارع كونكورديا ـ سنترال .

ـ غوود . الثامنة مساء . مفهوم آنسة پالميرا ؟ أوكي .

★ ★ ★

تسير مأخوذة . شديدة الاضطراب . مترددة . ناقمة . ثائرة الاعصاب تحاسب نفسها ، تعاقبها ، فقد أخطأت . الى اين ستوصلها غلطتها ؟ قاومت البريطاني وتهربت منه ثم سقطت لدى قبولها بلقائه .

أخرجها نلسون من هواجسها . تواجهه في طريقها، وعلى فمه ابتسامته المتحدية الوقحة حتى لتحسب ان ماركوس لو ملك هذه الابتسامة لملك فؤادها ولقبلت بالزواج منه .

« لكنه وهو المهذب الساذج المتخرج من مدرسة آداب السلوك .. لا . لا . » .

تسأل نلسون :

ـ لم تسافر بعد . ألا يهمك اللوح الاسود والرقم القياسي ؟

ـ پالميرا . بقيت لاراك .

ـ ظريف انت . مغرور . دربك غير دربي .

ـ انت وانا متفاهمان بقلبينا . هل نلتقي غدا فاليوم لدي موعد ؟

ـ ماذا قلت يا نلسون ؟ خيل الي انك قلت ما يضحكني .

ـ ومع ذلك لم تضحكي .

ـ وجدت الامر جدا رغم حماقته مما يثير لدي الاشمئزاز . ارجوك ان تنصرف .

أوسعت خطواتها فلحق بها وأمسك بذراعها فنترتها منه واهتز شعرها الاسود بغضب واستنكار :

ـ پالميرا . لا مجال للقول الكثير . انك استوليت على لبي . افكر فيك ليل نهار . فأنت لا تبرحين بالي . تعيشين معي .

مضت كالراكضة وضاعت في السائرين والسائرات . في البيت وجدت جانديرا تتهيأ للخروج وهي تلقي على المرآة آخر نظرة وقد تعطرت بعطر مثير . وتبدو الآن امرأة ناضجة ضاجة بالانوثة لا تمت بصلة للفتاة الغريرة. وعيناها بدتا لپالميرا متعبتين من ليل طويل أو من شوق مرير . او من الامرين معا . وفيهما ما يوحي بكل مغريات المرأة وعيوبها :

ـ عزيزتي پاليرا سأخرج قبل ان يحضر ابي فاختلقي له عني عذرا .

ـ لن يحضر سريعا . قسم المحاسبة مكتظ بالاعمال .

ـ طبعا ساعات العمل الاضافي وهو بغير حاجة لها . انه ينتحر .

ـ أهذا كل ما عندك من كلام ؟

ـ وماذا اقول اذن ؟ هل انتحر معه ؟

ـ انت قاسية يا جانديرا . تبدلت كثيرا في الآونة الاخيرة .

ـ ومن منا لم تتبدل ؟!

في ساعة متأخرة ، رجع أوليڤيرا فلم يجد جانديرا كذلك لم يجد پاليرا . كان التعب يهرسه فدخل الى غرفته ونام .

★ ★ ★

كان آخر مقهى في الحي يغلق ابوابه عندما اوصلها نلسون الى بيتها . (اتصلت في بحر نهارها عدة مرات بفندق المسافرين تسأل عن ڤالتر فكان يأتيها الجواب بانه خارج المكان فطلبت ان يخبروه لينتظرها في الثامنة مساء فهي قادمة اليه وقد كان غضبها شديدا عندما وصلت وعلمت بأنه غادر باريتوس منذ قليل .

« ليس اول من يهرب من امرأة . احبه ولكن ليس بقدر الا استغني عنه . لو ألقاه سأبصق بوجهه . ما حملته مسؤولية وما طالبته بشيء . الجبان الوغد ، أبغضه وأحتقره » .

وهي خارجة التقت بسيدة فارهة العود تدخل الى الفندق . في اول عقدها الرابع قد بديع ملفت للنظر وزرقة عينين واسعتين تجذب الابصار لكن جانديرا غادرت المكان منفلتة مهانة ، ونلسون يصل الى باب الفندق الواسع فتصدمه بكتفها فيلحق بها .. ويقول لها معاتبا :

ـ يخيل الي اني شاهدت هذا الوجه الفاتن من قبل .

ـ وانا بالتأكيد لم ارك من قبل .

ـ تذكري .. التقينا امام مدرسة .

ـ لا ، هذا غير صحيح .

ـ اذن في كنيسة ؟

ـ انت غلطان .

ـ على كل حال مجرد آفتراض لا يهم . نسير معا مثل صديقين او حبيبين وفيين .

ـ لا يوجد وفاء .

ـ مثل عاشقين التقيا بعد فراق .

ـ ايضا لا .

ـ جانديرا . انا نلسون ولست مثل ڤالتر .

ـ جميعكم كذابون مخادعون . طحين من نفس الكيس .

ـ أؤكد لك . انا نلسون .

« سيرى ڤالتر ان بمستطاعي حشد طابور من الرجال حولي . فقط علي أن أشير باصبعي لهؤلاء الكلاب فيجروا ورائي » .

★ ★ ★

لاحظ نلسون وهو يدخل بجانديرا مطعم ـ شور اسكاريا دوسول ـ ان رجلا عملاقا يعرفه جيدا كان يدخل الى احدى المقصورات الخاصة وبصحبته فتاة بارعة الحسن بثوب أزرق سماوي مكشوف الصدر ، وعطرها يترك سحابة مثيرة وراءها . فأخذ جانديرا من ذراعها وهمس لها :

ـ هل تريدين رؤية پالميرا ؟

ـ ابدا . لنخرج من هنا .

أسر اليها بكلام حاولت ألا تفهمه فعاد يهمس من جديد . وبان غضب في عينيها ما لبث ان تبدد كسحابة شفافة . « ان شجرة رمت لفم ثمرة ترمي لآخر ثمرا » . قانون يعرفه نلسون . متلهف لتلقي الثمار . وجه سيارته العتيقة « المرودجة » الى ضاحية منعزلة واوقفها امام بيت منزو .

فتحت لهما الخلاسية الشابة التي بدت في الباب « تترقوص » وهي

تلوك علكة تطقطق بين شدقيها عارضة أسنانها الناصعة البياض :

ـ غرفة خارجية محايدة يا مانويلا . وشراب بارد .. ويسكي وفاكهة. لا تتفرسي في وجهها .. ليست من هنا .

ـ ظننت انني شاهدتها وأرى انني مخطئة بهذا .

ـ كفى هذرا وسأكون سعيدا عندما ترحلين .

ـ أتعرف انني سأتزوج يا سيد نلسون ؟ خطيبي سيحضر قريبا . وسنقضي شهر عسل في مكان جميل من البرازيل ربما في بيلاكاب (الريو) .

ـ طبعا . هاتي فورا الويسكي والصودا والثلج والفاكهة. اين الغرفة الخارجية ؟ وبسرعة الويسكي والفواكه والصودا والثلج ..

ـ فهمت . فهمت . لماذا تعيد ما سبق ان قلت ؟!

ـ كي اقطع عليك درب الثرثرة أيتها السمراء الحمقاء .

★ ★ ★

الغرفة واسعة . محتوياتها : سرير مزدوج بأغطيته البيضاء . وتواليت وكمودينا فوقها (لامبادير) أباجور أخضر ومنضدة واطئة وكرسي وأريكة وسجادة موكيت تغطي الارض . وخزانة ببابين .

تشاهد غرف الحب غير الشرعي لاول مرة . فتراها كسواها من غرف تضم الازواج والابناء والفتيات العذراوات . العلاقات هي هي . شرعية كانت او خارجة على قوانين الكنيسة . العلاقات هنا اشد حرارة ، أبعد عن ملل الرتابة وسأم التعود .

عانقها متلمسا بيديه ظهرها وانحدرتا الى خصرها تداعبان حزاما حريريا فتسقطانه . قرعت مانويلا الباب فمضى اليه واخذ ما احضرت . واستدارت جانديرا الى مرآة التواليت . دنا منها .. شدها اليه وهو ماض في مداعبتها وفك قيد جسمها من الثياب .

تراءى لها ثالثر للحظات عابرة .

(في ظلمة الغابة خارج المدينة ونقيق الضفادع وأزيز الهوام والجنادب، وانسام وحشية تلامس بدنها المكشوف . لكنها لحظات لن تنساها

مدى العمر) .

تراجع نلسون خطوتين او ثلاثا وهي شبه عارية وانحنى بجذعه القاسي .. يا الهي .. يا للجمال والفتنة . استقام جذعه وبدا رجلا قويا مرغوبا ، شحب أمامه ڤالتر ، تبخر . مد ذراعيه فأمسكت بأصابعها أطراف اصابعه وسحبها على مهل الى صدره . وشعرت انها عذراء تتلقى القبلة الاولى وما مست بعد نهديها كف رجل ، فأسلمت له جسدها بفائر شهواته. وانها الآن فقط ، تنزع الوهم وتتحرر من قيود الزمن العنكبوتي .

پالميرا . من افكارها .

« المرأة تنتقل بين الرجال كما قطعة النقد بين الايدي » .

مستاءة تحس بالخجل . عادت من سهرتها مع مستر اندرسون .

« المرأة تنحدر وتصير سلعة » .

پالميرا لا تتاجر بجسدها . وما هذه الا اندفاعات كالنبض العفوي والحب هذا جعلها تلتقي بمارسيو . ثم تلتقي بعده بالبريطاني .

لم تستطع النوم . تقلبت .

« جانديرا نامت مثل قطة في آخر الليل من شباط . حيوانة شبعانة مرتوية . وبيننا تشابه . الدم . الاصل . المنشأ . جعلنا شبيهتين ببعضنا. من ام واحدة رحلت عن الدنيا ، واب مشغول بساعاته الاضافية وهو في رعب من المستقبل ومظالم السن الارذل .

مأخوذ بالعمل وبافرازات هذه الحضارة . كاره لها . نتاج مدنية ترفع راية الصناعة الحديثة في بلد متخلف . مرتكزة على الآلة الصماء ، ويموت شيئا فشيئا ويهوي ولا يدري الى اين هو سائر » .

سخطها على حالات كثيرة :

« بالامس مارسيو . اليوم اندرسون . وغدا ؟.. لعله نلسون ؟ لا . نلسون من حصة جانديرا القطة الشرهة » .

شاهدتهما معا وتظاهرت بأنها لم ترهما ، وتناولت طعام العشاء مع البريطاني وهو ببروده « الجنتلماني » ، يتناول الطعام برتابة ودقة ونظام . لو لم يرفع الكأس ويشرب نخبها لظنته في جلسة عمل . وعندما تمطت

الخمرة في عروقه وأحس بدبيب النشوة ، حدثت فيه ردة فعل فلامس يدها وضغط بأصابعه القوية على أناملها الناعمة وانفلتت عقدة لسانه وتحسنت لغته البرتغالية :

ـ عزيزتي پالميرا ، انا سعيد بقربك .

ـ وانا كذلك يا مستر اندرسون .

ـ ايه ؟ مستر لا . اندرسون . ارجوك . هم . هم ؟؟

ـ اندرسون .

ـ فقط ؟..

ـ عزيزي أندرسون .

ـ غوود . أوه .. أوكي .

حدثها عن ماضيه . خدمته في الجيش البريطاني في الهند . رحيله عن الهند. اماكن زارها. حياته الخاصة. زواجه وطلاقه. أولاده في انكلترا.

الكؤوس التي شربتها لم تطفء ثورتها .

يتعادل في كفتي ميزان محاكمتها : مارسيو واندرسون . فهل ستلبي دعوة هذا الاخير اذا ما دعاها الى ليلة مستورة ؟

كلاهما عابر مهما طالت علاقاته بها . لم يدعها . أوصلها الى بيتها . ودعها مقبلا يدها .

★ ★ ★

عاد مارسيو بينتو من سان باولو حانقا غاضبا وخاطب پالميرا :

ـ هل من جديد في غيابي ؟

ـ فقط هذه الرسائل ، وأراك قد عدت اليوم .

ـ لم يكن هناك ما يبقيني لغد .

ـ اراك على غير ما يرام .

ـ مضايقات كثيرة وقيود مشددة على تحرير الطلبات تخلق جـوا من

الاستياء لدى المندوبين .

دخل مكتبه وانشغل بمطالعة الرسائل الواردة . وما لبثت ان لحقت به لتقول :

ـ تلفنوا اليك من فندق المسافرين . الغرفة ٢٧ .

ـ هيه .. ـ لم يرفع رأسه مد اليها يده ببعض الاوراق ـ لدي هذه .. انسخيها على اربع ..

ـ سانتينيا أمورين داسيلفا .

ـ وخذي علما بهذه الرسائل . وسجلي ..

انتفض فجأة وكأن جسمه مركب على رفاصات وشب دفعة واحدة :

ـ ماذا قلت ؟

ـ سانتينيا في فندق المسافرين غرفة رقم ٢٧ . تنتظرك .

ـ سانتينيا ! سانتينيا ؟!

ـ يبدو انها تعني كثيرا بالنسبة اليك .

ـ متى جاءت ؟

ـ في اليوم التالي لمبارحتك .

ردد الاسم مرة اخرى ـ سانتينيا ـ واكتست صفحات وجهه بالغموض والاحاسيس وخرج لا يولي پالميرا التفاتة .

نسي لقاءه مع السادة الكبار في الـ ـ ماتريز ـ بسان باولو ، فقد عجل هذا الاسم (سانتينيا) باخراجه من حالة المهانة التي لبسته خلال اليومين الاخيرين وأنسته كل متاعبه .

(دخل بناية الـ ـ ماتريز ـ لا يعرف سبب استدعائهم له .

في الخارج الجو حار خانق . ومناخ البناية بارد مكيف على أتم وجه . ارتاح الى انه قدم بثياب خفيفة ، قميص سبور وبنطال . وقبل ان يدخل ليعلن عن وصوله التقى بأحد اصدقائه جوان كارلوس الذي رحب به وسأله ان كان سيدخل هكذا بثيابه السبور ؟

ـ وما المانع ؟

ـ ويحك . لن يستقبلوك . وذاك الـ ـ غرينكو ـ الجديد ارستقراطي كأنه ابن عم الملكة اليزابيث .. مغرق بالرسميات . تعال . تعال . ارتد سترتي ولا تنس أن تعيدها الي عند خروجك . حظك جيد اذ الجاكيت رمادية بلون بنطالك . وزرر قبة القميس وكان الله بعونك وليس معي كرافات لاعيرك اياها .

استقبلوه ببشاشة الجنتلمانات . واطلعوه على السياسة الجديدة في العمل وذلك بعد ان قدموه الى الرئيس الجديد . وبعدئذ اظهروا انتقاداتهم للعمل في باريتوس وظهر مع برودة دمهم وتماسك اعصابهم انهم غير راضين.

دام اللقاء نصف ساعة وصحبه أحدهم الى الخارج لينتظر المصعد . وما انفتح المصعد وتقدم مارسيو ليدخل اليه حتى لاحقه صوت البريطاني امام الجميع :

ـ سنيور مارسيو . مرة ثانية تحضر مواجهة رئيس كبير ، لا تنس حضور مع كرافات . رسمي . هم .؟ اوكي ؟!

جف حلق السيد مارسيو والموجودون ينظرون اليه ولم يقل شيئا. اعاد الى جوان كارلوس سترته وهو يصخب بالشتائم والرجل يضحك قائلا:

ـ لم يفتهم غياب الكرافات ؟ يا للاوغاد) .

★ ★ ★

اوتيل دوس فياجانتس ـ (فندق المسافرين) . ينزل فيه المندوبون لرابطة تشدهم الى صاحبه الذي كان من قبل واحدا منهم في الشركة . ولخصم عشرة بالمئة عن التسعيرة . ولتعاونه معهم في ازماتهم المالية . فالسيد باتيستا انسان طيب . أحد جياد الشركة السابقين . يقول لهم في بعض المرات مازحا جادا :

ـ اعرف الاعيبكم وعاداتكم . فأنا كنت مثلكم . أرمي الاوراق في حوض المرحاض ، وأمسح حذائي ببطانية الفراش واعشق خادمات الغرف وأغالط في الحسابات واشتم صاحب الفندق .. فاياكم وهذا عندي .

اوقف السيد مارسيو سيارته وراء سيارة نلسون وفي صالون

الاستقبال خاطب باتيستا :

ـ اراهن على ان نلسون ما يزال نائما . هذا الوغد الكسول .

ـ وانا لا اراهنك فقد عاد الى الفندق متأخرا .

ـ طيش . تلك هي علة المندوبين .

ـ علة الجميع يا مارسيو . المتجول رجل متى خرج من بيته اعتبره مفقودا .

ـ حسنا ، سأدخل الى الغرفة ٢٧ .

نظر اليه باتيستا وعيناه تلمعان بخبث :

ـ مارسيو .. اي محظوظ انت !.. انها ..

ـ بلا ثرثرة يا باتيستا .

قفز السلم درجتين درجتين . وقرع باب الغرفة . كان غير مقفل فدفعه ودخل ووقف جامدا .

امام مرآة التواليت تسرح شعرها الذهبي وما تزال بثياب النوم الحريرية الانيقة ، نهضت خفيفة للقائه :

ـ مارسيو . مارسيو ..

فارعة العود شامخة الجسد مكتنزة الجسم ناهدة وشعرها الذهبي خصل تناثرت فوق كتفيها وصدرها ، وعيناها الزرقاوان صافيتان بمثل بريق الزمرد فتحت له ذراعيها . وتوسلت اليه عيناها وشفتاها :

ـ مارسيو .

اندفع اليها هاتفا وكأن المفاجأة تعقد لسانه او تخنق صوته :

ـ سانتينيا . كم من السنين مرت ؟ فما الذي جاء بك الآن ؟

ـ جئت لاراهم ..

ود لو قالت شيئا آخر وهي تهمس، بين ذراعيه وقبلاتها تنهال على وجهه:

ـ كم تغيرت يا مارسيو .. يا حبيبي !!

ـ وأنت ـ صدرها مضغوط على صدره ـ ظللت جميلة فاتنة .

ـ بل كبرت في السن ..

ـ وصرت اكثر سحرا .

ـ هكذا كنت دائما تقول لي وانت تكذب علي وأصدقك .

ووشوشته كلماتها بسحر ونغم هامس :

ـ وجئت لاراك . ـ وكأنها تبكي ـ لم اعد اطيق البعاد . اني حاربت السنين والعمر . وما غبت انت عن بالي .

ابتعدت عنه ، وما تزال يداها بين يديه . وعيناه تتفحصان وجهها وتسبحان في جماله . وبدت عيناها محاطتين بتجاعيد خفيفة كالظل وما عدا ذلك ، صبا خالد . وجال في ذهنه :

« وما تزال تتقن التمثيل . وصبية كما لو منذ عشر سنين . وربما زادتها التجارب جاذبا وانصقلت كأنثى لكثرة ما تداولتها ايدي الرجال » .

شدته من يده :

ـ اجلس قبالتي لاراك جيدا .

وجلست في مكانها امام المرآة وأمسكت بالمشط تداعبه . تحرك شعرها وتسبله وترفعه وقد وضعت ساقا فوق ساق وانزاح من حولهما الحرير ، ونهب مارسيو ما استطاع من نهديها ، المكشوف نصفهما وساقيها اللدنتين المبرومتين واستقرت نظراته فوق ركبتيها وفخذيها . اشتهاها اللحظة بكل مسام بدنه .

وتناولت جوربها الشفاف ولبسته وهي تمر براحتيها فوق نعومته وقد لف ساقيها . فكأنها تقوم بهذا لتغريه . وضبطته يغرق النظرات في مفاتنها فابتسمت بحياء وهي تعاتبه باغراء :

ـ مارسيو . ما هذا ؟؟! الحياء ينال مني .

قام وطوقها بذراعيه وقبل شفتيها . وهي تتأبى وتعاتبه :

ـ ما كان يجب ان يبدر منك هذا .

وهتف بقلب محروق بالرغبة :

ـ سانتينيا .. لماذا عدت ؟

ـ سأقول لك . سأقول لك .

★ ★ ★

انتشر الخبر ، وتلقفه نلسون الذي خرج منذ قليل من غرفته فقال لبعض زملائه وهو يرفع ذراعيه منكرا مستكثرا :

ـ يا للحظ الاعمى . هذا الوغد محظوظ يا ناس !..

ـ يا لها من امرأة . فمن تكون ؟

ـ اسمها سانتينيا . وسجلت اسمها في الفندق حسب الهوية . سلستينا أمورين داسيلفا .

ـ أتكون زوجته التي هجرها ؟

ـ أمجنون انت ؟ امرأة كهذه لا يطلقها عاقل وان ركبت في رأسه ٧ قرون .

ـ اذن من تكون ؟

ـ لا ادري . واقول لك لقيتها البارحة في قاعة الطعام فاكتفيت بالشراب . من يأكل طعاما وهذا الاغراء على مقربة منه ؟!

ـ وانا كنت اتخيلها معي وانا اضاجع احدى المومسات الشقراوات أمس . وقد اخترتها شقراء على شرفها .

وكأنهم كانوا بانتظار مارسيو ليقول لهم شيئا . لكنه نزل السلم وخرج ولم يحيهم او يبال بهم . وظهر انطونيو دي سوزا فتحلقوا حوله :

ـ سوزا . لعلك تعرف فأنت مندوب قديم في عبر البحار .

صاح بهم متأففا :

ـ ما هذا ؟ ماذا تريدون ؟

ـ نسألك عن امرأة ...

قاطعهم :

ـ كل امرأة هي بغي مقنعة بالفضيلة . والفضيلة دائما هي ستار العهر .

ـ وهل نسألك عن قديسة ؟ انما عن بغي نريد ان نعرف . فقل لنا من تكون تلك في الغرفة ٢٧ التي خرج من عندها مارسيو بينتو .

ـ مومس . مومس . واحدة من اللواتي يركبن القرون لجماعة برادات عبر البحار عندما يبتعدون عن بيوتهم .

ـ انت احمق . صه .. ها هي .

مرت بهم فحيتهم وهي على مظهر من الكبرياء الى جمال خارق . ولاحقوها بنظراتهم وهي تنزل درجات السلم بأناقة وكياسة وتجلس الى جانب مارسيو بسيارته .

عند الغداء . كان الجواب المبين على تساؤلهم . فقد ضمت المائدة ماركوس وزوجته وسوزا وماورو ونلسون. وجرى الحديث عن المرأة الغريبة فقال ماركوس :

ـ انها سانتينيا . زوجة مارسيو التي هجرها منذ عشر سنين .

وقال نلسون :

ـ وما اراه الا راجعا اليها .

ـ حسنا يصنع .

القول للسيدة البدينة السمراء . تطلع الجميع صوبها ولم يشذ ماركوس عن المجموع :

ـ وانها غنية جدا . تملك محلا كبيرا للازياء في كوباكابانا في ريو دي جانيرو . اتت تتفقد اولادها ولتصلح الامور مع زوجها مارسيو . وقد أخبرتني بهذا .

تدخل سوزا :

ـ النساء يتصارحن ويتبادلن الآراء عندما يكون الامر ، حيال الرجل لانهن من طينة واحدة .

ـ ماذا تقصد بقولك هذا يا انطونيو دي سوزا ؟

ـ مهلا يا ماركوس . اقصد انهن يتفقن على الرجال وعلى أزواجهن . لا تشذ بينهن عن القاعدة واحدة .

ضحكوا ومعهم ماركوس . وابتسمت جوزينا . ولو علمت برأي سوزا مؤخرا في الزوجات ما ابتسمت . فهذا المندوب المتجول صار الى مثل ذوي العاهات ليس جبارا معقدا وحسب ، بل فريسة الظن والشك والخشية . يتألم وحده وسرا ويبيت لياليه مسهدا وقد انطوى على نفسه وعزف عن مشاركة زملائه مباذلهم . وباتت آراؤه في المرأة تأكيدا على « غدرها وخيانتها المتأصلين في نفسها » .

★ ★ ★

هجر بيته . زوجه واولاده . يجب ان يصنع شيئا . وبعد ان بردت دماؤه الفائرة صار يخاف من هذا العمل . واتخذ من الفندق مسكنا دائما. يعيش في حالة من القهر .

.. « ومع من خانتني تلك الساقطة » !!

الحب . الحب هو المسؤول . لو لم يكن الحب الذي يكنه لها لما تألم هكذا . صحيح هو كأي من المندوبين الجوالين ، يغرق في الجنس خارج بيته . فالاسفار تطول والبعد يمتد ، والضجر يقتله وتصير المرأة كالخمرة .. للتسلية .

الاسفار . تلك هي .. وعندما يصل الى بلدة صغيرة معتمة ، ويأوي الى فراشه باكرا في پنسيون صغير ، يحس بانه سيموت من الضجر . وتطرق باب غرفته الباردة المظلمة صاحبة البنسيون او سمراء من خادماتها فيمارس معها الحب ثم يقذف بها الى الخارج قرفا متقززا .

« انها المدنية .. تلك الاعمال تعودها الناس وصارت كتناول كأس من الجعة .. حتى ليحدث الادمان » .

الى ان كان يوم .. وعرف الحقيقة ..

(المرأة ايضا تضجر وتمل الحياة ، منفردة وهي بين اولادها تعنى بهم وتحل مشاكلهم . وتجول في حجرات بيتها الواسع .. بين أرائكها وستائر نوافذها وسجادات ارضه ولوحات تزين جدرانه . كل هذا من رفاهية

العيش وحلو الحياة .. الا الرجل غائب . وتشتاق لرائحة الرجل .

يزهقها الانفراد .. يحطمها البعد . تمل الوحدة وبرودة الفراش . وتضعف امام رغباتها . فتفتح بابها خلسة ، ليتسلل اليها رجل ، ليس بشيء أحسن من زوجها . الا انه حاضر والزوج غائب .. فليعبر في حياتها وليدخل مخدعها المقدس . ولينصرف منه بعدئذ تاركا اياها فريسة التقزز والقرف).

« العاهرة اختارت بواب العمارة . الزانية بنت حواء الغادرة . والتي كان اول نسلها الملوث . اثنان ، قتل احدهما الاخر وراح يطوف في الارض ، ليعود فيتزوج شقيقاته ، ويملأ الارض بعدئذ رجسا وعهرا » .

(وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ وليس في الارض رجل ليدخل علينا كعادة كل الارض . هلمي نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه . فنحيي من ابينا نسلا . فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع ابيها) .

ـ التوراة ـ سفر التكوين . اصحاح ١٩ ـ ٣٣/٣١ صفحة ٢١ .

(وحدث في الغد ان البكر قالت للصغيرة ، اني قد اضطجعت البارحة مع ابي . نسقيه خمرا الليلة ايضا فادخلي اضطجعي معه ، فنحيي من ابينا نسلا . فسقتا اباهما خمرا في تلك الليلة ايضا . وقامت الصغيرة واضطجعت معه . ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها) .

ـ التوراة ـ تكوين ـ اصحاح ١٩ ـ ٣٥/٣٤ صفحة ٢١ .

بمثل هذه الافكار ، تدفعها الى سطح الوعي كؤوس لعبت بنهاه ، نهض انطونيو دي سوزا عن مائدة الغداء في فندق المسافرين ، وغادر زملاءه بلا وداع واستقل سيارته ومضى في الطريق الاتحادي الى عمله .

بدأ بجنون السرعة ، سفرة جديدة تضاف الى سفراته وتحقق بعدئذ ـ ربما ـ رقما قياسيا في قسم البيع . لكنه لم يكن يهتم بهذا .. سيان . الامور ... سيان كيفما أتت . ليس ثمة اليوم ما يفقده .

★ ★ ★

لم يمر انتصار « برادات عبر البحار » في صراعها مع الدولة بلا تعليقات ومناقشات في مكاتبها والفندق والبارات حيث اجتمع اثنان او

أكثر من موظفيها او مندوبيها ، ولم يستطع مجيء سانتينيا من تخفيف انشغالهم بالامر ، وحتى نلسون الذي يشغله حبه الاخير لجانديرا أيما انشغال مرجئا مغادرته باريتوس يوما بعد يوم ، شارك بحماس في النقاش .

وماركوس كبير المفتشين الرجل الذي اسماه مارسيو يوما « الحديدة المحماة بين المطرقة والسندان » ، بين « عبر البحار » وزبائنها . وبين « عبر البحار » ومندوبيها . ضربة من المطرقة التي هي قوانين « التروست » . وضربة من السندان الذي هو الزبائن والمندوبون . ويوفق بين الجميع .

يقول الآن متناسيا مشاكله الزوجية في حجرة الفندق حيث زوجته الريفية متفرغة لكتب تطالعها :

ـ مهما يكن من أمر فان اللوح الاسود سيحمل ارقاما ضخاما ، فارتفاع الاسعار رفع الارقام بشكل آلي ، مقدار ١٢٪ زائد نسبة الضرائب ايضا . ثم يضاف الى هذا السبب عامل افتقار الاسواق لمنتوجات « عبر البحار » التي ستحقق مبيعات خيالية .

ـ لكن هذا الغلاء قد يحدث انخفاضا في الاستهلاك . ومن ثم ينعكس على ارقام اللوح الاسود .

ـ بالطبع يحدث في البدء جمود . ولكن بما ان البرازيل بلاد متزايدة السكان بصورة ملحوظة ـ انها اليوم تجاوزت المئة مليون نفس ـ فان هذه الزيادة ضمان اكيد لاستهلاك متزايد يوميا . أقول يوميا .

وقال نلسون :

ـ ونحن دورنا ان نرغب الناس ببضاعتنا ، نقانق ولحوم باردة جاهزة وصابون اوريكا وكاشاسا « سيتيو ڤاليو » (ماركة خمرة) . نقوم بالدعاية ونملأ المخازن بتشكيلات من هذه السلع ، فيعتاد عليها الناس وكأننا نفرضها عليهم . ونغري تاجر الجملة بأن يشتري ونفتح له الاعتمادات المحدودة وقت الاستحقاق فيقوم بنشاط كبير لبيعها والحصول على اثمانها كي يستطيع دفع قيمها في مواعيدها والا تعرض لسلطة حظر الشحن ولدائرة البروتستو .

وافقوا جميعا على كلام نلسون والذي اضاف :

ـ ويكون تاجر الجملة موظفا بلا راتب اذن في خدمة برادات عبر البحار

أي جوادا يشد عربة الصناعة ..

ثمة اعتراض صدر من ماركوس :

ـ ومن يدفع الغرامة ؟

سأل مارسيو :

ـ اية غرامة يا ماركوس ؟

ـ غرامة كل هذا الصراع ؟ انه المستهلك فهو في النهاية الذي يعاني من الغلاء . وهو الشهيد الدائم .

والتفت مارسيو الى نلسون وسأله :

ـ متى تسافر ؟ أما زلت طامعا باسمك في رأس اللوح الاسود ؟

ـ وماذا يجدي هذا ، وانتم لم تشحنوا الطلبات لهذا الشهر ؟!

ـ الشحن مرتبط بالدفع .

ـ وهذا شر الامور . وفي منطقتي لن تكون سيولة لدى الناس ما لم يصرف موسم الحبوب . بنك البرازيل قدم قروضا كبيرة لتجار الحبوب وبخاصة الارز ، فخزنوها ليرتفع سعرها .. وقد بدأ يرتفع بصورة جنونية وقريبا يطرحونها في الاسواق . وبالطبع يدفع المستهلك غرامة عن طمع التاجر بالربح الاعلى .

ـ والى ان تحل الازمة تماما ، ماذا نصنع ايها السيد المدير العام ؟

ـ لا ادري . « دبروا حالكم » .. « دبروا حالكم » .. واصبروا .

★ ★ ★

انتقال السيدة سيليستينا أمورين داسيلفا الى منزل زوجها السابق السيد مارسيو بينتو ، بكامل حقائبها ، كان مفاجأة للخادم العجوز التي تشرف على البيت والاولاد منذ ان غادرته الزوجة « المطلقة » . وشعرت بغيرة منها كأنها ستنازعها على ادارة البيت . وعندما عاد مارسيو الى منزله في اول يوم من عودتها ، وكان ذلك مساء ..

استقبلته بذراعين ليس اعرض منهما الا ابتسامتها العذبة ، وبقبلة خاطفة كأنها عروس فرحة في أوائل ايام العسل . وانتقلت حرارة لقائها اليه

فزادت من شوقه اليها ، وازدادت هي جاذبا . وتذكر .. يوم ان ..

(.. أقسمت له انها بريئة فلم يصدقها وقذف في وجهها بكلمات قاسية تضمنت الفراق ، فبكت لبراءتها وفظاظته ومضت .

ـ ان الحب يصفح يا مارسيو .

قالت هذا عندما التقيا في فندق المسافرين . وكان هذا كل ما أشارت به الى الماضي .

أجابها متصنعا العتاب واللوم ونفض عنه المسؤولية :

ـ اجل يا سانتينيا . وكنا محبين هائمين الواحد بالآخر) .

انتهى الماضي كأنه لم يكن .

عاد الاولاد من مدرستهم فشاهدوا في البيت امرأة جميلة وغريبة . فقال لهم ابوهم :

ـ امكم .. هيا .. قبلوها .

وكان هذا فاتحة ايام جديدة في سفر المستقبل . لم تقل له كم ستبقى او ماذا تريد ان يكون ؟ ولم يسألها عن شيء ، واعدت الخادم العجوز غرفة لها ، وكأنها تعد سريرا لخليلة معلمها او على الاقل لنزيلة في فندق . او هكذا حسب مارسيو بأنها تفكر . فاستنكر فظاظتها وود ان يصيح في وجهها .. « انها سيدة البيت وستنام في غرفة الزوجين المشتركة » .

لكنه خاف ردة الفعل عند مهجورته الحسناء وترك الامور تجري كما تشاء لها اقدارها . ونام الاولاد . وأوت العجوز الى غرفتها الخارجية ، وبقي الاثنان في قاعة الجلوس ، بأريكتين متقابلتين ، هي بكامل زينتها وبحشمة الزائرة الغريبة وبجاذب الحسناء المثيرة ، وهو قبالتها كمضيف مهذب ، يخفي ما في نفسه من ضجيج الرغبة وببلاهة من لا يدرك ابعاد ما يجري .

ـ اولادي استغربوني .

ـ سيتعودون عليك ولقد مرت سنوات طويلة . هم اولادك ولك كما هم لي .

ـ لكنني صرت كغريبة عنهم .

أسبلت جفونها بنعاس واستراح قوسا حاجبيها باغراء ورفعت عينيها الزرقاوين الصافيتين اليه فألهبت دماءه ، ووجدته ، ما يزال وسيما قويا، كما في ايام الشباب . تريده في هذه اللحظة كما كانت تريده في لياليها البعيدة والرجال كثر بين يديها . ولكم تتوق لان يؤكد لها حبه الآن او شعوره بها . سألته بانكسار وغنج :

ـ وعنك يا عزيزي .. ألست غريبة ؟

ـ سانتينيا . عزيزتي . ما هذا القول ؟!

ـ يسعدني ألا تحقد علي حتى الآن .

ـ ألم تقولي ان الحب يصفح يا عزيزتي ؟

يخشى ان تتذكر قساوته . وبالطبع فانها لا تنساها ، وتجعلها الان تخاف ثورته كمثل ما حدث في الماضي . وتخشى ان يكون كل هذا حلما لا يلبث ان يتبدد . تريد دليلا حسيا واقعيا يؤكد لها انها ليست في حلم ، وانه بقربها يريدها وسينطلق معها شوطا وأكثر فتستعيد به سعادتها وحياتهما المشتركة . وتعود الى البيت بعد أن أتعبتها الاسفار في عالم المرأة المستوحدة المشردة بين العواطف والاهواء والمصالح الصريحة والامزجة المتقلبة .

ـ مات والدي بعد وصولي الى الريو بقليل تاركا لي كل ثروته . فافتتحت « بوتيك دي مودس » (محل ازياء) في كوباكابانا ، واحسنت استثمار ما ترك فجنيت ارباحا . ووفقت بمصمم أزياء بارع هو « مارينيو باستوس » .

تنبه عند ذكرها للمصمم واخفى اهتمامه قائلا :

ـ انه معروف . وهو نجم الازياء على مستوى عالمي .

وقفت . فارعة العود وقدها رهيف بأعضائه المتناسقة حتى التكامل. وخيل اليه انها عارضة ازياء للسيدات الجميلات بعد الثلاثين ، وودعته :

ـ الى غد يا مارسيو .

نهض قبالتها فأعطته يدها فقبلها ، ولم يتركها فسارت الى غرفتها وصحبها الى الباب فدخلت ودخل :

ـ اراك أخطأت غرفتك .

طوق خصرها فلم تمانع . لامس براحتيه كتفيها وظهرها . قبلها في جيدها وفي الخط الخطر بين نهديها ، فمانعت ثم تجاوبت والتصقت به ثم مانعت فانفصلت ..

ـ لا يا مارسيو .. لا .. آه . لا . اوه . لا .. ماريو .. لا . آه ..

لم يجب . لم يسمع . لم يبال . الغرفة غير مضاءة . مضى الى الباب فأغلقه .. أضاء النور ورجع اليها . ما تزال واقفة بحياء ورغبة . لامس بدنها يمسح بأنامله وراحتيه شتى تقاطيعه البارزة ، كانت طوعه ، فشدها اليه .. وتحررت من ثيابها وما كانت الآن زوجته التي يعرفها . عارية كأن الغربة أنضجتها وكونتها امرأة بتقاطيع جديدة .. كل منها ممتلىء شهي .

في صباح اليوم التالي استيقظ مع اول اشعة الشمس تترامى من خلال أسترة النافذة الشفافة فتضيء الغرفة بنور دافىء . وسانتينيا الى جانبه راقدة بهناء واطمئنان .

« امرأة غريبة . وجهها . عيناها . شفتاها . شعرها . كل هذا غريب وجديد . وله نكهة المرأة الغريبة والجديدة » .

لم تفته غضون خفيفة مرتسمة حول مقلتيها . وجفاف طفيف بشفتيها الكانزتين . وقفزت پالميرا امام عينيه . فحاول عقد مقارنة بين المرأتين فالتبس عليه الامر .

وما شعر الا وهو ينساق الى هذه المعادلة الاقرب الى الامر الواقع :

.. « انها تملك بوتيك أزياء في كوباكابانا أرقى ضاحية في ريو دي جانيرو وأجملها ورثت عن ابيها ثروة كبيرة ، استثمرتها وأنمتها بنجاح .. وهي اليوم في بيتي » .

★ ★ ★

خاطب اوليڤيرا ابنته پالميرا بقوله :

ـ عادت زوجة مارسيو اليه منذ يومين .

انتفضت من المفاجأة :

ـ لم يقل لي شيئا عن هذا ولم يخبرني .. كيف ذلك ؟

ـ ولماذا عليه ان يخبرك ؟ انها من اموره الخاصة .

ـ صحيح . ولكنني سكرتيرته واعتاد ان يطلعني على امور اقل اهمية وأشد خصوصية .

« الغيرة أم الحيرة أم الحب ؟ لتختر پالميرا من بينها حالة واحدة . المرأة عادت الى زوجها ... الى عشيق پالميرا . وبالميرا التقت حتى الآن ثلاث مرات مع المستر ذي الرداء الابيض . انتهت الاخيرة بهما الى خلوة عارمة . هل تحب ؟ هل تغار ؟ انها في حيرة . هذا هو الواقع » .

أما اوليڤيرا فهو ايضا في حيرة . منشغل بساعاته الاضافية يتساءل :

« ماذا طرأ علينا جميعا وكأن ثمة تأريخا فاصلا بين زمنين : قبل توقيف الانتاج . وبعد عودة الانتاج . تغير الجميع . حتى في زعامة اللوح الاسود . انطونيو دي سوزا يتكاسل ويهمل عمله . امرأة مارسيو ترجع اليه . مستر اندرسون يبتسم . نلسون يطيل بقاءه في باريتوس . ماركوس يتزوج فجأة . پالميرا غامضة . وأنا الشيخ الفاني المريض ازداد خوفا من المفاجآت ، وأناشدهم مأذونيتي على غير عادتي . يا الهي أكاد أفقد صوابي» .

حسب كل شيء بالارقام . وضبطه ماركوس مكبا على صفحة مليئة « بالخرابيش » :

ـ انها ارقام متباينة يا عزيزي ماركوس . منها ما هي سنوات عمري . ومنها ما هي سنوات عملي في « عبر البحار » . ومنها ما هي ساعاتي الاضافية طوال شهر فعام ومنها أرقام رواتبي واكرامياتي وفي الغد تقاعدي على صندوق الدولة . الارقام يا عزيزي ، آلة عملية سحرية سبقت العقل الالكتروني (كومبوتادور) . لولاها ما كان شيء . لا تخطىء وهي العلم الوحيد الخالي من العيوب والالتباس .

ـ اظنك تنهك نفسك بهذه الارقام وحساباتها .

ـ الارقام هي كل شيء في حياة الانسان .. السنة ناطقة وعيون مبصرة . لو عمل الانسان أموره وفق الارقام لما أخطأ ولما خفي عليه أمر .

ـ برأيي كان جن .

ـ محتمل . محتمل . وربما . اعرني انتباهك . يا عزيزي .. فأريك

هذه المعادلة الطريفة التي روحها الارقام .

ـ لا . لا . بل دع هذه الى مناسبة اخرى . ارجوك .

مر بهما ذو رداء ابيض . وجهه تمثال جامد . لا تعبير في قسماته . الا ان عينيه تتحركان . وخرج ماركوس ، تاركا العجوز في حساباته ، واتى نلسون :

ـ ايها السيد اوليڤيرا . انا مسافر مع فجر غد هل ثمة من خدمة اسديها لك في غواياز ؟

ـ اشكرك يا عزيزي . لا شيء .

تناول حقيبته وفيها الوثائق والمستندات ودفاتر الايصالات والطلبات وسائر الجداول وما يلزم عمله . وفي قسم المبيعات ، توقف وتنظر اللوح الاسود . في اعلاه : نلسون بدر عبود . شاعت الغبطة في صدره :

.. « وهذا اشارة الى ضخامة عمولتي في آخر الشهر » .

ذابت شموع « مونتي ڤردي » كالبخار .

عند بوابة الخروج استوقفه الحارس المكلف بتفتيش حقائب الخارجين فتفحص داخل حقيبته بنظرة مدققة ونلسون يتمتم بحنق مكظوم على مسمع من الحارس :

ـ اولاد العاهرة . اولاد العاهرة .

★ ★ ★

من المؤكد لدى الجميع ان « برادات عبر البحار » نالت مع مطالبها الظاهرة التي هي رفع الاسعار ، بعض منجزات خطيرة وخفية . الحكومة منحتها نسبة مئوية اضافية لتصدير ارباحها الى بلادها في آخر العام .

ظلت هذه ضمن الاشاعات . واذا صح ذلك ، تكون الشركة الاجنبية قد حققت لنفسها نصرا لا يضاهى . لكن هذا لا يشغل المندوبين المنشغلين بمشاكلهم حتى نخاع العظم . وهمهم ان يسقط الحظر بكامله . وفي آخر الشهر تنتعش آمالهم ويطمعون بعمولات مرتفعة .

ثالتر ما يزال معجلا بالذهاب . سأله ماركوس :

ـ لم اعد اراك . فانك ما تكاد تصل حتى تبارح ؟!

ـ لا تزال الضائقة المالية آخذة بخناقي وعلي ان ارجع الى عملي بغير اضاعة وقت حتى أجتاز هذه المرحلة العصيبة .

التقى به نلسون في الفندق . فدعاه الى سهرة في « كاجو أميغوس » ولن يدعه يفلت منه هذه المرة . فسيشربان « كايپيرا » (خمرة ممزوجة بعصير الفواكه مع السكر والثلج) .

واعترف ثالتر لصديقه بأنه يهرب من جانديرا . انتفض نلسون . فبعد ان صار صاحب الحفلة ورب العيد ، لا يريد منافسا :

ـ وما شأن جانديرا ؟

ـ لا تتجاهل يا نلسون . لي بها علاقة اخاف ان تتكرر فتنجم عنها عندئذ مضاعفات فانها تحت السن القانونية .

ـ انك لعلى حق . مثل هذه الامور لا تخلو من أخطار جسيمة .

« نلسن غير غريب عن اللعبة وأظنه في داخلها » .

في كاجو اميغوس . انتظروه ، ماركوس . نلسون . ماورو . وأمامهم كؤوس كايبيرا بعصير الليمون وكان ما يزال في دوامة ، يتربص على مقربة من منزل جانديرا .. ثم دنا من باب الحديقة الحديدي وهم بقرع الجرس، وأمسك . وانتابه خوف مفاجىء أطار من رأسه آثار نصف زجاجة « مارتيني ساك » ، شربه ليبث في قلبه الجرأة .

تراجع وتعثر وكاد يسقط، ويدان اسندتاه. وبدا ان المستر اندرسون لم يعرفه ، فتركه وتابع سيره واختفى العملاق في ظلال اشجار الرصيف المضاء . وما لبثت أن خرجت پالميرا ووراءها جانديرا تحادثها بشيء لم يصل اليه واضحا . ثم توارت وراء البريطاني بين الظلال .

« أهي محض مصادفة ؟ ـ هز بكتفيه ـ وما شأني ان نبتت لمارسيو فرون ؟ فهو متعود منذ كان متزوجا » .

عاد بنظراته الى باب الحديقة ليفاجأ بجانديرا تتجه صوبه :

ـ واخيرا ظهر من كان غائبا . حقا ان الجبال هي التي لا تلتقي .

ـ جاندیرا . عزیزتي .

تناول یدها ملاطفا وكان ذلك كل ما استطاع أن یقوله وهي تنظر الیه مبتسمة هادئة غیر مفاجأة ولا متأثرة . لا لوم . لا عتاب . فكأنها على موعد محقق .

ـ اية سعادة یحملها الي حضورك یا ڤالتر ؟! یسعدني ان نلسون بلغك رغبتي بلقائك .

ـ جاندیرا .. انا في حیرة .. جاندیرا عزیزتي . لماذا نلسون ؟

ـ ماذا یا ڤالتر ؟ وصلت متأخرا ..

الصوت عذب . كملامحها . دافیء كعینیها . لم یجد ما یقوله فصمت وران فوقهما سكون عمیق . ثم غادرته بلا وداع .

★ ★ ★

وصل الى « كاجو امیغوس » في التاسعة ، فاستقبلوه بحفاوة وهو یعتذر عن تأخره :

ـ أخرتكم عن متعة الشراب . الیس كذلك ؟

ـ بعض الوقت وكنا « نلحوس » الكؤوس ریثما تحضر .

اتخذ مكانه الى جانب نلسون وهمس في اذنه :

ـ لماذا لم تنقل الي رغبة جاندیرا بمشاهدتي الیوم ؟

ـ من قال انها أرادت لقاءك ؟

ـ هي . ومنذ قلیل .

انتفض نلسون وأراح كأسه فوق المنضدة :

ـ آه . كان ذلك لشهرین مضیا او ثلاثة وحدثتك عنها یومئذ .

ـ اذن فانها تهزأ بي ؟!

عمل في وعیه أول كؤوس ـ كایبیرا ـ ودارت رأسه :

« هذا اللقاء .. التافه .. وجاندیرا ازدادت انوثة وجاذبا . انهـا

تبدو .. هربت ؟ او انا هربت منها ؟ أم هي التي غادرتني ؟ »

ـ نلسون . أجبني بلا مواربة ..

ـ قل .. ماذا تريد ؟

ـ لا تحتد . ولا تأخذنك رعونة .. هل لحظت تغيرا ما طرأ عليها ؟ مثل امتلاء في .. ووجهها يكتسي بسمات خاصة بالانثى التي .

ـ انت تهذي وما شربت الا قليلا .

ـ صحيح . اني أهذي . بل انا أحمق .. لم ألحظ شيئا ..

« السابعة كاذبة فليشرب ثامنة الكؤوس » .

دار رأسه بلا توقف وظل متماسكا .

ـ من منا الاب ؟

تجاهل نلسون . هزه ڤالتر :

ـ ماذا تكون جانديرا بالنسبة اليك ؟

من كأسه الرابعة عشرة ، رد نلسون :

ـ اسمع يا ڤالتر . نحن اصدقاء . وزملاء في الجرب هذا . اخوان في السلاح المنهزم امام « عبر البحار » . انت تركتها شجرة اعطتك بعض ثمارها . ربما اعطت غيرك . قبلك او بعدك . لا ادري ! ربما اعطتني ايضا ! ما العجب في ذلك ؟ وهل أشبع جوابي فضولك ؟ أم نتشاجر ونحن اصدقاء وهي فقط امرأة ستنسانا وننساها في مراحل قادمة قريبة ؟!

ـ نلسون .. قلت حقا .. ولم تقل .. بو..ضو..ح .

ـ لا بأس . انا رقم واحد . رقم واحد فقط في حياتها كما في حياة أخريات . وانت رقم آخر في حياتها .. من سيكون بعدنا ؟ لا نعرف .

ـ الآن .. اشبعـ..ت .. فـ. فضولي . افهم انك .. عا .. شرتها .

ـ عندما هربت انت منها وصارت بلا فارسها .. والآن .. انا وهي متحابان . فماذا تريد ؟

ـ لا .. شيء البتة .

ـ لم تعد خائفا ؟ نفضت المسؤولية ؟!

ـ لا . تكن .. غبيا يا .. يا .. نلسون . انا .. رقم .. فقط .. هناك . آخرون .

غمغم نلسون في سريرته :

« وغد . جبان . أود لو أصفعه .. يذكرني بأوليمپيو .. حتى لاتساءل من منا أوليمپيو ؟ »

★ ★ ★

بعد الحوار الثنائي المنعزل ، عاد الجو الى سابق مرحه ، والجميع في نشوة . وانتقلوا الى شرب البيرة ، فطلبوا زجاجات من نوع «أورو برنكو» الخفيفة اللذيذة . وتبادلوا بعض النكات . وخاطب ماركوس نلسون :

ـ اليك هذه الحادثة أيها التوركو نلسون بدر عبود : سوريان لبنانيان دخلا بارا وشربا وأكلا . وعندما انتهيا وحان الانصراف ، وضع كل منهما يده في جيبه ، مقسما انه سيدفع الحساب ولن يسمح للآخر بأن يدفع . وتماسكا بالايدي على أبواب الجيوب . ولم يترك الواحد الآخر يخرج يده ليدفع . فنفد صبر البرتغالي صاحب البار وصاح :

ـ عندي فكرة ايها الفارسان الشهمان السوريان اللبنانيان . سأغمس رأسيكما في طشت من الماء ، والذي يسبق الآخر برفع رأسه يدفع الحساب.

توقف ماركوس عن روايته قليلا وقال :

ـ حسنا .. فهمتم النكتة .

ضحكوا . وقال نلسون :

ـ عدا عن انها لا تنطبق على واقع السوريين اللبنانيين المعروفين بأريحيتهم وكرمهم ، فانها « بائخة » .

وهنا تحداه ڤالتر :

وبما انهما ماتا غرقا ولم يرفع أحدهما رأسه فهات ردا عليها ..

قال كلامه هذا ، متعتعا مفأفئا مربوط اللسان متعثرا . ونلسون أخذته الحمية لقومه . ووافته نكتة لا يدري متى سمعها ولا أين . فالنكتة

تجري في الناس كالوباء بأجنحة وأقدام وتذاع وتشيع ولا يدري احد من هو مؤلفها ولا من أين خرجت ، وتظهر بوقت واحد في مدن مختلفة وبلاد متباعدة وأماكن متعددة . انها بلا حقوق تأليفية .

روى نلسون :

ـ مات اثنان . توركو (سوري لبناني) ، وبرازيلي . انتبهوا جيدا، فصعدا الى السماء وقرعا باب الجنة فرد عليهما القديس بطرس حارس النعيم : ـ من الطارق ؟ أجابا : ـ صالحان ميتان . سألهما : ـ جئتما على الاقدام أم راكبين ؟ أجابا : ـ بل على الاقدام . قال : ارجعا . لا يدخلها الا الراكبون . فكرا . واهتدى السوري اللبناني الى وسيلة ، فقال لاخينا البرازيلي : ـ اسمع أيها البرازيلي الطيب . أركب عليك وندخل معا . فوافق مواطننا الذي امتطاه العربي .

توقف نلسون وعاد يقول :

ـ أرأيتم ؟ حسنا . قرع العربي الباب فسأله « سان بدرو » : ـ راكب أم راجل ؟ ـ بل راكب . وجاءه الصوت الآذن : ـ اترك حمارك خارجا وادخل .

ضحكوا كثيرا ، وعلق ماورو :

ـ صحيح انك توركو لا تتنكر لاصلك .

فرد نلسون :

ـ لي الشرف بأصلي . لكن اؤكد لك ان العرب ليسوا عرقيين . لهذا أنا برازيلي مئة بالمئة مع اعترافي بأن نصف دمي لبناني .

وهنا سأل ماركوس :

ـ سوري أم لبناني ؟

ـ بل لبناني والاثنان من أصل واحد .

ـ لا ـ اعترض ماركوس ـ هناك فارق . يقال ان التوركو انسان مهاجر فقير ، ويصير عربيا اذا تحسنت حالته ، وسوريا اذا اغتنى . وعندما يصبح مليونيرا يصير لبنانيا .

ـ ترهات ـ قال نلسون ـ أكبر الثروات المهجرية يملكها مواطنون من

سوريا . اما اذا انطبق قولك يا ماركوس ، على واقع الحال ، فأنا الآن تحت التوركو بخمس درجات .

أغرقوا في القهقهة . وعلق ماورو :

ـ اذن .. نحن جميعا توركو في هذه الايام بفضل القديسة العجائبية « برادات عبر البحار » .

★ ★ ★

وضع كبير المحاسبين اضبارة الميزان الشهري فوق مكتب المدير العام وقال :

ـ الق نظرة على الوارد ، فالامور لا تسير كما يجب .

ـ أية امور يا اوليڤيرا ؟

ـ الارقام خير من ينبئك بالخبر .

أمعن مارسيو النظر في مجموعات الارقام ، التي تعين الصادر والوارد، فلحظ الاختلال الكبير بين الجانبين ، فقال :

ـ المقبوض ـ الوارد ـ دون المتوقع . وأخشى ان يكون هذا سببا لحدوث اختناق أكبر في التصدير . وبالقياس للانتاج فان المنتوجات المشحونة اقل بكثير من المكدس في المستودعات . وبالمقارنة فان حظر الشحن سيعود الى ما كان عليه ..

ـ وتنتهي ساعاتنا الاضافية .

ـ الى الشيطان بالساعات الاضافية . ما المخرج يا اوليڤيرا ؟

سأل وهو يكبس زر الجرس فتأتي پالميرا :

ـ الرجاء ارسال هذه الاوراق الى الطابعة لسحب العدد اللازم من النسخ .

تناولت الاضبارة وغادرت المكان صامتة لا مبالية كالآلة بلا ما يدل على انها تشعر بالذي يحدث او تتأثر بشيء . وقال اوليڤيرا :

ـ سيحدث الميزان الشهري ضجة في الـ ـ ماتريز ـ بسان باولو .

فالتفاوت بين الانتاج والتصريف كبير . وسيكون الضغط في المستودعات مخيفا . وقد هالني الامر بعد ظهور مجموعات الارقام . كما ثمة كميات كبيرة من المنتوجات في المستودعات ، سريعة العطب ، كالمورتاديلا والجانبون وسائر مواد اللحوم الباردة المصنعة غير المعلبة . وجانب منها من قبل توقيف الانتاج .

ـ مشكلة . لا بد من رفع تقرير عاجل اقترح فيه تيسير الشحن وتخفيف القيود المفروضة للحظر . وايضا ، لا بد من رسالة « سيركولار » توجه الى المندوبين لحثهم على الضغط على الزبائن المتأخرين بالدفع وانذارهم بالوقوع تحت طائلة البروتستو .

أملى النصين على پالميرا : التقرير الى سان باولو . والبلاغ الى المندوبين المتجولين . ودفعهما الى پالميرا ، لطبعهما .

وعندما يتلقى المندوب مثل هذه الرسالة البلاغية المعممة ، يصير بين يديه سلاح يضعه امام أنف الزبون . « انها التعليمات » . ويتحول مندوب « عبر البحار » الى منفذ دائرة اجراء على زبونه ، بعد ان كان ملكا عنده .

استدارت پالميرا لتمضي بنفس الآلية اللامبالية ، فاستوقفها مارسيو متسائلا عما بها ، وكان اوليڤيرا قد خرج . ولما لم ترد . قال لها :

ـ انك سمعت ان سانتينيا قد عادت..

ـ من تكون سانتينيا هذه ؟!

ـ لا تتجاهلي . عادت لترى الاولاد . انها امهم .

ـ وتعيش معك في نعيم الزوجية ..

ـ صحيح .. كبر الاولاد وجعلوا يسألون عن امهم فأتت زائرة لتقيم بعض أيام .

ـ ارجو لكما السعادة .

ـ لا اخفي عليك يا پالميرا . انها كانت زوجتي وكنا نهيم ببعضنا حبا. الحب يصفح ..

تراجعت بمقدار خطوتين وسألته :

ـ هل تريد شيئا آخر ايها السيد المدير ؟

ـ بمستطاعك الخروج .

أغلقت الباب بتؤدة كأية موظفة مواظبة ، وحياها مستر اندرسون هاشا ، وأحست بشعور المرأة المتلبسة بجرم الخيانة ، لماذا تنتابها جميع تلك الهواجس . انها غريبة عن مارسيو بينتو اكثر من زوجة مطلقة . وتذكرت قوله :

« وكنا نهيم ببعضنا حبا ! الحب يصفح !.. حقا ! وانا پالميرا سأظل أتنقل بين الرجال ، من سرير الى سرير .. الى زمن ما . ثم انني بعدئذ سأقف في محط الاحداث لاخاطب نفسي ، بأن الحب يصفح ، واعود اليه . أرفض هذا . أرفض .

أما مارسيو .. فسيمل سانتينيا . ولكنه لن يهجرها هذه المرة . وغد هو . مرتزق من الطراز الاول . أكرهه لا شك » .

مستر اندرسون أمامها يبتسم وهي بدورها تبتسم .. له . لاي كان .. لرجل ما .

★ ★ ★

البريطاني مستر أندرسون . ليس جامدا ولا باردا . يكذب ما يشاع عن قومه . يشعرها بوجوده . يروي لها اشياء طريفة عن بلاده . عن الهند . تميل اليه بحرارة . ربما صارت تحبه . تود ان يدعوها باستمرار الى الخروج معه . يسعدها بمداعباته ولمساته وقبلاته ، يثيرها ويرضيها وينسيها انه واحد من تلك التماثيل الشكوكة المراقبة ، الباحثة عن الاسرار في هذه الامبراطورية الواسعة المسماة ـ برادات عبر البحار ـ . وان ثيابه البيضاء وعينيه « الشرلوكيتين » اللتين تنظران في وقت واحد في الجهات الاربع ، لم تعد تخيفها . فهي تملك هذا العملاق المرعب الذي يمثل في هذه المكاتب السلطة فوق السلطة بلا كلام ولا أوامر . فهو كل شيء . يوحي فيكون .

ماركوس يخاطبها الان . يجاملها بلطفه الزائد . ويمتدح نشاطها ويبدي اعجابه بحيويتها الدالة على صحة جيدة . ويطلب منها اضبارات خاصة بالمندوبين . وترى في اهتمامه بما طلب هو كبير المفتشين انه بدأ ينشط . وها هو آخذ بالنظر الى « فيش » كل مندوب ليرفع تقريره بعدئذ

الى المدير العام ويحوله هذا الى الـ ـ ماتريز ـ في سان باولو .

وخيل اليها انه لم يعد يبالي بها . وهذا يعني انه تخلص من سحرها وجاذب جمالها ، وكثيرا ما أرضى حب الذات فيها ، وغرور الانثى ، بنظراته الخجولة الدافئة التي تذكرها بمراهق حيي .

وان الزائر لهذه المكاتب في صبيحة هذا اليوم ، لا يلاحظ شيئا البتة. ولا يعرف وتيرة النشاط فيها . ولا ما طرأ على « الروتينية » الناشطة من تحرك اضافي . ولا سلوك ذوي الاردية البيضاء .

لكن موظفي الشركة لحظوا تغييرا طرأ . ثمة شيء يجري او سيجري. وثمة احتياطات . وأتى بعض المخبرين فاندسوا في مختلف قطاعات المصنع. وسرت الاشاعة بأن اضرابا يتم تحضيره في سان باولو . لكن اوليڤيرا قال مخاطبا مارسيو :

ـ لم تحدث اضرابات بعد الثورة . فلماذا تحدث الآن ؟

وكان على حق ، فبعد يومين انسحب المخبرون وهدأت تحركات ذوي الاردية البيضاء الاضافية . وهمس اوليڤيرا لمارسيو كأنه يكمل حديثا بدأه الآن :

ـ انهم يخافون من ظلهم فيفتعلون الاحداث .

ـ لماذا يخافون والقانون الى جانبهم مع الدولة ؟!

ـ « تروست » كهذا عقله مثل الدماغ الالكتروني المعبأ جيدا . يخوف السلطة كي تظل على استعداد . ونحن البرازيليين .. شعب يؤخذ بالتهويل حتى لا يعرف الى اين يسير ولا يدرك الحقائق .. وانا شخصيا صرت أشك بوطنيتي . قتلوا في نفوسنا خيلاء المواطن وكبرياءه . ونحن الموظفين هنا صرنا آلة تعمل على آلة . و « برادات عبر البحار » ماذا تريد منا ؟ عملا . عملا . وتفكيرا في نطاق العمل ولا شيء . وبلادنا سائرة الى التصنيع بأرخص أثمان اليد العاملة حتى التقشف وحدود الجوع .

★ ★ ★

قال اوليڤيرا الشيخ لابنتيه پالميرا وجانديرا في باكر نهار الاحد :

ـ اذهبا انتما واتركاني أخلد الى نفسي ، فالراحة هي كل ما انشد .

لم أعد أطيق ذلك الجو الصاخب في حفلات المزارع . وكأني بهم غير آسفين لتخلفي عن الحضور .

ـ لا يحسن بك ان تقول هذا يا أبي ـ أجابته پالميرا ـ فهم جماعة طيبون وقد دعونا . وستحضر مارلي لاخذنا بسيارتها ، وقد اعدت لنا غداء خصيصا لهذه المناسبة . وأنت قد أخلفت وعدك بالحضور أكثر من مرة.

ـ لم أعد أحب مغادرة البيت في أيام العطل والآحاد .

ـ الجو لطيف في مزرعة « زه داموتا » ـ قالت جانديرا ـ يريح أعصابك ، فأنت لا تستطيع البقاء هكذا بين الارقام وساعاتك الاضافية .

ـ ساعاتي الاضافية ؟!

في شبابه كان يكره العمل بله الساعات الاضافية . ويحتقر الجارين وراء العمل الزائد . انه الطمع . ولكن بما ان قدر الانسان هو العمل ، فقد تعوده ومارسه بنشاط .

أما في المزرعة ..

« فيأكلون المانغا والـ ـ أباكاشي ـ والبرتقال والذرا المشوية . ويتناولون غداءهم الدسم مع جرعات كبيرة من الكشاسا (العرق المستخرج من القصب السكري) . ثم ينامون عند القيلولة وينهضون بعدها الى لعب الورق والرقص وركوب الخيل بجلبة مخيفة ، ويرجعون الى بيوتهم مساء وقد ازداد تعبهم وفي الصباح التالي ينهضون وفي عيونهم خيبة امل » .

وعندما أتت الصبية الحسناء مارلي قالت له :

ـ والدي يقول لك انه اعد لك وله « باتيدا » جوز الهند بعرق من مزرعة زه داموتا ، وليس عرق « سيتيو ڤاليو » الرديء الذي تنتجه مصانع عبر البحار .

ـ أوه .. ان اباك ما يزال قويا يا عزيزتي . أما انا فشيخ فان . اقرئيه عني السلام وليشرب نخبي ونخبه كؤوسا هنيئة .

★ ★ ★

في الثانية بعد منتصف الليل . رن جرس الهاتف في مكتب الاستقبال

في فندق المسافرين . وتناهى الى الموظف المناوب ، صوت يطلب السيد ماركوس . وكان هذا قد نام متأخرا بعد ملل عطلة الاحد التي تعزله عن زملائه ، فيروح يدور في حجرته قبالة زوجته ويخرج الى باب الفندق أو يجلس في القاعة يدخن ويشرب . ويمتد الملل به الى عصر النهار فيأخذ جوزينا بسيارته الى نزهة قصيرة ، ويتناول معها طعام العشاء في أحد المطاعم . وقد نام ليلته هذه بعد أرق مضن ، وجوزينا أدارت له ظهرها ناقمة محتجة بصمت عن خلو ليلتها من الحنان والحب .

أتاه صوت مارسيو ، وهو كالمخمور :

ـ ماركوس . آسف لازعاجك . الامر هام . ان حادثا وقع لانطونيو دي سوزا ، أودى بحياته . انتظرك فورا في المكتب .

استيقظت جوزينا وعلى وجهها انطباع من خاب رجاؤه فرأته يرتدي ثيابه على عجل :

ـ ماذا حدث ؟ الى اين في مثل هذه الساعة ؟

ـ استدعوني الى المكاتب . وقع حادث مؤسف لسوزا .

امبراطورية ـ برادات عبر البحار ـ راقدة تحت أستار من السكون وأبخرة الليل التي تشقها اضواء المصابيح البيضاء الناشطة . لا صوت لآلة . لا ضوضاء لمركبة . اجتاز الباب العريض من فتحة فيه واتجه صوب المكاتب فشاهد مستر أندرسون في مكتب المدير العام الذي ابتدره :

ـ انقلبت به سيارته على طريق فرانكا ـ ريبيرون بريتو ، وقد نقلوا جثته الى ريبيرون وعليك ان تصل اليها بسرعة وتتسلم حقيبته وسيصحبك أحد موظفينا .

تدخل مستر اندرسون :

ـ نعم . سنيور ماركوس . ارجو تقرير سريع .. من هناك بالتلفون.

وقال مارسيو :

ـ تلفن الينا ريثما تعد تقريرك الخطي . انطلق فورا . العنوان شارع الميرانتي سالدانيا رقم ٢١٩٥ ريبيرون . دائرة الطب الشرعي . وخذ السيد جوستو ماشادو مساعدا لك . انه سيصل في خلال دقائق .

وعاد مستر اندرسون يقول :

ـ ارجو سرعة . دقة . سنيور ماركوس . اوكي ؟ سنيور سوزا هو جيد . مندوب ممتاز . « ياس » رقم ١٤٧ مندوب له أرقام قياسية . آسف .. لكن الحقيبة . مفهوم ؟ الحقيبة . أوكي ؟

★ ★ ★

في دائرة الطب الشرعي قدم اوراقه الثبوتية والتفويض الخاص :

ـ جئت لارى ماذا حدث وأتسلم الحقيبة .

جرت عملية تسلم الحقيبة ضمن اجراء روتيني صريح ، وبعملية عادية كالتي تجري في شركة برادات عبر البحار ، عندما تسلم بضائعها . وطلب أن يرى الجثة فأحالوه الى موظف أفهمه انه يستطيع ذلك بعد الثامنة صباحا، فالمستودع لا يزال مقفلا .

في هذه المؤسسة برادات لحفظ لحوم البشر . الحضارة لم تهمل .

.. « الحياة معقدة . بل بسيطة التركيب . فقط تخضع لفقرات ما، من قوانين ما . كذلك اعطت الحضارة الصناعية تحديا موقتا .. للفناء ، فحفظت الجثث أوقاتا لا ينال منها الفساد . الجثث أيضا سلع يحرصون على سلامتها . وكان أصحابها في الحياة سلعا أو خيول عربة . وقبل ان توارى ، تمر في سرداب من القوانين والانظمة ، تغادر بعدها عالم هذه الحضارة الرائعة » .

تذكر وهو يسحب نفسا طويلا من سيجارته كلام البريطاني : سنيور سوزا رقم ١٤٧ .

.. « الرقم ١٤٧ . ما كنت أعرف انه في حساب الشركة يحمل رقم ١٤٧ . بل كنت اظن اسمه . انطونيو ماركس دي سوزا » .

في مكاتب الشركة في باريتوس :

تقدم من المدير العام . والى جانبه مستر أندرسون ، وقال ببساطة :

ـ حقيبة الرقم ١٤٧ . تتسلمون التقرير كتابة بعد ساعة .

تمتم البريطاني :

ـ أوه !! « سوري » آسف . « أوكي » .

وقال مارسيو :

ـ مسكين هذا الزميل كان شابا طيبا .

وعلق البريطاني :

ـ مؤسف جدا حادثة ١٤٧ .

سأله ماركوس بازدراء :

ـ اذن كان هذا هو رقمه ؟

وأجاب البريطاني :

ـ رقم طريف . ٣ مرات سبعة . ٧+٧=١٤ قبلها ٧=١٤٧ أوه «سوري» في انكلترا رقم تشاؤم .

قال مارسيو مجاملا :

ـ وانا اشاركك الـ ـ سوري ـ .

فعلق العملاق الابيض الرداء :

ـ كيف يقولون اذن رقم ١٣ هو شؤم ؟!

يفكر ماركوس :

« عندما تصبح الحياة ذاتها حالة واقعية تفرض فهما واقعيا . فالحياة تكون دائما حالة معينة ومحدودة . ويغرق الناس في متاعبهم ومشاغلهم اليومية وتسحقهم الضرورات والاحتياجات . وتتشعب سبل العيش .. وتصير الحياة حالة لا ارادية ، غير ثابتة فتنعكس مؤثراتها على النفس ، وتفقدها عاطفتها وضمير أحاسيسها » .

في عصر النهار لعب كثيرون من موظفي الشركة على الـ ـ بيشو ـ (قمار غير مشروع) . فاختاروا سلسلة ارقام ١٤٧ = ٣×٧=٢١ . ٧×٧=٤٩ . ٧٧٧ . ١٤+٧=٢١ . وذلك تيمنا برقم الفقيد .

أما اوليفيرا العائش بين الارقام والذي تسري في دمائه الارقام ،

فاستهول الحادثة المشؤومة وهز رأسه متأسفا وقال :

ـ مات شاب طيب . رغم آرائه الغريبة وكان ناقما على المرأة . ومنذ بدت نقمته عليها ، بدأت أرقامه تتدنى على اللوح الاسود .

ـ المرأة . شيء عظيم يا أوليفيرا ـ يقول مارسيو ـ ظاهرة مدهشة . رغم انها نصف الموجود فهي واقع طبيعي كأنه كل الموجود . الا انها تكون ظاهرة في بعض مراحل الحالات التي يتقلب فيها الرجل .

هز العجوز برأسه :

ـ والله لست فاهما شيئا مما تقول . وانا منذ زمن لم أعد أحس بوجود المرأة ، لا واقعا ولا ظاهرة .

★ ★ ★

من عرف سوزا جيدا عرف ما تعني المرأة بالنسبة اليه . وقد جهر الشاب بآرائه من تشكك غير متزمت ، ومرارا من ظن كبير . انه لم يكن يرتاب بالمرأة ، كان وحسب يلمح الى ضرورة الارتياب بها .

« بعضهن خلقن والعهر يرعى في دمائهن . بعضهن حملتهن الظروف القاهرة الى المواخير . بعضهن ما زلن في مسوح الفضيلة يستدرئن بالازواج. ليست المرأة أما ولا اختا ولا ابنة . انها قبل هذا كائن مستقل . ليست أيضا زوجة . انها انسانة تعادل الرجل . والمرأة ليست وجودا ثابتا . انها حالات . في بيت الرجل حالة . في السوق حالة . انها تتأثر بانعكاسات . المكان الذي توجد فيه . ولهذا فانها في السوق بالنسبة للرجل ، «حالة ما». وهذه « الحالة ما » هي التي ينشدها الرجل . اما انها حتمية في حياة الرجل فمما لا شك فيه » .

وهنا يلتقي مع مارسيو في نظرته اليها كظاهرة طبيعية لا مناص من التأثر بها . زوجة مارسيو عادت اليه بعد انفتاحها على حياة السوق ، غنية جدا فقبلها في بيته .

ويقال انها أعادت اليه كل ما قبضته من عائدات اتفاق التفريق (الهجر القانوني) لمدة عشر سنين . وانها عرضت عليه الزواج مع الحق بأن يشاركها في ثروتها ومالها ، فتعيش معه ومع أولادهما . سوزا لا يشك بأمومة المرأة الصريحة .

« لا يوجد في قاموس الخلق امان لابن واحد . ثمة آباء متعددون لابن واحد » .

(سانتينيا لم تعترف في يوم بخيانتها لزوجها ولم تتنازل عن براءتها.

أما سوزا ...

شاهد زوجته بأم عينيه مع عشيقها ناطور البناية ، ثم شاهده يهرب نازلا السلالم كفأر مذعور . وتلك العاهرة تداري عريها وقد انقطعت الشهوة فوق قسمات وجهها تاركة تقلصا بشعا وذعرا .

لم يقتلها . وغادر البيت ولم يرجع اليه بعدئذ وكان كل وجوده . وفي اسعادها في ذلك البيت كان مثال الجد حتى احتفظ باسمه في اعلى اللوح الاسود طوال سنين .

أما في ذلك اليوم .. ليلا ..

ضغط على صمام البنزين والسيارة تندفع بجنون على طريقه الى فرانكا وهو في شبه غيبوبة . المسافات ضائعة . الابعاد تتداعى . امرأتان جالستان الى جانبه . زوجته ساندرا وزوجة مارسيو سانتينيا . تتناقشان كل تحاول اقناع الاخرى بوجهة نظرها . ويحتدم النقاش ويعلو صوتاهما على هدير المحرك وما تلبثان ان تتماسكا بالايدي وتشتبكا في قتال وتلتحما وتأخذا بالشعر .

سانتينيا تقول بحقها بالحرية . بالانطلاق . بالفضيلة . بالعودة الى بيتها . وساندرا تقول مثل قولها وكل تنكر على الاخرى هذا الحق .

علت الاصوات . وظهرت نساء أخريات دخلن في المعركة . جانديرا. بالميرا . جوزينا . ماريا جيزوز . واشتبكت المرئيات ببعضها وتمازجت الوجوه واختلطت الالفاظ . والتقين جميعا حول انطونيو دي سوزا ، بشعات مكشرات يتقدمن اليه بأظفارهن الحمراء وعيونهن الجاحظة . ممزقات الثياب ظاهرات الصدور والافخاذ . كاشفات عن أهوائهن وشهواتهن ونزواتهن .

صرخ في نفس اللحظة التي أعماه فيها ضوء مبهر من ذلك المنعطف المسمى « غرغانتا دو ديابو » (بلعوم الشيطان) على الطريق بين فرانكا وريبيرون بريتو .

« ــ كفى . كفى . يا مثل السلع التي تصدرها « برادات عبر البحار »

الى الاسواق » .

انقشعت الرؤيا . زال الدخان . كل ما حوله ناعم . ناعم ومظلم . والسنة عاوية تلعق دماءه ..)

★ ★ ★

في آخر الشهر قدم المندوبون الى باريتوس والنقمة بادية عليهم ، فالازمة ما تزال خانقة وتشتد بحكم المسؤوليات التي ترتبت عليهم طوال اشهر ، فصارت ديونا . والخط البياني في اللوح الاسود يشير الى تحسن في البيع ومعنى هذا تحسن في القبض من الزبائن . اسم نلسون في أعلاه .

حزنوا لموت أنطونيو دي سوزا .

وفي كاجو أميغوس شعروا بفراغ أحدثه غيابه . وكانوا سمعوا بالاعتداء الذي تعرض له ماورو في شمال غواياز . وها هو يحدثهم عنه ، فيزيل من بالهم طيف زميلهم الراحل .

ـ ضربوني على رأسي وألقوني الى جانب الطريق ظانين انني مت . وكنت خائفا ليس بوسعي عمل شيء .

قاطعه احدهم :

ـ انت أسعد حظا من مندوب ـ ارمازان دو كومر سيو ـ الذي لقي حتفه وفقد حقيبته .

ـ نعم انني محظوظ . وبلا مال يذكر . حسبوا انني عائد من التحصيل وكنت لا أزال في أول عملي لم أقبض بعد شيئا .

ـ ألومك يا ماورو . كيف تحمل معك غرباء بسيارتك او تتوقف لهم؟!

ـ صه ايها الاحمق . أنت لا تعرف الذي حدث، فأنا لم أحمل احدا بسيارتي .

(ـ كان الوقت ليلا . وكنت متوجها الى بلدة « غوروپي» في شمال ولاية غواياز . الطريق الاتحادي غير معبد وما اكتمل بناؤه ومفتوح للعبور . وكنت عازما على الوصول قبل العاشرة موعد اطفاء الانوار في تلك البلدة. فأنا لا ارتاح لظلامها ، وعندئذ بدا لي ظل على الجانب الايمن ، عرفت فيه

حجم امرأة تشير الي لاقف . فخففت السرعة حتى الصفر تقريبا . سمراء . قطعة جسد .

ـ أتحملني الى « غوروپي » ؟

نظرت اليها متفرسا في مفاتنها وهي تدنو من نافذة السيارة :

ـ أحملك الى آخر الدنيا . ادخلي .

وما فتحت لها الباب حتى انقض علي اثنان كانا وراء الاشجار المجاورة. وأحسست بفوهة مسدس تلامس صدغي :

ـ انزل بهدوء . لا تتحرك كثيرا . اين الحقيبة ؟

وجدوها في المقعد الخلفي . واحسست بضربة على أم رأسي يصحبها ألم ودوار . لم أقاوم . وما نفع المقاومة ؟! رموني الى جانب الطريق .

« أسرعي يا زيتا فهناك ضوء ، لعلها سيارة قادمة » .

وهدر محرك سيارتي ثم ما لبث أن تلاشى وهي تبتعد بهم) .

صاح نلسون بارتياح :

ـ كنت محظوظا . حقا ..

وقال ماورو بعبث وضحك :

ـ ماذا تقول ؟ بالضربة التي نلتها والذعر الذي حل بي وفقدي محتويات الحقيبة ؟! لا . لا تسمني محظوظا . بل كنت محظوظا لو بت ليلتي في فندق سنترال في الحجرة المظلمة بـ « غوروپي » ، مع تلك العاهرة زيتا .

علت ضحكاتهم وزال بعض همومهم . سأله ڤالتر :

ـ واين وجدت حقيبتك بعدئذ ؟

ـ وجدها فلاح في السيارة على الطريق مفتوحة ومرمية والاوراق متناثرة الا انهم أخذوا مسدسي ونظارتي السوداء وعلب سجائري ونصف دزينة من « الدروع الواقية » وهدية كنت أحملها الى ماريا جيزوز .

ـ وما كانت تلك الهدية ؟

ـ انت حشري يا نلسون أكثر من اللزوم .

ـ ما أحسبها الا علبة من حبوب « ليندول » لمنع الحمل .

ـ صدقت . تلك كانت الهدية .

وهنا وسط المرح ، سأله ماركوس :

ـ وماذا عنكما ؟ سمعت بأنك ستتزوجها ؟

ـ من قال هذا ؟ اني ما زلت بكامل عقلي . هل جننت انت ؟

نهض وهو ينظر الى ساعته :

ـ أدفع حتى هذه المرحلة من مباذلكم . ايها الـ ـ ماتر ـ اعطني الحساب .

وتحول ليمضي بعدئذ . وصاح به نلسون :

ـ انت السعيد الوحيد بيننا يا ماورو . لديك فائض من السيولة ولعلك اذا تزوجت ماريا جيزوز ستصبح شحاذا .

★ ★ ★

همس ڤالتر في مسمع نلسون يسأله ان كان قد التقى بجانديرا . وذلك في الوقت الذي بدا فيه السيد مارسيو يقترب من المائدة ، فلفت نظره هازئا الى ان « صهرها » مارسيو قادم فعلق ڤالتر على قوله بأن السيد مارسيو عديل نلسون . وهتف مارسيو بتحيته :

ـ ابشروا ايها الفرسان . لقد زاد الـ ـ ماتريز ـ « كريدي » الزبائن بمعدل ثلاثين بالمئة . ومعنى ذلك ان مبيعاتكم سترتفع وعمولاتكم كذلك ستتبعها .

ـ اجلس يا مارسيو . ان ماورو دفع الحساب حتى هذه اللحظة وغادرنا قبيل وصولك . وسنستأنف الشراب بحسابك .

ـ هل جننت يا نلسون أيها الجاحد المعروف . أيكون هذا جزاء ما حملت اليكم من اخبار سارة ؟

وهنا سأله ڤالتر :

ـ وهل يشمل هذا « الكريديتو » الجديد الزبائن المتخلفين ؟

ـ بالطبع لا . فهؤلاء سيدرس وضعهم في الـ ـ ماتريز ـ وربما فقدوا صفة الزبون .

ولاحظ ماركوس :

ـ يبدو لي من دراستي لاضبارات زبائننا في منطقة غواياز انهم يشترون كثيرا. وهم الان اكثر المتخلفين عن الدفع فما تعليل ذلك يا نلسون؟ وفي منطقتك بنوع خاص ؟

ـ يعود الامر الى انهم يتاجرون بالحبوب . الارز والذرا والفاصوليا .. يبيعون السلع الواصلة اليهم من المصانع ويحولون أثمانها الى حبوب يخزنونه الى ان يرتفع سعره فينزلوه الى السوق . ومع ذلك هم زبائن مضمونون .

قال مارسيو وهو يرفع كأسه :

ـ لا جدال في الحال. وهؤلاء سيفقدون أرصدتهم البضاعية في شركتنا.

ـ وهو يرفع كأسه ـ اشرب نخب الحضور .

خففت النشوة في رؤوسهم من وطأة احساسهم بالازمة ، فالرؤوس ايضا حالات ما . مثل النساء تماما .

★ ★ ★

صحب نلسون زوجته مساء وصوله الى غويانيا ، الى « شورسكاريا » السمكة الذهبية الفخم ، وأوصى على طبق من « فيليه » سمك « جاوو » النهري مصحوبا بمايونيز القريدس . ورفع الى شفتيه كأس مارتيني مز مثلج :

ـ على صحة الحبيبة الخالدة وأيامنا الحلوة والمستقبل .

رنت الكاسات والسعادة تغمرهما . وما لبث ان سحبها الى حلبة الرقص وكانت الجوقة تعزف تانغو أرجنتينيا رومانسيا . ودار بها وخدها يلاصق خده . وغرقت لوسيا في حالة من الدعة والطمأنينة وهي بين ذراعيه كطفل أوى الى صدر حان .

لا تخطر ببالهما الازمة .. لا وجود لها .

« البيت ينتهي بناؤه في غضون ثلاثة اشهر . واسم نلسون في أعلى اللوح الاسود منذ شهرين . وقريبا يدفع ديونه التي اقترضها من زبائنه » .

عادا الى منضدتهما وتناول يدها وقبلها :

ـ تبدين أجمل وأفتن وانا العاشق المتيم . ابتسمي دائما .

غادرا الملهى عند منتصف الليل . وما تزال في خدر السهرة الشاعرية وهي تقف في غرفتها أمام المرآة ، تطالع فيها سمات محياها ، وعندما لحق بها وجدها تخلع ثيابها وقد بدت شبه عارية ، بدنها الاسمر الحنطي الناعم كمثل بدن عذراء صغيرة . تقاطيع جسدها دقيقة مهندمة بيد خالق رفيع الذوق .

ـ أدر ظهرك الي ريثما أبدل ثيابي .

وبحركة آلية رشيقة ولاها ظهره فأحدث عندها خيبة أمل أمسكت عن تبديل ثيابها واقتربت منه والتصقت بظهره وأحاطت صدره بذراعيها الساختين فاستدار وقبلها في شفتيها ولامس صدرها وبطنها ورفعها بين ذراعيه وهي تحاول الافلات منه ولا تقوى وتغرق شعرها الاسود في كل جانب ثم أراحها من يديه فتمددت متحفزة .

ابتعد عنها . فقد تذكر شيئا ، فخرج الى القاعة وفتح حقيبته وأخرج منها اوراقا وأخذ يكتب عليها ارقاما وكلمات . استبطأته . ووجدته ما يزال منشغلا . لامست شعره ، فجذبها اليه وأجلسها فوق ركبتيه ومنحها ابتسامة مغتصبة .وما لبث أن أغرق وجهه في صدرها الناعم المكوز الثديين كأنهما تفاحتان لم تكبرا الا بمقدار يبرزهما فلا يزيدان على راحتي يديه .

ومن جديد عاد بها الى الغرفة وهي مسترخية بين ذراعيه وشعرها يتأرجح متفرقا متجمعا فوق بدنه وبدنها وعندما انزلقت من بين ذراعيه ، تركت فيهما قميصها الشفاف .

★ ★ ★

« تعتكر مياه الينبوع اذا تتولى عليها الدلاء . وتفسد المرأة اذا تنتقل من رجل الى رجل وتتداولها الايدي فتبتذل وتصبح حالة نفسية مريضة » .

من أفكار پالميرا عندما أوت الى فراشها ولم تكن جانديرا قد عادت . وأبوها ما يزال في مكاتب الشركة بين أرقامه وأعداده . وخمسة عشر يوما وقت ضروري لانهاء الميزان الكامل العام لنصف السنة ١٩٦٧ الاول .

انه نظام ـ برادات عبر البحار ـ وليس لنظامها ان يوضع على الرف. صفوف من الاجهزة الكاتبة والحاسبة والناسخة والمناضد وراءها الموظفون. وأجهزة الهاتف والتلكس . وصفوف اخرى من الرجال والنساء العاملين .. يتحركون . كل في فلكه ، مثل نجوم السماء وكواكبها السيارة وكما تتحرك البراغي والبنادل والعقارب والرفاصات في ساعة كبيرة دقيقة الصنع والاحكام ، بلا نشاز .

« هكذا يوجه نظام « برادات عبر البحار » العمل . من يضع ذلك النظام ؟ من يوجهه ؟ من هو سيده ؟ من يتحكم به ؟ » .

جانديرا لم تعد بعد . لقد انفلتت وصارت كحال الماء اعتكر ينبوعه. والساعة تدق الحادية عشرة ليلا في ساحة « تيرادنتس » . في مكاتب الشركة ما يزال ثمة من يعمل . مارسيو واوليڤيرا وغيرهما .

.. « مع أي الرجال تتقلب ؟ ڤالتر . نلسون . او لعله ماركوس ؟ زوج المعلمة الريفية التي تعرف الحب على طريقة تعليم الابجدية ، بزيها القروي وساقيها الغليظتين . ولعلها عندما تمارس الحب تطفىء الضوء وتنزل تحت اللحاف وتعض على شفتها كي لا تفلت آهاتها . وتنهض في الصباح بوجه جامد رزين كأن شيئا لم يحدث . هذا هو البغاء الموسوم . أما ماركوس فأحمق شديد التهذيب . وخجول . عيناه ببراءة الاطفال . ليس لمثله مكان في مخادع الهاويات . أؤكد انه مثل اندرسون بارد . وهذا البريطاني صار يصحبني الى العشاء يشرب كؤوسا من الويسكي الوطني ويدخن سيجارا غليظا ويسمعني بعض « جنتلمنته » وينفخ متضجرا ويقول: « پالميرا هؤلاء المندوبون غشاشون ، مثلهم سنيور مارسيو . « برادات عبر البحار » تعرف . وتسكت . برازيل كله هكذا . پالميرا ، الشركة نظام . مثابرة . انتاج . برازيل فوضى . فوتبول. نساء . كرنفال . كشاسا ».

ثم يوصلها الى بيتها عذراء ليلتها تلك وهي ما تزال تفكر :

.. « نعم . جميع الناس هكذا . فلا وجود للخارقين المميزين .

المتفوقين . انصاف الآلهة . كذلك الاجانب مثلنا بصور أخرى . كل وموطن ضعفه وعيبه .. نحن بلد متخلف . جانديرا خدعت نفسها وتورطت . الرجال يغتسلون فيزيلون عن أجسادهم العهر والعطر . المرأة تحمل أسماء: بغي . عاهرة . مومس . مرتزقة . وآثارا بدنية » .

وقع اقدام خفيفة في خارج الغرفة . ثم بدت جانديرا بالباب وكأنها تتسلل وليس فوق وجهها الا معالم الاسى والخيبة .

ـ ادخلي . اين كنت ؟

ـ اي سؤال تلقين يا باليرا . حقا انني استغربك !

نهضت من فراشها وأمسكت بذراع اختها وهزتها :

ـ لم يعد بمستطاعك اخفاء الامر .

ـ بعد ايام .. فهناك طبيب ..

ـ ويحك .. أتعرفين عاقبة الامر ؟

ـ جميعهن يصنعن هكذا .. شاهدت فيلما أميركيا .. كل شيء جرى على ما يرام .

ـ يا للمسكينة الحمقاء . أتحسبين الامر بهذه السهولة ؟!

« تخلى عنها ڤالتر ولعلها ملت نلسون . فمع من هي اليوم ؟ ربما مارسيو .. هذا الدنيء الشهواني مثال البرازيلي البوهيمي » .

وأفكار جانديرا اللحظة في مكان آخر ..

(.. « طردني وأغلظ لي القول . كاد يقذف بي الى الشارع وانا عارية . سألني وهو يلامس نهدي وبطني .. انت حامل ؟ ثم دفعني عنه ».

ـ ماذا تريدين مني ؟

ـ الحب فقط .

ـ انهضي ـ وهو يرتدي ثيابه ـ لن توقعي بي ايتها العاهرة .

ـ أتحسبني جئت اليك وانا عذراء ، مأخوذة بجمالك ايها الافطس الانف ؟

كاد يرميها خارج الغرفة وهي عارية . لملمت ثيابها ، كمومس اساء أحدهم معاملتها .

ـ لا تريني بعد اليوم وجهك .

ـ بل ستراه كثيرا . ألست من تلميذاتك . ايها المعلم الفاسق ؟

خرجت باكية مهانة . ونقمت على الجميع . وتفكر بأن پالميرا على حق:

.. « تتناول حبوب منع الحمل ـ لا شك ـ وتتهتك بلا خوف ») .

بكت أمام پالميرا . وشعرت هذه بأن الطفلة كبرت وخرجت من براءتها . « وهي نفسها ـ پالميرا ـ لم تعد صغيرة برسم الزواج تنتظر فارس أحلامها . لو علم العجوز بالحقيقة لمات كمدا . لكنه منشغل بساعاته الاضافية . عقدته الحياة العصرية وأخافته » .

وتفكر پالميرا :

.. « جميع الرجال حمقى . لكن على درجات . ان واحدهم لا يتعلم مهما طعن في السن . أهكذا آباء شعبنا البرازيلي الذي يحتقره ذلك الـ ـ غرينكو ـ المتعجرف ؟ ومارسيو يعود الى زوجته . لوحت له « بالبوتيك » والمال » .

★ ★ ★

تمطت سانتينيا مثل قطة أليفة مرفهة فوق طنفسة لينة . وبدت بجسمها البديع المائل الى الامتلاء ، متعبة .. من ماضيها . من عملها . من المال . من عشاقها . من محل الازياء . وكأنها تبحث الآن عن الاستقرار ، فتجده الى قرب أولادها . ومع رجل بمقدوره ان يحرك طاقاتها الجسدية ويشبع رغباتها ، فالهدوء والدعة هما ما تنشده . وبيتا آمنا .

تثاءبت . تمطت . نادته فهرع اليها وجلس حيث مسحت براحتها على الاريكة ، مثل كلب مدلل استجاب . عاتبته باغراء .

ـ لي عندك أكثر من شهر ولم تدعني للخروج معك .

اعتذر بالاعمال . أراد ان يحكي لها عن تحضيرهم ميزان نصف السنة .

قالت بدلال تتقنه المرأة الاربعينية :

ـ هل المكاتب أحسن مني ؟ أنا أدعوك لتناول العشاء غدا في « شورسكاريا الجنوب » .. اذن .

تزينت للموعد . لبست ثوب سهرة اسود لماعا . خلاب الجمال . واحدا من ثياب تعرضها في « البوتيك » ، وتحلت بكامل طقمها الالماسي ، كما كانت تفعل في ريو دي جانيرو ، عندما تخرج مع احد عشاقها الاثرياء ، الى تياترو مونيسيبال .

تهادت الى جانبه في القاعة الانيقة في مطعم الجنوب .

تطلعت اليها الابصار . تمشي بخيلاء رافعة الرأس بنبل ارستقراطي ورشاقة متزنة . اناقة تامة . سيدة من سيدات مجتمع النخبة .

قرعا كأسيهما كرنين كريستالي النغم . وشربا جرعات من شامبانيا مع ملامسات الانامل للانامل وهمسها بابتسامة ممزوجة بأسى :

ـ انا سعيدة يا حبيبي .. وخائفة ..

علقت نظرات مارسيو باصبعها الاوسط . فتلاعب بريق الالماسة فوق عينيه ، شعاعا بلون الشمبانيا . ولهنيهة شرد به الذهن :

« بالارقام . كم ؟ »

تقول الآن مكملة كلامها :

ـ ..من أن تذهب سعادتي .

ـ ليست السعادة شبحا وعندما نحس بها فلأن جذورا عميقة لها قد تأصلت في نفسينا .

مدت اليه يدها حاملة الالماس وطرحتها في يده الشاغرة .

ـ صرت حكيما يا مارسيو ورجلا جديا .

داعبت أنامله أناملها ولامست مصدر الشعاع من خاتمها . وجيدها يشع منه بريق يخطف الابصار . ومعصمها ايضا محلى ، وكان السيد المدير العام يغرق في أطياف الجواهر الشديدة البريق :

ـ وانت يا سانتينيا . احسبك شديدة التعقل .

ـ مارسيو حبيبي . أهو العمر بسنواته مسؤول عن التعقل ؟ أم هي السعادة تجعلنا نفكر كيف نحتفظ بها ؟

ـ من يدري . لعلها . أو هما .

وقبل ان تسحب يدها . التقت نظراتهما فوق الشعاع المتقلب في اصبعها ، المتناثر فوق وجهيهما ، فسألته :

ـ ايعجبك هذا الخاتم ؟

ـ رائع .

ـ ثمنه ثلاثون مليون كروزيرو قديم . من نوع شامبانيا .

ورنت ضحكتها مثل رنين كأسين من كريستال صاف ، وبرق الالماس في أذنيها وجيدها ومعصمها واصبعها مع اشراق ابتسامتها وانعكس كل هذا ، الاشراق والبريق في وجدان مارسيو فاندفع بحماس وأوائل نشوة الخمرة في دمائه ، يقول وبصدق :

ـ رنين ضحكتك أروع من الجواهر . انظر الى وجهك وزرقة عينيك واشراق ثغرك فأراك الالماسة النادرة ـ قيم بالكروزيرو القديم ثمن القرطين . القلادة . الخاتم . السوار ـ وكلها ألماسية ـ فضاع الرقم المجموع من ذهنه ـ سانتينيا . كم من ايام وسنين مرت . وانا ادفع من سعادتي حساب الماضي وذكرياته !!

ولما نهضا خارجين . أعطاها ذراعه فأحست بدفئها . وفي السيارة قالت :

ـ سعادتي في البيت وليس في الجواء الخارجية .

ـ لا شك انك تعرفت بجواء كثيرة .

ـ كنت في عملي .. وكنت أخرج . لكنني كنت احلم ببيتي وحب أطفالي . وحرارة ـ كالهمس ـ زوجي .

في البيت . عانقته بشوق . وسألته ان كان فكر باقتراحها ، فأجابها بأنه سيفكر .

تخطر پالميرا بباله . فيقارن بين الاثنتين . فهما عشيقتاه . وكل منهما تدعوه الى الزواج . وما هو الا طالب متعة بلا مسؤولية . ستظل پالميرا

طوال سنين كثيرة محتفظة بجمالها وطراوة بشرتها ، وستظل النار في بدنها مشبوبة مع الشباب النضير . بينما تنهار سنتينيا وتتجعد بشرتها وتنطفىء النار في جسدها وتترهل كقطة اليفة في بيت تكتنفه اسباب الراحة والثراء.

وهو مارسيو بينتو . قاطن هذا البيت القديم الضيق . يترقب آخر الشهر ليقبض معاشه وأجور ساعاته الاضافية . يتلقى الاوامر . ينفذ الاوامر . يتلقى الضغط . يمارس الضغط . تنهكه النفقات باختلافها . يتطفل على موائد مرؤوسيه في المطاعم والبارات ، يقترض منهم مبالغ صغيرة لا يردها اليهم . يستدعونه الى ماتريز سان باولو . فيذهب في حراقة الحر بكامل ثيابه الرسمية ، كرافات غامقة حذاء لماع . قميص مزرر . ويحني جذعه ويقول : (نعم . نعم . نعم . حقا يا سيدي . حقا يا سيدي) . الف مرة في اللقاء الواحد .

« پالميرا موظفة محدودة النشاط في عملها . اذا تزوجتها ستترك الوظيفة وتقعد في البيت وترفض تناول حبوب منع الحمل . وهي لا تختلف عن سانتينيا . فماذا اسميها ؟ ان العصر حذف من قاموس التعابير اسماء عديدة كان يضفيها الى ألقاب النساء الفضليات بعد أن صرن متشابهات ، بلا فوارق خلقية الا نسبيا ، وصرن جميعا يحتجن الى مصطلح جديد للمعنى الجديد » .

« حتى ماريا جيزوز وجدت من يتزوجها ويحملها في أسفاره ، فكان ماورو هذا الاحمق ، بعد ان شاركه فيها في المبغى كثير من زملائه . وانه ليمضي بها متجولا حيث ذهب . يهرب من السنة الناس هنا ليقع تحتها هناك ويصل الآن الى فندق المسافرين » .

★ ★ ★

في اليوم التالي لسهرته مع سانتينيا . اعلن مارسيو لاوليڤيرا عن زواجه القريب في آخر الشهر ، بعد الفراغ من ميزان نصف السنة وقد اعد طلب اجازة اضافية .

قال المحاسب العجوز :

ـ وكنا نجري وراء ساعات العمل الاضافية ..

ـ ادعوك منذ الآن الى الحفلة التي سنقيمها في نادي باريتوس . تلك

رغبة سيلستينا أمورين . وسأدعو جيع الزملاء والمندوبين فان لهؤلاء والحق يقال بذمتي دعوات كثيرة .

انتشر الخبر . پالميرا في أسوأ حال . رن الجرس في مقصورتها مرات فلم تلب . نهض واستدعاها . وألقى على مسمعها ما يشابه الدفاع عن النفس . وان سانتينيا بريئة وقد ظلمها . ويكفر عن اساءاته لها وقد عادت الى اولادها . أما شعوره نحوها هي پالميرا فلم يتغير . فهو يحبها الى الابد ولن ينساها وهو لها وما يزال .

خرجت بلا كلمة ولقيت ماركوس فاستغرب ما هي عليه من تأثرات حزينة . فأراح يده فوق كتفها يربت مواسيا . واحست بثقل يده فأمسكت بها بأصابعها وقالت :

ـ حسنا . لست اول فتاة تفقد أملها . فاشمت ان شئت .

ثم أزاحت يده عن كتفها كمن تنفض وزرا ، فسقطت في الفراغ . وهتف ماركوس :

ـ بالميرا . بالميرا .. عزيزتي .

ود لو يضمها . يقبل شعرها ويجفف دموعها . عادت اليه عواطفه التي بللتها يد الزمن بماء السلوان . انها التي يحبها وبقي في وظيفته من أجلها .

ـ پالميرا . أحبك بلا امل . وسأظل ..

ـ اشكرك يا ماركوس . فأنا المخطئة . وحدي .

كان الجنتلمان البريطاني ينظر اليهما الآن وفوق وجهه ابتسامة بلهاء . الامر لا يعنيه . ماركوس حدجه بنظرة قاسية فمضى الى مكتب المدير العام وكأنه يتساءل :

« ماذا حدث لهؤلاء البرازيليين الحمقى !؟ »

ارتمى اوليڤيرا في افكاره الغريبة . أعد كل شيء للميزان النصفي . وهو بانتظار موعد وصول المندوبين القريب ، سيرتاح . سيطلب بالحاح اجازته . بدأت حفلات عيد مار يوحنا المعمدان المقطوع الرأس . حفلات في الهواء الطلق ليلا . يشعلون النيران . يرقصون . يغنون . يشربون « كنتون » الخمور الكحولية القوية المغلية مع البهارات المطيبة بالعسل . ويشترون أوراق اليانصيب لهذه المناسبة . والجائزة مليار

كروزيرو قديم . (مليون كروزيرو جديد . ثروة) .

وسيمضي اوليڤيرا اسبوعا كاملا في مزرعة « زه داموتا » بضيافة المزارع « كورونيل كارڤاليو » . وسيلعب معه الشطرنج ، فهذا أرقام وحسابات غير أرقام عبر البحار المملة . أما ابنه « جوزه داموتا » الشاب فيتردد على منزل اوليڤيرا وعينه الوالهة على جانديرا .

انساق اوليڤيرا الى الارقام فجأة : « فهذا الشاب أحد ثلاثة ورثاء للكورونيل كارڤاليو . وفي مزرعته الخاصة ثمة عشرون الف رأس من البقر. ويشترك مع العائلة في مزارع غلال موسمية وبيوت وغيرها . ويكون جوزه داموتا بين الورثاء الثلاثة هو الرقم الاكبر . وسيكون بالنسبة لجانديرا الحزب الرابح الذي تحلم به فتيات باريتوس » .

دخل الى مكتب المدير العام :

ـ قدم لي طلب اجازة ، ابتداء من اول الشهر القادم ـ تموز ـ أسامع أنت ما أقول ؟

ـ ماذا يا أوليڤيرا ؟ هل ستتزوج بدورك ؟

ـ سأريح اعصابي وعظامي النخرة في احدى المزارع .

ـ كما تشاء . يبدو ان أحدا بيننا لا يطمع بالعمل الاضافي .. اه .. فليكن . دنيا غير ثابتة .

ردد العجوز :

ـ اجل . هذا هو الواقع . لقد اخذ العمل الاضافي من عافيتنا ، وصب في خزائن ـ عبر البحار ـ قيمة زائدة اضافية فوق أرباحها الاسطورية .

ضحك مارسيو :

ـ يبدو انك صرت خطيرا .. مثل الماركسيين .

ـ الحقيقة هي الحقيقة . واذا كان الماركسيون يقولون بمثل هذا فان الارقام عندي تقول ذلك ايضا ، فهل الارقام خطرة ؟ مبادىء هدامة ؟! عميلة لموسكو ؟ ملحدة ؟ ضد وطنها ؟ ضد البرازيل ؟

ـ ها هو ماركوس قد أتى . ماذا يا ماركوس ؟

ـ أريد أن تصرح لي ببعض الاضبارات .

نادى پالميرا . وحول اليها الطلب . فخرجت وهي تقول :

ـ سأحضر له ما طلب يا سيدي .

خرجت . ومارسيو يدعو ماركوس للجلوس قائلا :

ـ ان أوليڤيرا يطلب اجازته وهو ثائر الاعصاب . فما رأيك ؟

ـ لا رأي لي . فالسيد أوليڤيرا يعرف ما يصنع .

ـ ويتحدث بلغة ماركسية أو ما شابه ذلك . لكن ما الفائدة من معرفة الانسان للحقيقة ، اذا كانت القوة المالية الصناعية والمصرفية هي كل شيء؟! نحن مرتبطون بهذه القوة ، تسيرنا فلا نملك معها حيلة . انها الدولة كما قال يوما العجوز كونت دي مونتي ڤردي .

سأله أوليڤيرا :

ـ أهو قال ذلك ؟ أعهد لويس الرابع عشر أم عهد الديمقراطية البورجوازية ؟

رد ماركوس :

ـ أرى ان شيئا لم يتبدل من قديم الى الآن الا نسبيا . مؤسسة مونتي ڤردي وطنية بالجنسية ودعامة للاقتصاد البرازيلي .

★ ★ ★

مونتي ڤردي تروست برازيلي واسع . له فروع في كل البرازيل . متعدد المصانع والمعامل ومتعدد المنتوجات . يملك مزارع الفواكه والخضار والحبوب وقصب السكر ، في مساحة شاسعة خيالية في ولاية سان باولو ، فتسير فيها القطر الحديدية الخاصة في خط طوله ستون كيلومترا . وتملك مصفاة لتكرير النفط واستخراج كافة مشتقاته : البنزين . أوليو ديزل . كاز . پارافين وغيرها . ومصانع السكر . ومصانع الزيوت التي تستخرجها من الفستق والسمسم والقطن والبن والارز والذرا والسوجا ومن الجوز المتنوع الخصائص من أشجار تنبت في البرازيل ، هذا الى جانب مصانع النسيج بكل أنواعه والخيوط ، ومعامل الكونسروة والصابون . ومعامل

البيسكويت والمعكرونة ، ومصانع صب الحديد والفولاذ ومطاحن الدقيق، ومصالح اخرى وفروع صناعية عديدة .

(وفي ذلك العام من عودة رئيس الجمهورية جتوليو قارغس الى الحكم، وظهور المطالبة ببترول البرازيل للبرازيل واشتداد الحملات الاستعمارية على الاقتصاد الوطني الهادف الى تصنيع البلاد ، وانشاء مؤسسة ـ بترو براز ـ (البترول البرازيلي) برأس مال وطني مئة بالمئة . استشرت هجمات الشركات الاجنبية العاملة في البرازيل ، على الشركات البرازيلية المزاحمة . كل ذلك وسط أوضاع مالية غير مستقرة في القطاع الصناعي والاسواق التجارية ، مما أدى الى اهتزاز لدى مؤسسات وطنية عديدة ، فأفلست ـ جماعة يافث اللبنانية الاصل ـ وأغلق بنك كروزيرو وبيعت شركة النقل البحرية وشركة النقل الجوي التابعة ليافث ، وتدهورت أوضاع كثير من المؤسسات المالية والصناعية البرازيلية ، وابتلعت مختبرات الادوية العملاقة الملقبة « بالقروش » وهي كلاب البحر ، المختبرات الوطنية كالاسماك ، وبدأت شركات اخرى تشتري شركات برازيلية ، لاقر آس. أ. جاسي . وكانت محاولات لابتلاع شركات كارلوس پيريرا ، ولوپس سا ، ومصانع أدوية موريسيو ڤيليلا وفونتورا ، وظهرت أزمة الزجاج المسطح .

كل هذا يحدث بينا مونتي ڤردي ماضية بتجديد آلاتها واجهزتها .. أزمة هائلة .. « خسرت مبالغ كبيرة خيالية مع المؤسسات التي أفلست مما ادى الى عجز مالي في مدفوعاتها . فلجأت الى بنك البرازيل تطلب قرضا قيمته مليار كروزيرو . والكروزيرو بعافيته يومئذ . مبلغ . ان لم يكن أسطوريا مئة بالمئة فهو خيالي .

والمعروف ان مونتي ڤردي تبيع جميع منتوجاتها بالدين . وتفتح للتجار « كريديتو » عندها وتسلمهم شتى الانواع بآجال تستحق بعد ٤٥ و٦٠ و٩٠ و١٢٠ يوما . وتخصم لمن يدفع سنداتها المستحقة عند تقديمها الى الزبون لدى زيارة المندوب الجوال لهذا التاجر ٣٪ . أما اذا تأخر ، فتأخذ منه فائدة ١٪ عن الشهر . حتى ليظن بأن هذه المؤسسة تفضل ان يتأخر زبائنها كي تتقاضى هذه الفائدة . وبالطبع هذا ليس صحيحا .

فماذا كان رد بنك البرازيل ، على طلب المؤسسة ؟ لا . والف لا . وهنا اشيع ان الاستعمار ضغط على البنك كي يرفض تقديم هذا القرض . فما كان من العجوز الكونت دي مونتي ڤردي الا ان أمر بتهيئة السندات

التجارية المستحقة ، في ذمة عشرات آلاف التجار والمؤسسات ، في كل البرازيل ، للتصفية في خلال ٢٤ ساعة . وتهيئة التي ستستحق لنفس الغرض لدى استحقاقها ، تحت طائلة البروتستو واشهار الافلاس .

وبنفسه ذهب الكونت الى رئيس بنك البرازيل :

ـ اما القرض واما افلاس البرازيل .

وأجابه رئيس المصرف :

ـ البرازيل دولة .

وكان رد العجوز الكونت :

ـ بل نحن الدولة . لولا مونتي ثردي وأمثالها ما قامت الدولة ..

ـ حسنا . أمهلني ساعتين .

ـ بل أريد الجواب الآن ولن اخرج قبله .

رفع رئيس بنك البرازيل سماعة الهاتف واتصل برئيس الجمهورية، وشرح له الوضع وأتاه الجواب فورا :

ـ أعطوه المليار بلا تردد .

★ ★ ★

وأخبر ماركوس السيد مارسيو بأن ـ برادات عبر البحار ـ تملك مساحات كيلومترية جديدة من الاراضي ، بعد القضاء على الحركة الجماهيرية للاصلاح الزراعي التي انتهت مع قيام الثورة في عام ١٩٦٤ . وكذلك تملكت الشركات الاخرى .

كانوا يتحدثون بلا خوف أو تطلع نحو الباب . زرب الغربال ـ ولا من يضبط كلام من يريد الكلام ـ وكأن لا وجود لذوي الاردية البيضاء ، التماثيل المتجولة ، المتنقلة بعيون تدور حدقاتها في محاجرها دورات كاملة. البريطانيون الذين لهم عيون وآذان . لهم أنوف وحواس سادسة ، كأنها الرادار اللاقط ، فقط ليس لهم ألسنة لتنطق وتجادل .

يمارسون سلطة خاصة . فوق الادارة . وهم اول من يحس بالخطر .

وأول من يقرع الجرس ، فيتردد الرنين في مكاتب ـ ماتريز ـ سان باولو .. ومنه ينتقل الى لندن ، حيث (المكتب) السلطة فوق السلطة .

كان هذا في جو آخر الشهر . وقد بدأ المندوبون المتجولون يفدون الى باريتوس كما الى مهرجان لتسليم حقائب الحسابات . وأول من وصل كان ماورو يقطر ماريا جيزوز السمراء اللعوب التي تزوجها ، فاستأجر غرفة بسرير مزدوج في الفندق . وفي صباح اليوم التالي سلم الحسابات في المكاتب مع التقرير الشهري .

مر في طريق خروجه بالسيد اوليڤيرا ، فحياه وقال له :

ـ قمت بجهد الجبابرة ايها السيد اوليڤيرا ، وعملت بثبات ، وأزاحم نلسون هذا الشهر على زعامة اللوح الاسود ، وقد سافرت ليلا ونهارا ونمت في بنسيونات بعضها مليء بالبراغيث وربما بحشرات ـ بربيرو ـ القاتلة السم . وشربت برميلا من كشاسا ولعلها المادة الوحيدة الخالية من الجراثيم بين جميع ما دخل معدتي .

وأجابه كبير المحاسبين العجوز المتعب :

ـ أنت تجول وتنسى همومك . أما انا « فأتخ » هنا بين الارقام ، مثل حديد عتيق ناله الصدأ فجعل يهترىء بلا توقف .

عاد ماورو مسرعا الى الفندق ، فالغيرة تحرق أعصابه وتلك اللامبالية ماريا جيزوز ، لا تسعى لتهدئة غيرته . وكان يواصلها بعنف ويحبها بوحشية فيها قهر ذاتي ، وهي تتهتك معه كمحترفة تماما مما يزيد في حنقه ويرضيه ويقول لها :

ـ لن تصيري سيدة مجتمع .

فترد عليه :

ـ هل تريدني باردة كتلك البيضاوات المهذبات « المصقعات » مثل الليموناضة . هكذا ؟.. أيعجبك ؟!..

تشبك ساعديها فوق رأسها الاسود الشعر الاجعد وتخرس آهاتها وتختفي هسهساتها وتتوقف حرتقاتها الصوتية ، وتجمد فتثور ثائرته ،

ويشد شعرها بغضب ويصفعها فتتقلب عندئذ كحيوان ضرب تحت حمل ثقيل ، فجهد في سيره بلا نظام .

★ ★ ★

ووصل ڤالتر وعلم من باتيستا ان نلسون لم يصل بعد .

ـ حسنا . أنا لم أصل . مفهوم يا باتيستا ؟ سأبقى في غرفتي حتى يأتي نلسون ، ولن ادعهم يروننني . التقيت به في غويانيا وسينقذني من ورطتي كما سبق أن أنقذته .

دخل ماورو وشاهده ڤالتر فخاطبه :

ـ ماورو . ماذا يا ماورو ؟! تلك سنة الحياة . من لم يمت تزوج . هذا يحدث دائما . ثم ان الزواج مهما ساء يظل خيرا من الموت .

غادره وسار في الممشى الى غرفته فالتقى بالسيدة جوزينا فحياها فردت عليه بحياء وبابتسامة لطيفة . فتذكر ماركوس ، صديق الجميع المخلص ، وقد سلطوه كمفتش عليهم . لا يغتنم الفرص ، بل يدفع أكثر نفقاتهم المشتركة في بار كاجو أميغوس ، ويصدقهم النصح .

.. « زوجته معلمة الارياف بسيطة . تبدو ساذجة ، غليظة البدن ممتلئة الساقين ، تملك مؤخرة لا بأس بها ، يخيل الي انها امرأة تامة لها قيمها الليلية » .

شعر بحاجة لكأس ، فوق مـــا شرب ، ضغط الجرس . أتى النادل الاسود :

ـ آليو . احضر لي زجاجة ـ بيتو ـ أصلية . وهذا المبلغ لك . ولك مثله عند مبارحتي . أنا لم أصل بعد . هل فهمت ؟ غير موجود . أصل غدا أو بعد غد . انتبه من أسئلة السيد مارسيو واخبرني فورا بوصول نلسون .

استلقى بفراشه وما خلع ثيابه . الاعياء يقتله ، وأيقظته يد تهزه . فتح عينيه . لعله آليو يحمل اليه زجاجة الكشاسا . لكن آليو كان قد سلمه الزجاجة وشرب نصفها .

ـ ماركوس . أنا لست هنا . من أخبرك اني وصلت ؟

ـ خل عنكَ . وأخبرني ما الامر ؟

ـ أجل ماركوس . اجل . أنت برازيلي طيب . لا أخفي عليك . انتظر نلسون . كان يجب أن يصل أمس البارح . انه زعيم اللوح .. بأمجاد مونتي ڤردي .

ـ حسنا . حسنا . يكفي . ولكن اعلم انهم يدققون بشدة . ابق بعيدا عن العيون . تناول طعام عشائك في غرفتك . ربما اتى المدير العام يتشمم الاخبار أو أرسل أحدهم .

رجع الى غرفته ليصحب زوجته الى العشاء ثم توجه بها الى قاعة الطعام وعلى المائدة قال :

ـ مشاكل . مشاكل لا تنتهي . الجو في المكاتب مشحون . ذيول الازمة جارحة . سيصعب على بعضهم التغلب عليها . برميل البارود بانتظار اشارة لينفجر ، علي أن أعرف من يصل . جعلونا رقباء بعضنا على بعض .

شرب من كأس البيرة وهي صامتة :

ـ عسى ان يمر هذا الشهر بخير . ضقت ذرعا بهذه الحالة .

ـ عزيزي . لماذا لا تستقيل من عملك ؟ فأنت بغير حاجة للوظيفة .

ـ هذا صحيح ، لكن بعد أن تمر هذه الازمة سأفكر بالامر . أما الآن فأفكر فقط بالذي يحدث .

تتراءى پالميرا بباله . يود لو كانت قبالته جالسة اليه . تأكل وتشرب وتتأبط ذراعه ، بدلا من هذه الريفية المبالغة بالعفة ، المتكبرة كأنها فوق مستوى النساء جميعا . پالميرا الآن وحيدة . بلا رجل .

.. « يا لسرعة الاحداث . كل شيء ساكن هادىء رتيب الحركة ، ودفعة واحدة ، بقفزة مفاجئة ، يتحرك وكأن كل فصل موصول بفصل وجميع الامور ذرات مشدودة الى بعضها . پالميرا بحاجة للعطف أكثر مما يحتاج ڤالتر » .

ـ لماذا لا تأكل يا ماركوس ؟

ـ سأكتفي بالشراب . لا شهية عندي .

تشعر بفارق . كل منهما في واد .. زواجها لم يكن عملية تكامل مستقبلي . تودد اليه فرفعت كأسها على صحته فاغتصب ابتسامة وهو يرفع كأسه .

.. « اما وقد حدث ما حدث فعلي ألا أفقده » .

★ ★ ★

أول نبأ تلقاه ماركوس في المكاتب أن السيد عباس عيد هنا . وهو تاجر من سارس ـ غواياز . منطقة نلسون . وانه يحمل ايصالين غير رسميين بقيمة خمسةملايينونصف مليون كروزيرو قديم . وأضاف مارسيو:

ـ كشفت على اضبارته فوجدت القيمة ما تزال مفتوحة في حسابه من غير تسديد . الامر خطير .

عرفه عليه فرحب به ماركوس . وقال عباس :

ـ كنت في سفرة الى سان باولو ورأيت أن أمر بفرانكا فلي فيها صديق . وعند المفرق الاتحادي أغرتني المسافة القصيرة ١٢٠ كم التي تفصلني عن باريتوس فجئت لاتعرف اليكم .

ـ هذا يسعدنا . فزيارة زبون ممتاز هي زيارة صديق .

ـ قد لا أكون ممتازا وانتم تمزقون جميع طلباتي .

ـ لعل تقصيرنا ناتج عن التباس في الحسابات . وكل شيء سيسوى. ونحن بانتظار السيد نلسون بدر عبود الذي سيصل في غضون الساعات القادمة . حبذا يا سيدي لو تبقى معنا يوما آخر .

ـ على كل حال ، أنا في فندق المسافرين غرفة ٣٢ وسأبقى لغد .

وعندما تناهى الى ڤالتر ان عباس أبرز ايصالين مؤقتين من نلسون كانت ردة فعله ان قال لمن حوله :

ـ قضي الامر . علي وعلى نلسون وعلى آخرين الرحمات .

أما السيد مارسيو فقام بدورة استطلاعية في الفندق ، وقرأ لائحة النزلاء الجدد ، فلم يجد اسمي ڤالتر ونلسون بين النزلاء . فاتصل بالمكتب

طالبا ماركوس الذي كان مع پالميرا وكان يقول لها معلقا على ما يجري :

ـ نلسون حرك أموال الشركة لحسابه الخاص .

لم يقل اختلس . أو سرق . او تطاول . أو مد يده .. أو أي تعبير جارح . بل استعمل كلمة فنية من المصطلحات كانت مهملة من زمن .

« ميكانيزو دينييرو » . بالرغم من لطف الكلمة ، جريمة لا تغتفر .

ان قوانين ـ برادات عبر البحار ـ لا تغتفر للايدي تمتد الى أموالها فتتصرف بها ، وتغفر غير هذا من أخطاء وأغلاط واهمال وتقصير وسوء خلق وفظاظة .

وأتاه من آخر الخط صوت مارسيو يعتقد بأن ڤالتر هنا يختبىء في الفندق . أما نلسون فيظن انه لم يصل بعد . ودعاه للحضور الى الفندق وانتظار المندوبين .

ـ حسنا ايها المدير العزيز . ان ڤالتر منذ أمس في الفندق . لا تذهب الى غرفته . انا قادم . الامر أوسع من الدائرة التي يبدو فيها .

يجب ان نعمل شيئا من أجل هؤلاء الفتيان الناشطين . لا يمكن رميهم في الشارع . ترو بالامر . سأتحدث الى السيد أوليڤيرا والحق بك .

أرخى السماعة وخاطب پالميرا ووجهه مملوء بامارات الاسى :

ـ انفجر اللغم .

وعندما وصل الى أوليڤيرا ، فوجىء بأن صندوق المدفوعات قد أغلق بأمر ماتريز سان باولو الا للقبض وتسلم الاموال من المندوبين .

وفي الفندق مضى ماركوس فورا الى غرفة ڤالتر الذي كان يقول لماورو:

ـ .. ساعد بما تستطيع . يجب أن ننقذ الموقف . انا في عجز ظاهر مجموعه ثلاثة ملايين ك. ق. ونلسون بأكثر . يجب أن نتعاون فاذهب واقبض عمولتك واتصل بالآخرين ، كما كنا نصنع من قبل في مثل هذه الظروف . والا فان مأساة عشرين سنت مضت ، ستتكرر . ألم يقصوا عليك نبأها ؟..

وقاطعه ماورو :

ـ لا اجهل خطورة الموقف . سأرى ما بوسعي أن أفعل . بالرغم من أن علي أن أستقر . فأستأجر بيتا وأبتاع مفروشات اه لا يمكن ان ابقى وزوجتي في الفندق .

ـ ترهات . الفندق يوفر لكما راحة أكثر وهو أوفر . ماركوس وزوجته يسكنان فيه . عدا ما في هذا من رومانس : توحي اليكما بأنكما ما تزالان في شهر العسل .

ـ بل يجب أن أمضي بها بعيدا عن الفنادق .

ـ حسنا . اذهب واقبض وعد .

ـ لا بأس . اعتمد علي .

وهنا قال ماركوس :

ـ لا داعي للذهاب .

وصاح ثالتر وقد جمد ماورو :

ـ ماذا حدث ؟ هل التقيت بالتوركو عيد عباس ؟ ألا يمكن تبديل الايصالين ؟

ـ لقد تجاوزنا الامر الى « الاردية البيضاء » الذين مدوا «انتيناتهم» والتقطوا كل صغيرة وكبيرة ودقوا الناقوس فسمعت سان باولو . ولعل لندن قد علمت بالامر الآن . ووصل الى المكاتب « تلكس » يأمرون فيه باغلاق صندوق الدفع الى موعد غير مسمى . فاذهب الى المكاتب وسلم حقيبتك .

ـ مهما يكن يا ماركوس . سأنتظر نلسون كمحاولة اخيرة . فنحن لم نختلس انما تصرفنا بمال الشركة ـ كما كنا نصنع من قبل في الازمات ـ ونعيده اليها من عمولاتنا المحجوزة .

أقنعه ماركوس بقوله :

ـ نلسون لن يستطيع عمل شيء من اجلك وساقاه في الفخ . وقد بدأوا باجراء كشوف دقيقة . وسيقوم المفتشون ابتداء من صباح غد بزيارة المناطق والتفتيش لدى الزبائن . وقد أوقفوا الشحن في حظر كامل ، الا الى الذين غير مدانين بأي مبلغ .

خرجوا الى القاعة . وطلبوا قهوة . وانكمش ماورو وماركوس يسأله:

ـ وأنت ؟

ـ أنا .. تزوجت . ووضعت مشروع استئجار شقة وفرشها . تبخر الحلم . ولا مجرد غير سقف الفندق . وأفكر من الآن بالبحث عن عمل . فقد « حركت » .. ايضا .

دخل عيد عباس ومعه شاب في العقد الثالث مليء الجسم عريض الكتفين مستقيم الشاربين ، واسع الوجه بشكل ملحوظ قدمه اليهم السيد عامر صاحب محمصة بن « الذهب الاسود » في « ريالما » رفيقه في السفر.

رحبوا بالاثنين . وجلسوا اليهما . وقال السيد عامر بصوت جهوري قوي النبرات :

ـ بالواقع الامر مؤسف . وما كان صديقي السيد عيد عباس يريد ان يحدث هذا على يديه ، ونتمنى ان يتم الامر بخير .

أجاب ماركوس :

ـ كان لا بد أن يحدث . فلا تأس ايها السيد عامر .

ـ حسنا . صديقي وانا ـ قال السيد عامر ـ على استعداد لان نحل مشكلة نلسون فنقرضه المبلغ الواقع عجزا تحته ، وذلك لنحل الازمة المؤسفة فلا يتضرر لا هو ولا الآخرون .

ـ ليس بالممكن ، فالامر وصل الى ـ ماتريز ـ الشركة .

وأتى آليو يدعو ڤالتر الى الهاتف فسارع هذا وسمعوه يصرخ بعصبية:

ـ نلسون . اين انت ؟ ستصل .. سبعون كيلومتر ؟ ماذا تريد أن تعرف ؟ طبعا .. انفجر اللغم . أنا أدبر لك مبلغا ؟ لا . لا. ماذا ؟ انقلبت الآية فأنا من يريد الان . لكن لا يجدي . لا انت تستطيع ولا انا . الكارثة عامة. أسرع. اسرع. نحن بانتظارك. المكاتب بانتظارك. سان باولو ولندن ايضا .. بانتظارك .

رجع وهو يهز رأسه ويضحك بقهر :

ـ طالت الازمة . والاقدار لم تسعفنا . فكان ما كان .

★ ★ ★

وصل نلسون عند العصر . فأوقف سيارته وراء بناء الفندق ودخل. شاهد ماركوس فصاح :

ـ ما العمل ايها المفتش العزيز ؟

ـ حاولت وما استطعت . أولئك « الانوف الحديدية » الاردية البيضاء تلقوا النبأ وأوصلوه الى سان باولو . حتى ان مارسيو كان على استعداد لانقاذ الموقف . وكذلك كبير المحاسبين والسيد عيد عباس وصديقه السيد عامر وهذان الاخيران بانتظارك .

قال نلسون باعتذار :

ـ الايصالان الموجودان مع السيد عيد عباس ومبالغ أخرى ، حركتها بقصد تغطية الضرورات والاقساط والبيت .. البيت كاد يتم بنـاؤه . وعمولاتي أكبر بكثير من المبالغ التي حركتها .

وهنا دعوا ماركوس الى الهاتف . كان المدير العام :

ـ أخبرونا من « الماتريز » انهم ارسلوا محققين بطائرة « تاكو تاكو ». ستصل بهما في غضون نصف ساعة . أرجو ان تكون حاضرا لاستقبالهما في المكاتب .

ـ مارسيو . نلسون وصل وكذلك عدد آخر من المندوبين أعتقد ان ما من متخلف الآن . وسيأتون اليك .

وعندما رجع اليهم كان نلسون يقول لعيد عباس :

ـ عندما وصلت الى سارس كنت واعدا نفسي ان آكل « كيبي » عندك . ثم نسهر ، أنت وعامر وأنا في مكان نخلو فيه للشراب .

جلس معهم ماركوس الى ان تجمع جميع المندوبين فنهض وخاطبهم :

ـ تفضلوا أيها الفرسان .. سعادة السيد المدير العام بانتظاركم . أيها السيد عباس . هل تصحبنا يا سيدي ؟

ـ بل سألحق بكم .

ساروا مع ماركوس . في ما يشابه الموكب . ماورو ، نلسون ، ڤالتر ، جورندير ، أمارو . پاديليا . جوزه . مانويل . كردوزو . اورلاندو . وكل

منهم حقيبته بيده . موكب فيه اكثر من مأتم وما من ميت .

★ ★ ★

(منذ يومين وكبير المحاسبين معجل لاغلاق تقريره العام لنصف السنة . ومعجل لتلقي الجواب على طلب اجازته ، فأحدث تأخر بعض المندوبين بالوصول نقمة في نفسه وجعل يصب غضبه عليهم بحضور پاليرا :

ـ انهم طائشون أؤكد لك يا ابنتي وغير مسؤولين وغير مبالين .

ـ لكل عذره يا أبي . بعضهم ينتظر ان يقبض من زبائنه . وأحدهم يمرض ، أو يحدث له حادث سيارة او .. فيتأخرون .

ـ وانا ؟ هل أنا مسيح جديد فأستشهد فيدق كل واحد منهم مسمارا في صليبي ؟) .

عرف ما حدث فنسي اجازته ومتاعبه ومرضه وبرنامج قضاء اسبوع في المزرعة . بل تناسى قلقه على جانديرا . ونسي عملية صلبه والمسامير في يديه . كما لا يتذكر انه منذ أكثر من ثلاثة أيام اشترى ورقة يانصيب بأجزائها العشرة ، بمناسبة عيد « سان جوان باتيستا » المقطوع الرأس . ولا بد أن أحدهم صار غنيا .. فالنتائج صدرت .

وعندما تذكر ، كان يصحب تذكره ، صورة لكيد النساء . ولرقصة سالوما بالاقنعة السبعة الحريرية فوق بدنها الساحر أمام هيرودوس الملك ، ونزعها تلك الاقنعة حتى لتكون شبه عارية ، فيطيش لبه . ويخرج عن عقله فيسألها ما تشاء فتطلب أن يقطع رأس ذلك القديس الثائر على الظلم والعهر والاستبداد . فيأتيها برأسه على طبق . ويخرس الصوت الصارخ في البرية، يا أولاد الافاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي. والان قد وضعت الفأس على أصل الشجرة ، فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار» .

ونسي ساعاته الاضافية واشياء اخرى وقد غطت على كل هذا مأساة المندوبين الكادحين الناشطين بلا كلل او ملل . العاملين بهمة في سبيل تحسين أوضاعهم ومن اجل عيشة كريمة مع عائلاتهم .

وقد شهد الموكب الذي رافق ماركوس عندما دخل الى المكاتب متجها الى قاعة الاجتماعات الواسعة . وكان المحققان قد وصلا وهما محاميان

متمرسان موظفان في الشركة .

وقف المندوبون كمجرمين متلبسين بالجرم ، وبأيديهم حقائبهم . ثم تحركوا فوضعوها فو ق المنضدة الكبيرة المستطيلة، وقال مارسيو المدير العام:

ـ حسنا . لنبدأ .. واحدا واحدا . تفضلـــوا بالجلوس ايـها السادة .. شكرا .

أجريت المحاسبة مع كل منهم ، ثم قام احد المحامين بكتابـــة نص المسؤولية والتعهد . وسلمه الى المدير العام الذي قرأه ووافق عليه وحوله الى پالميرا ليجري طبعه وسحب خمسين نسخة منه . فكان جاهزا في خلل عشرين دقيقة .

تناول كبير المحاسبين نسخة ، فملأ فراغاتها بالاسم والارقام . وقدمها الى المدير الذي قدمها بدوره الى نلسون بدر عبود :

ـ أرجو ان تقرأ هذه الوثيقة قبل التوقيع عليها أيها السيد نلسون.

تناولها بيد مترددة مرغمة ، واشاح أوليڤيرا بوجهه . أما ماركوس فكان أكثر واقعية اذ ظل يتتبع بانتباه انعكاسات الموضوع على صفحات وجـه نلسون وسمعه اللحظة يقول :

ـ حسنا . هل لي الحق بأن أفكر قليلا ؟

ـ بالطبع . وبالتأكيد .

أجاب كبير المفتشين . وقدم له سيجارة أشعلها له . وعينا نلسون ساقطتان فوق نصوص الورقة :

ـ لكنها تجردني من جميع حقوقي .

قال المحامي ـ المحقق :

ـ ما عدا حقك بالدفاع عن نفسك اذا أردت .

ـ أجل . أحسب هذا . لكنني أحكم فيه على نفسي . ان هذا لفظيع.

تدخل ماركوس والرفض الكئيب في معالم وجهه :

ـ أنت غير مرغم على التوقيع . طبعا هذه نصوص قانونية وتقرير لما جرى وأرقام واضحة . ارفض التوقيع أو وقع اذا أردت .. ثمـــة بمستطاعك التوقيع مع التحفظ .

لم يرتح المحققان لقول ماركوس . ونلسون يقول الآن :

ـ وفي حال رفضي التوقيع ؟

سارع المحامي الى القول :

ـ بمستطاع المدير العام أن يطلب من سلطات باريتوس توقيفك بتهمة ..

ـ فهمت . فهمت .. الاختلاس .

ـ ان النص صريح يقول انك حركت مبلغا من أموال برادات عبر البحار ، لحسابك وصالحك الخاصين . وهذا في أسوأ الحالات تطاول على أموال الشركة . وليس اختلاسا مقصودا .

ـ صيغة معتدلة . قال نلسون ـ مهما يكن .. سأوقع .

ومن جديد تدخل ماركوس :

ـ وقع مع اثبات تحفظك خطيا .

ووقع آخرون على مثل هذه الوثيقة .

واتى الجواب بالرفض على طلب اجازة اوليفيرا . وكذلك على طلب المدير العام الاجازة الاضافية .. الاستثنائية .

★ ★ ★

في بار ـ كاجو أميغوس ـ تحلقوا حول مائدة كبيرة ضمت الى اخرى ، حوت من جميع أصناف مازات هذا المشرب ومأكولاته ، الى جانب الويسكي والبيرة و « باتيدا » حسب الطلب .

فقد دعاهم السيد عباس ومعه صديقه السيد عامر الى حفلة تعارف وصداقة ، بدأوا الشراب بتحفظ وانكماش ، وليدي هذا النهار العاصف . ثم بدأ الجو يتغير الى أن أدرك حدود اللامبالاة وعدم الشعور بالاحباط .

وقال السيد عامر :

ـ أفهم أوضاعكم . أنتم أشداء ، ولولاكم ما دارت عجلات تلك المصانع ، وتسقطون بين أسنانها . ومع ذلك ، لن تشعر الآلة بكم ، والآلة هنا هي

بالذات عقل حاسب . بشري بلا روح . قابع وراء البحار . أي « عبر البحار » حقا . قلبه بارد مثل برادات شركته .

وصاح ماركوس بهم :

ـ ما هذا الوجوم ؟ اشربوا . اليوم انتم بحاجة للشراب . لن تعدموا عملا أحسن . فالى الكؤوس أيها الشجعان . أيها الجياد . الاحصنة الناشطة . حسب تعبير نلسون .

تحمس نلسون فقال :

ـ أبي كان يقول دائما : ـ رب ضارة نافعة ـ قالها بالعربية الركيكة المقاطع ، ثم ترجمها الى البرتغالية .. واستطرد ـ ومنذ شهرين عرض علي أحدهم أن أكون مندوبا لمصنع الخمرة التي اسمها ـ « سيغريدو داكانا » ـ في أوبرلانديا على اساس عشرة بالمئة عمولة ، سأعممها على زبائني التجار . هذا اذا لم يكن صاحب المصنع قد استخدم آخر .

سهروا حتى منتصف الليل . مارسيو معهم . وكان مؤخرا قد انقطع عن السهر معهم ملازما زوجته السيدة سلستينا أمورين داسيلفا بينتو .

هذروا وضحكوا . ونسوا ما يجري وما جرى . وخفت وطأة المأساة فكأنها وقعت من زمن وليس اليوم .

رجع ماركوس الى الفندق قرفا مشمئزا .. من نفسه .. من « عبر البحار » . من باميرا . من كل شيء . فادار ظهره في الفراش لجوزينا ونام .

أما ماورو فتشاجر مع ماريا جيزوز وضربها ثم واصلها وما تزال تجفف دموعها .

وتقلب نلسون في فراشه ولم يستطع النوم ، الوثيقة جردته عمليا من تعويضاته وحقوقه وعمولاته وألزمته بديون للشركة في ذمته .

« أهون من ان يقبضوا علي بجرم الاختلاس » .

لكنه سيقاضي شركة « برادات عبر البحار » في محكمة العمل . وسيدفع لهم من حقوقه معهم ومن عمولاته المتراكمة . وسيقول للمحكمة :

(« ـ هذا ما دفعوه لي خلال اربعة اشهر لا يكفيني مصروف اسبوع .. أنا متزوج ولي اولاد . نفقات . مدارس . أقساط . أجور .

دواء . طعام . لباس . نفقات العيوب الصغيرة . خمرة . عهر . اجل .. كل هذا من الحياة .. مثل التدخين » .

وسترد عليه المحكمة :

« ـ انك اختلست .

ـ كلا . حركت أموالا فقط .

ـ اختلست .

ـ سأدفع ما أخذت . الجميع يصنع هذا في جميع الشركات . الازمات المفاجئة . الحاجة . طالت مدة الازمة ولم نقبض . يطردون اولادنا من المدارس . يطلبون اخلاء الشقة .. انها مأساة سقف البيت ايها السادة القضاة العادلون .

ـ بل اختلست . الملكية الخاصة حق مقدس . اعتديت عليها . انت ضد القانون . ضد الدستور . وهما يكفلان الملكية الفردية الخاصة والجماعية » .

« وسيرق قلب محكمة العمل للملكية الخاصة لعبر البحار . وستحكم علي ») .

صاح في نومه . وطرق ڤالتر باب الغرفة الملاصقة لغرفته فأيقظه :

ـ كنت تهذي يا نلسون وتصرخ . انك لفي سعار الحمى .

ـ أجل يا ڤالتر . كنت في كابوس أخاف ان يحدث في الواقع .. اننا في حضارة صناعية تخلق الرفاهية وتهدر دمنا . كل هذا لاننا نريد مأوى ، سقف بيت .

في مساء تلك الليلة قال مارسيو لسانتينيا :

ـ كان نهاري مضطربا مليئا بالمنغصات . كثيرون ألقوا في الشارع وفقدوا حقوقهم وصاروا ملاحقين بديون .. ورفض الـ ـ ماتريز ـ طلب اجازتي . المهم اننا تزوجنا يا حبيبتي .. وعندما تمر الازمة .. سنقيم حفلتنا ونسافر في شهر عسل طويل . بعد أيام سأطلب اجازة من جديد .

ضمها ولامس أجزاء مثيرة في بدنها .. وهدأ .. انها ضمانته المادية

ايضا ضد العجز والشيخوخة . ورقة التأمين يراهن بها على المستقبل .

★ ★ ★

التاسعة صباحا ، لم تصل باليرا الى المكاتب وكذلك السيد اوليڤيرا . تفقدهما مارسيو . في دارهما . الهاتف معطل . أحدث بعدها عنه فراغا . ولكن بأسف من خسر شيئا كان ملكه ، وليس مع ذلك ليندم . يتمنى لو تظل باليرا عشيقته . يختلي بها بين وقت وآخر ، يزيل عن نفسه صدأ رتابة الممارسات الزوجية المعتادة .

تأمل مداخن المصانع ، تصعد أنفاسا رتيبة وآلاتها تعمل بلا توقف . تنفث الدخان فيتمازج بالغيوم بصمت وكآبة .

جاء ماركوس واستغرب غياب باليرا ، فخرج ليذهب الى منزلها . وصادف مستر اندرسون قادما ليراها . فتبادل واياه تحية الصباح ، وكان قد مر نهار أمس والمحاسبات تجرى مع المندوبين ، وكأن ذوي الاردية البيضاء لم يروا . لم يسمعوا . لم ينطقوا . لم يشعروا بشيء ، كأنهم غير موجودين . لم يشهدوا التحقيق .

فوجيء ماركوس لدى وصوله الى منزل أوليڤيرا ..

(جانديرا لم تشاهد فيلما أميركيا ، تموت فيه عذراء حامل ، تحت عملية اجهاض . وما كان ليخطر ببالها ان حبوب ـ انتي كونسپسيونال ـ (مانعة الحمل) أفضل للوقاية من الاجهاض . ولم يعرف أحد هوية والد السقط الطرح .

في الثامنة مع الفجر .. ماتت . وسقط العجوز اوليڤيرا ، فلحق بها متأثرا بأمراضه وأحزانه . باليرا سقطت بلا وعي ثم أفاقت مذهولة .. وجدها ماركوس جالسة وعيناها جامدتان .

بعد ثلاثة ايام استدعي المدير العام مارسيو بينتو الى ـ ماتريز ـ سان باولو . فثمة شيء لا يسير وفق ارادة السلطة العليا القابعة في لندن .

« وماذا في الامر !؟ « الجياد » تعبوا فلهثوا فتوقفوا فمرت فوقهم العربة فسحقتهم . هذا كل شيء » .

لا . لا يقتنعون . هذا لا يجوز ..

ـ ان العجلات لا تدور . العربة لا تجري ، كانت محكمة الصنع . دقيقة التركيب . موزونة المقود . متناسقة الابعاد . « مرمدلة » جيدا . مزيتة المفاصل . مشدودة الاحزمة والارسان .. لكن « الجياد » ـ كبوا ـ فتوقفت . وأيدي ـ المتريز ـ ومعها كل أصابع لندن عاجزة عن تحريكها مقدار بوصة واحدة .

في ـ ماتريز ـ الشركة في سان باولو ، التقى بصديقه جوان كارلوس الذي أعاره مرة سترته والذي يخاطبه الآن :

ـ جئت هذه المرة حسب المواصفات الجارية ، مهندما بطقم رسمي، كرافات ، قميص مزرر أبيض . عظيم . عظيم .. حافظ درسك .

ـ ماذا من جديد يا جوان كارلوس ؟

ـ دق الجرس في لندن .

ـ أهذا هو التعبير لما يحدث ؟ لماذا لندن ؟

ـ لا أدري . هيا .. امض اليهم .

دنا من الباب . توقف . نزع رباط عنقه ووضعه في جيبه . وترك ياقة قميصه بلا تزرير .

ـ ايها السيد مارسيو . استدعيناك لان امورا تسير على خلاف ما اختطت ـ عبر البحار ـ من خطوط .خرقتم نظام « عبر البحار » .. وحرمة .. عمل .

وقالوا كلاما كثيرا . وما دعوه للجلوس فظل واقفا . سألهم :

ـ وماذا بشأن اجازتي ؟

ـ أوه !. اجازة . اجازة ؟! سنيور مارسيو . أنت لا تقدر ظروف . فوضى .. اهمال .. تقصير .. تلاعب .. كله غير جيد .. لا اجازة مفهوم .. ثم .. أراك بغير كرافات ثانيا .. سنيور مارسيو .

ـ انها في جيبي .. مستر دايفز .. ثم .. أنا اطلب استقالتي .. هل أقدمها خطيا أم تقبلونها كلاما ؟..

خرج . وعندما رجع في اليوم التالي الى باريتوس ، سمع بالذي حدث في غيابه فكاد يصعق . فقد ربحت ورقة يانصيب العجوز اوليفيرا الجائزة

الكبرى والتي ابتاعها من كشك في ساحة تيرادنتس ، بمناسبة عيد مار يوحنا المعمدان المقطوع الرأس ، مليار كروزيرو قديم .. أ .. ثروة مرعبة .

★ ★ ★

فقد جاء صاحب الكشك الى منزل اوليڤيرا يسأل عنه ، والصحف تقول بأن صاحبها لم يحضر ليتسلم الجائزة ، وقد وعده اوليڤيرا باكرامية ان ربحها . والآن اهتدى الى عنوانه فحضر حالا .

كادت پالميرا تجن . وهدأت . وراحت تبحث عن الورقة في الجوارير في الخزانة . في الحقيبة .. في كل مكان .. وصاحب الكشك يؤكد لها ان اوليڤيرا اشتراها بكاملها ، بأجزائها العشرة .. وتسأله :

ـ أمتأكد انت ؟

ـ كل التأكيد وأتذكر كما لو اراه الان .. لحظة .. لحظة . تذكرت .. وضعها في جيب سترته الخارجي الفوقي وراء محرمته . اوه .. أتذكر .. ابحثي في ثيابه .. بل كان بطقم رمادي غامق وجديد . قال لي انه يلبسه لاول مرة ، فقلت له ربما يجلب لك السعد ..

ـ رباه .. رباه .. تقول انه جديد ؟ ورمادي ؟ ويلاه .. ويلاه !!

ولما حضر ماركوس كالعادة بعد وفاة والدها وشقيقتها ، وجدها مغشيا عليها والرجل يرش وجهها بالماء ..

فتحت عينيها :

ـ الطقم الرمادي .. الجديد ، خير ما عنده من ثياب . دفناه به .

ماركوس يتساءل :

ـ ماذا ؟ ماذا حدث ؟

فيرد عليه بائع اليانصيب :

ـ الطقم .. وفيه الورقة الرابحة مليار كروزيرو قديم .

دوار أصاب ماركوس . ربما كان سيحتاج لرش الماء الا انه جهد فتمالك نفسه وتشدد وتمتم :

ـ يجب فتح القبر .

وبعد جهود بالغة ، سمحت السلطة المحلية بفتح القبر (القوانين في البلاد لا تسمح بفتح القبور أو بنقل الرفات الا بعد أربعين سنة على الوفاة) .

وجدوا الجثمان بلا طقم .. بثيابه الداخلية :

ـ يوجد نباش قبور .

حامت الشكوك حول حارس المقبرة . وتحت ضغط السلطات اعترف بأنه يزاول الى جانب وظيفته ودوامه اليومي ، « ساعات عمل اضافي » في بعض الاحيان . فينزع ما على الموتى من ثياب لا يحتاجون اليها اكثر منه ويبيعها من « عتقجي » معروف في السوق .

لم يكن العتقجي قد باع الطقم الجديد :

ـ انه من الجوخ الجيد . أردت به سعرا جيدا فلم أحظ بشار له حتى الآن .

وجدوا الورقة الرابحة في الجيب الخارجي الفوقي . وهنا كان تاجر العتيقات هو الذي كاد يجن .

★ ★ ★

غادر نلسون بدر عبود باريتوس بسيارته العتيقة « المرودجة » ومعه ڤالتر ، في الصباح التالي لتوقيعهما على وثيقة التعهد بالمسؤولية .

وفي أوبرلانديا نزل ڤالتر ، ليبارح منها الى « تريانغلو مينيرو » بحثا عن عمل جديد ، ومكث نلسون فيها يومين يحاول بلا جدوى تسلم امتياز تمثيل شركة خمور سيغريديو داكانا (سر القصب السكري) . فقد أكمل صاحبها كادر مندوبيه ولم يعد يتسع جهازه لاكثر ، فسعى نلسون عندئذ الى الحصول على عمل في شركات أخرى .

لم ينجح فتابع طريقه الى برازيليا وقضى فيها يومين لكن من غير طائل . توجه بعدئذ الى غويانيا ليصل اليها مساء .

لاقته لوسيا شاحبة الوجه دامعة العينين ، كأنها تنتظره بباب الشقة واندفعت الى صدره تشرق بدموعها .

ـ لوسيا . ماذا حدث ؟ هل اصاب الاولاد مكروه ؟

تبكي وتنفي ذلك . ومن بين غصاتها تقول :

ـ أقاموا حجزا على البيت .. شركة برادات عبر البحار .. أقامت الحجز على بيتنا ، وما تم بعد بناؤه ..

★ ★ ★
★ ★ ★
★ ★ ★

جميع حقوق الطبع والترجمة والتصوير والاقتباس
والسيناريو السينمائي والتلفزيوني والاذاعي والمسرحي
محفوظة للمؤلف

طبعت على مطبعة فن الطباعة
لبنان ـ هاتف : ٢٨٩٢٩٧

مؤسسة انطوان جلخ واخوانه للتجليد
لبنان ـ هاتف : ٢٦٩٢٤٢

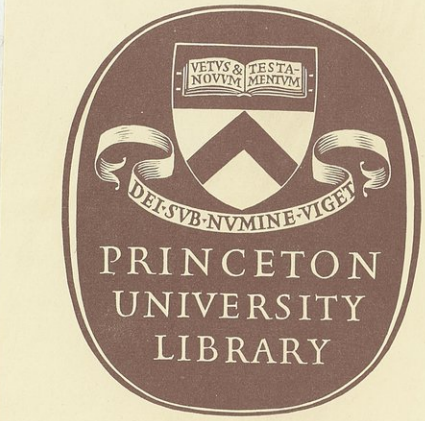
VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

(Arab)
PJ7842
.H366
1979
vol.2